الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة العقيد أحمد دراية -أدرار-
كلية العلوم الانسانية، الاجتماعية، والعلوم الإسلامية
قسم العلوم الإنسانية

النظم الاجتماعية في نوميديا
(من مطلع القرن الأول ميلادي إلى نهاية القرن الثالث ميلادي)

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجيستير في التاريخ

تخصص التاريخ الاجتماعي والثقافي المغاربي عبر العصور

من إعداد الطالبة:

مريم طياب

تحت إشراف الدكتور:

أ/د دراع الطاهر

أعضاء لجنة المناقشة

الإسم واللقب	الصفة	الجامعة
أ/د.عبد الكريم بوصفصاف	رئيسا ومقررا	أدرار
أ/د.الطاهر دراع	مشرفا ومناقشا	أدرار
أ/د.محمد العربي عقون	مناقشا	قسنطينة
د/.محفوظ رموم	مناقشا	أدرار

السنة الجامعية: 1436-1437هـ/2014-2015م

بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٢٠

قائمة المختصرات

العربية:

ب.ت= بدون تاريخ.

ب.ص= بدون صفحة.

تر= ترجمة.

ج= الجزء.

ط= الطبعة.

ق.م= قبل الميلاد.

مج= مجلد.

الفرنسية:

P.U.F= Presse Universitaire de France.

H.A.A.N= Histoire Ancienne de l'Afrique de Nord.

Ibid= Ibidem.

OP.CIT= Opéré Citatis.

Ed= Edition.

Trad= Traduction.

شكر وتقدير

بعد حمد الله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين محمد عليه أفضل الصلاة و التسليم، فاني أتقدم بأسمى آيات الشكر والامتنان والتقدير والمحبة إلى الذين حملوا أقدس رسالة في الحياة إلى الذين مهدوا لنا طريق العلم والمعرفة إلى جميع أساتذتنا الأفاضل أخص بالذكر الأستاذ الدكتور **"دراع الطاهر"** الذي تقبل بصدر رحب الإشراف على هاته المذكرة إذ لم يبخل علي بنصح أو إرشاد أو توجيه مما كان له أثر إيجابي و فعال في مسيرة انجازي لهذا البحث وإن اللسان ليعجز عن شكره فجازاك الله عنا أحسن الجزاء.

كما أتوجه بالشكر إلى كل من ساهم من قريب أومن بعيد و ساعدني في إنجاز هذا البحث المتواضع حتى وصل لهذه المرحلة النهائية فلهم جزيل التقدير والعرفان.

ولا يفوتني في هذا المقام تقديم الشكر العظيم والتقدير العميق لأعضاء لجنة المناقشة الموقرة الذين تقبلوا قراءة وتقييم وتقويم هذا البحث رغم انشغالاتهم العلمية والبيداغوجية، فلهم مني الشكر والعرفان.

الإهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى روح أبي الغالي "طياب جلول" رحمه الله الذي كان نعم الأب ونعم الرفيق ونعم الصديق ، رحمك الله يا أبي وطيب مثواك وجعلك من أهل الجنة إن شاء الله.

المقدمة

التعريف بالموضوع: تعتبر النظم الاجتماعية في جوهرها عبارة عن مرآة تعكس حضارة مجتمع معين في زمن معين، فهي توضح قدرة الإنسان على تنظيم حياته في المكان الذي يعيش فيه والبيئة المحيطة به، ويتم ذلك بتواضع الناس على لغة يتحدثونها و وضع تنظيم سياسي واقتصادي للمجتمع الذي يعيشون فيه، وابتداع فنون وعلوم تيسر لهم سبل الحياة وانصهار كل هذه المعطيات والعوامل في بعضها البعض وبروز مجموعة من قواعد السلوك الأخلاقية والدينية يلتزم بها أفراد المجتمع.

يعد موضوع الحياة الاجتماعية في نوميديا وتطوراتها من المواضيع التي ظلت هامشية و فرعية في الكثير من الأبحاث الأكاديمية بحجة غياب المصادر التي تتناول الموضوع و ضياع الشواهد والآثار والمخلفات التي تقرب الصورة للواقع المعاش آنذاك، وعليه تجنب الكثير من الباحثين والدارسين خوض غمار البحث في هذا الموضوع وظل البحث منصب على الأحداث السياسية والعسكرية وأهمل المحيط والمجتمع الذي صنع تلك الأحداث التاريخية واحتضنها.

وقد تساهم دراسة نظم المجتمع وتطوراتها في إبراز الخصوصية التاريخية والاجتماعية والثقافية للشعوب الإنسانية، والمجتمع النوميدي يعتبر من المجتمعات التي فرضت نفسها كواقع مهيأ للاستمرارية وقابل للوحدة السياسية،وهو الأمر الذي تحقق في القرن الثالث قبل الميلاد على يد الاغليد ماسينيسا ،كما يعتبر من المجتمعات التي رغم الأحداث المتتالية والتدخلات الأجنبية غير المنتهية،إلا أنه حافظ على نظمه الاجتماعية وفق نسق خاص به رغم التدخلات الأجنبية وهو الأمر الذي أدى به إلى الارتقاء إلى مصاف المدينة دون المساس بالبنية الاجتماعية.

وإيمانا مني أن فهم التاريخ لا يتأتي في ظل نقص جانب منه بل بتكامل جميع الجوانب و البحث في جميع الإشكاليات التي أغفلتها المصادر الكلاسيكية،ولم تستوفيها الكتابات الحديثة حقها،ارتأيت في هذا العمل المتواضع أن أطرق بابا من الأبواب التي لا يزال يلفها الغموض وتطرح حولها الكثير من الأسئلة،ألا و هو موضوع "النظم الاجتماعية"،فجعلت هذا البحث تحت عنوان:"**النظم الاجتماعية في نوميديا (من مطلع القرن الأول ميلادي إلى نهاية القرن الثالث ميلادي)**".أما سبب اختياري للفترة التاريخية المشار إليها آنفا فهو يعود إلى سببين:

1- يعتبر الوجود الروماني في المنطقة النوميدية من أحرج وأهم المحطات التاريخية، نظرا لما أحدثه من اختلال واهتزاز على مستوى جميع مظاهر الحياة في المنطقة، سواء السياسية أو العسكرية أو الاجتماعية والثقافية، ونظرا لتوافد الكثير من الأجناس البشرية ،على بلاد المغرب من مختلف المناطق وهو الأمر الذي أوجد تركيبة بشرية جديدة وثقافات متنوعة أثرت على النظم الاجتماعية النوميدية،فضلا عن كون الدراسات اللاحقة خاصة دات التوجه الكولوني جعلت هذه القترة مرجع لها في دراساتها وابحاثه حتى تثبت تبعية المجتمع المحلي لحضارتها وثقافتها من الأزل من هنا بات من الواجب تفنيد هذا التوجه من خلال إبراز الخصوصية الحضارية لشخصية الوطنية النوميدية.

2- شهدت الفترة المشار إليها قد عدة محاولات للإصلاح والتعديل من خلال إصدار العديد من التشريعات والنصوص القانونية التي مست صميم البنية الاجتماعية النوميدية والتي هدفت إلى دمج هذا المجتمع في الثقافة اللاتينية بعد القضاء على مقوماته ومرجعيته العقائدية والثقافية وهو الأمر الذي كاد يؤدي إلى القضاء على الشخصية النوميدية بسبب التبعية لثقافة الرومانية التي بات وأضحت في أسلوب الحياة وطرق المعيشة.

دوافع وأهمية البحث:إذا كانت الدراسات و الأبحاث التاريخية الحديثة و المعاصرة قد أسهبت في معالجة الأحداث العسكرية و السياسية للمنطقة. فإن هذه الدراسات قد تناست دور المجتمع البشري الذي صنع هذه الأحداث ،حيث لم ينل نصيبه من الدراسة،وظلت اغلب البحوث تحول حول إشكالية الأصول؛ وهي إشكالية كثرت وتشعبت فيها الآراء والنظريات في حين تم إغفال عدة إشكاليات أخرى تمس صميم المجتمع النوميدي، وانطلاقا من هذا النقص في هذا المجال حاولت دراسة النظم الاجتماعية النوميدية والتعمق في تطور النسيج الاجتماعي للمنطقة وهذا من اجل تحقيق جملة من الأهداف منها:

1- محاولة الكشف عن الهيكلة العامة للنظم الاجتماعية التي اعتمدها النوميد وتطورها خلال الفترة الرومانية و هو المجال الذي لا يزال يحتاج للبحث الأكاديمي والدراسة المتخصصة.

2- السعي الى تجاوز إشكالية أصول الأمازيغ وهي الإشكالية التي حاولت المدرسة الاستعمارية التركيز عليها و اعتمادها كمحور للأبحاث والدراسات،ومحاولة الخوض في إشكاليات أكثر عمقا تمس صميم المجتمع النوميدي وتبرز خاصيته الاجتماعية والتاريخية.

3- إبراز الخصوصية القبلية التي ارتكز عليها التنظيم الاجتماعي في نوميديا،و دور العلاقات الدموية في تكوين الوحدة و البناء الاجتماعي لدى النوميد.

4- الرغبة الملحة في نفسي لدراسة المجتمع النوميدي والتعمق فيه قصد فتح باب من أبواب المعرفة للمهتمين مستقبلا قصد رسم صورة تقريبية عن الشخصية الوطنية في العصور القديمة وإبراز خصوصياتها وثقافتها آنذاك.

5- هذا فضلا عن تشجيع الأستاذ الفاضل ودعمه المتواصل الغير محدود الذي وجهني الى تحقيق رغبتي .

ومن هنا فالبحث يهدف إلى محاولة رسم صورة تقريبية للنظم التي انتهجها المجتمع النوميدي وسار وفقها والتعمق في أسسها وبنيانها ،ومحاولة تقديم رؤية شاملة وعامة عن تطور النسق الاجتماعي النوميدي في خضم التفاعلات الحضارية والثقافية مع العناصر البشرية الوافدة الى بلاد المغرب.

إشكالية البحث: تندرج إشكالية هذا البحث في إطار عرض وتحليل المراحل التاريخية الهامة التي قطعتها نوميديا ومرت بها في مسيرتها نحو التطور والرقي بمختلف مظاهره،وبحكم ان هذه الدراسة تسعى الى الخوض في احدى الجوانب الهامة التي تساهم في رسم الصورة الكاملة للمجتمع النوميدي فقد حاولت جعل الإشكالية تقوم على طرح سؤال جوهري تتفرع عنه أسئلة ثانوية،فجاءت صياغة الإشكالية على المنوال الأتي:

-ما هي التنظيمات التي اعتمدها النوميد في نسقهم الاجتماعي وإلى أي مدى تأثرت الأسرة و القبيلة النوميدية بالمشاريع الرومانية ؟

والى جانب هذه الإشكالية الجوهرية حاولت أن أدرج جملة من التساؤلات الجانبية أذكرها فيما يأتي:

1- فيما تبرز الملامح التنظيمية للمجتمع النوميدي في مراحله التاريخية السابقة للوجود الروماني ؟
2- ما هي الأسس والمرتكزات التي قام عليها التنظيم الاجتماعي النوميدي ؟
3- إلى أي مدى أثرت العلاقات الدموية في النظم الاجتماعية النوميدية ؟
4- كيف كان انعكاس التشريعات الرومانية على النسق الاجتماعي النوميدي؟ و إلى أي مدى أثرت فيه؟

إن الإجابة عن هذه الإشكاليات تتطلب الكثير من المعطيات المعرفية و العلمية بحكم ترابط الواقع الاجتماعية بمختلف الوقائع العسكرية والسياسية، وتداخلها فيما بينها لدرجة يصعب عزل الواحدة عن الأخرى،

فضلا عن كون الموضوع يلامس أفراد لم تبقى منهم سوى القليل من الآثار وهو ما يجعل الدراسة في غاية الصعوبة حيث يتعسر في بعض الأحيان التزام الموضوعية فينساب الباحث وراء فرضيات وتصورات وهمية، قد تبعده عن الحقيقة التاريخية والمنطق، وهو ما حصل للعديد من الباحثين الذين حاولوا إسقاط الحاضر على الماضي رغم اختلاف الأشخاص والمحيط والواقع المعاش.

مناهج البحث: تطلبت دراسة موضوع هذا البحث في فصوله و مباحثه، الاعتماد على ثلاث مناهج أساسية:

1- المنهج التاريخي:والذي وظفته في وصف الأحداث التاريخية وتصنيفها حسب تسلسلها الزمني،وهذا من خلال الوقوف على الأحداث التاريخية ووصفها بحيثياتها حسب ما يتطلبه الموضوع وما توفر لي من مادة معرفية.

2- المنهج الاجتماعي:القائم على دراسة الأحداث التاريخية بمعيار اجتماعي بحيث استخلصت به مختلف التأثيرات والانعكاسات التي تحدثها مختلف المستجدات التاريخية على المجتمع و أفراده.

3- المنهج المقارن:الذي وظفته بالخصوص في مقارنة المعطيات والوقائع،وهذا بهدف تقريب بعض المفارقات والمقاربات التاريخية لذهن القارئ،وتبسيط المعارف وتبيان الوضعيات المدروسة.

صعوبات البحث: في إطار الإعداد لأي بحث في أي مجال لابد من وجود صعوبات وعراقيل تقف أو تحول بين الباحث والحقيقة، سواء كانت متوقعة أو تظهر أثناء العمل، وهذا حال البحث التاريخي الذي لا يخلو من الصعوبات، سواء علي المستوي المعرفي أو المنهجي، ولعل من ابرز الصعوبات التي واجهتني أثناء انجاز هذا العمل :

1- قلة الكتابات والأبحاث التاريخية وخاصة الأكاديمية منها والمتعلقة أساسا بالنظم الاجتماعية وهو ما تطلب مني جهدا مضنيا، استغرق فترة زمنية طويلة للوصول إلى بعض المعارف حتى يتسنى لي توظيفها في إطارها التاريخي السليم.

2- تشتت المادة الخبرية وتناثرها بين ثنايا الأحداث السياسية والعسكرية،بل إن تواجد هذه المادة الخبرية شحيح لايزيد عن إشارات بسيطة في المصادر الكلاسيكية،التي اعتنت بالأحداث الكبرى المرتبطة بالإمبراطورية الرومانية خاصة وأغفلت المجتمعات التي مسها الاستعمار الروماني.

3- تداخل موضوع النظم الاجتماعية مع عدة مواضيع والتي تكثر فيها المادة العلمية لهذا كان يجب الحذر أثناء العمل فكثير ما تأخذني المعلومات المتوفرة في السياسة والاقتصاد والحروب حتى أكاد اخرج عن الموضوع وهو خطا منهجي كان يستدعي الحذر في التعامل مع البحث.

وهكذا فإنني حاولت قدر المستطاع تجاوز هذه الصعوبات وتذليلها تحت توجيهات المشرف حتى وصل البحث إلى مستواه الذي هو عليه في حاله، لعله يلبي شغف القارئ ويكون في مستوى التطلعات في تقييم وتقويم اللجنة الموقرة.

خطة البحث: من أجل معالجة هدا الموضوع والإلمام بمختلف جوانبه، ونظرا لطبيعة الموضوع والأفكار الأساسية التي يتضمنها،فإنني قسمت العمل إلى مقدمة وأربعة فصول إضافة إلى خاتمة وبيبليوغرافيا، وهذا وفق الخطة الآتية:

الفصل الأول: حاولت فيه التعريف بماهية المجتمع النوميدي حيث تتبعت كينونته في المصادر القديمة الأثرية والمادية المحلية والإقليمية وضبط مجاله الجغرافي من اجل معرفة مختلف علاقاته واحتكاكاته بالمجتمعات الأخرى المحيطة به ومدى التأثر والتأثير الذي نشأ بينها،ثم حاولت عرض أهم مراحله التاريخية التي أثرت في البناء العام لهدا المجتمع إلى غاية وصول الاحتلال الروماني وتطبيقه لمختلف التنظيمات السياسية والعسكرية.

الفصل الثاني: المدرج تحت عنوان "دراسة سوسيولوجي واثنولوجية للمجتمع النوميدي" ارتأيت أن اخصصه لدراسة المجتمع النوميدي من ناحية المعطيات البشرية والتركيبة الاجتماعية،إضافة إلى عرض مختلف الأجناس التي توافدت على المنطقة واحتكت بالقبائل المحلية،بعدها استعرضت أهم المظاهر الاثنولوجية التي اختص بها هذا المجتمع من عادات وثقافة ومعتقدات غير أنني تجنبت التفصيل فيها نظر لكونه يحتاج إلى دراسة عميقة ومفصلة.

الفصل الثالث: خصصته لإبراز أهم النظم التي انتهجها المجتمع النوميدي المحلي فعنونته بـ"مرتكزات النظم الاجتماعية في المجتمع النوميدي"، وقد تضمن هذا الفصل ثلاث مباحث،في أولها حاولت فيه تقديم تعريف شامل لمفهوم النظم الاجتماعية من منظور علم الاجتماع،وثاني مبحث تطرقت فيه إلى الأسرة النوميدية فبينت تنظيماتها وابرز خصائصها،دون أن اغفل مكانة المرأة النوميدية ضمن المنظومة الأسرية، ثم تناولت النظام القبلي وحاولت عرض أراء المدرسة الغربية والمدرسة المحلية حول قضية القبيلة.

وفي الفصل الرابع والأخير حاولت عرض الإجراءات المطبقة من قبل الاحتلال الروماني ومدى انعكاسها على النظم الاجتماعية النوميدية مركزة على التحولات العميقة التي أحدثها الرومان في المنظومة الاجتماعية النوميدية وحددت فترة القرن الثالث للميلاد بحكم أن هذا القرن قد ظهر فيه التأثير الروماني بشكل واضح،حيث تغيرت منظومة المجتمع وظهرت تقسيمات وتنظيمات جديدة بمعايير مختلف عن تلك التي عهدها المجتمع النوميدي.أما الخاتمة فقد جاءت عبارة عن نتائج واستخلاصات توصلت إليها بعد استعراض مختلف الأفكار والمعارف والتفصيل فيها.

وصف المصادر والمراجع:رغم نقص المادة الخبرية الكتابية والأثرية المتعلقة بالموضوع، فقد كانت هناك كتب ومقالات قيمة اعتمدت عليها في انجاز هذا البحث بشكل عام أو جزئي منها:

1-المصادر المادية: الآثار بمختلف أنواعها من نقوش ونصاب ...إلخ.

2- المصادر الأدبية أو الكتابية:

أ- كتاب "**التواريخ**" للرحالة والمؤرخ اليوناني "**هيرودت**"الذي قدم فيه معلومات قيمة عن القبائل وأسماءها ومواقع انتشارها،كما قدم دراسة اثنولوجية لها أوضح فيها عاداتها وتقاليدها وأنماطها المعيشية،وبالرغم من النقد الذي يتعرض له هذا المصدر نظر لكون صاحبه لم يزر المنطقة وإنما اكتفى بدراستها عن بعد وما روي له خلال رحلته التي قادته إلى "قورينة"، إلا أنه يبقى مصدر مهم و يتضمن معلومات قيمة أفادتني في دراستي للنظم الاجتماعية عند النوميد.

ب- كتاب الجغرافي "**سترابون**" الموسوم بـ "**جغرافية العالم**" الذي قدم فيه دراسة جغرافية وبشرية لقبائل المغرب القديم وحدد مواطن استقرارها وأنماط معيشتها ،بالرغم من أسلوبه الذي يعكس خلفية عنصرية ونظرة احتقار لسكان المنطقة إلا انه يستفاد منه في ضبط جغرافية المنطقة أنداك.

جـ- "**على فهمي خشيم**" الذي ترجم مجموعة من النصوص الإغريقية واللاتينية لأشهر المؤرخين على غرار "**بلين الكبير**" و"**سالوست**" وغيرهم.

أما المراجع التي اعتمدتها فكان أهمها:

أ-كتاب **"ستيفان غزال" "التاريخ القديم لشمال إفريقيا"** المكون من ثمانية أجزاء، وقد تناول في جزئه الخامس "التنظيم الاجتماعي والسياسي والاقتصادي للممالك النوميدية"،وقد تم اختصار اسم الكتاب في الهامشH.A.A.N.

إضافة إلى جملة من الكتب المتخصصة مثل:

أ- كتاب الأستاذ **"شنيتي محمد البشير"** الموسوم **"بالتغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني"** الذي قدم فيه دراسة جد مهمة بطريقة أكاديمية مدعما إياها بمختلف الدلائل و الاستدلات الدقيقة.

ب-ومجموعة من كتب الأستاذ **"غانم محمد الصغير"** الذي درس تاريخ وحضارة المغرب القديم في مختلف المراحل التاريخية.

الدراسات السابقة: قدمت الرسائل الجامعية معلومات مهمة منها:

أ-رسالة **"تسعديت رمضان"**التي تناولت **"الإصلاحات السيفيرية في بلاد المغرب"**.

ب-رسالة الأستاذة **"عيساوي مها"** بعنوان **"المجتمع اللوبي"**، إضافة إلى عدد من المقالات والمجلات وغيرها والتي حاولت الاستفادة منها قدر المستطاع أمام انعدام وشح المصادر المحلية والذي شكل لي اكبر العوائق في طريق البحث،إضافة إلى قلة الدراسات المتخصصة في الموضوع خاصة ما تعلق منها بالنظم الاجتماعية .

وعلى العموم فقد حاولت قدر الإمكان الإلمام بجوانب الموضوع وعرضه عرضا صحيحا ودقيقا،لا يسعني في هذا المقام إلا أن أتوجه بواجب الشكر إلى لجنة المناقشة لتفضلهم بمناقشة لقراءة هذه المذكرة على رأسهم الأستاذ المشرف الدكتور دراع الطاهر الذي رافقني ووجهني ولم يبخل علي بنصائحه وتوجيهاته إلى آخر مراحل البحث، وإلى كل من ساعدني في انجاز هذ ا العمل المتواضع قريب أو بعيد،وفي الأخير إنني لأرجو أن يكون هذا العمل خالصا لوجه الله وأن يجعله علما ينتفع به ولا يفوتني أن اعتذر عن النقائص والأخطاء الواردة في البحث فمازلت طالبة في طريق التعلم والبحث العلمي ،وأملي أن يكون هذا العمل المتواضع في ميزان الحسنات. والله الموفق.

الفصل الأول

المفهوم التاريخي للمجتمع النوميدي وامتداده الجغرافي

المبحث الأول: التنظيمات الاجتماعية في المغرب القديم.

أولا– المصادر الأثرية.

ثانيا– المصادر الأدبية.

المبحث الثاني: الامتداد الجغرافي للمجتمع النوميدي.

أولا– حدود ومجال نوميديا.

ثانيا– الخصائص الجغرافية.

المبحث الثالث: التدخل الروماني وتنظيماته المستحدثة في المنطقة النوميدية.

أولا– الممالك النوميدية(القرن الثالث قبل الميلاد إلى النصف الأول من القرن الأول الميلادي).

ثانيا– الاحتلال الروماني وتنظيماته الإدارية والعسكرية في بلاد المغرب.

الفصل الأول: المفهوم التاريخي للمجتمع النوميدي وامتداده الجغرافي: إن التطرق لأي إشكالية في البحث التاريخي يتطلب تحديد مجال الدراسة وتتبع مسارها التاريخي،لهذا سأحاول في هذا الفصل إبراز الامتداد التاريخي للمجتمع النوميدي في الفترات السابقة للوجود الروماني من خلال عرض مختلف المخلفات المادية والأدبية التي تعكس وتبين واقع هذا المجتمع في العصور الغابرة،ثم سأحاول تحديد المجال الجغرافي لهذا المجتمع حسب ماورد في مختلف المصادر الكلاسيكية على أن أقدم لمحة تاريخية أبرز فيها أهم المحطات التي كان لها تأثير على الواقع الاجتماعي.

المبحث الأول: التنظيم الاجتماعي من خلال المصادر المادية والأدبية: نعالج في هذا المبحث مسألتين أساسيتين: التنظيمات الاجتماعية في المغرب القديم ومظاهرها التنظيمية من خلال النقوش الصخرية والمصادر الكلاسيكية، وما توفره لنا من مادة خبرية.

أولا– المصادر الأثرية: نقصد بها مجموعة المخلفات من نقوش ورسوم وبقايا أدوات، والتي تدل على وجود مجموعات بشرية استقرت بالمنطقة النوميدية قبل آلاف السنين والتي شكلت مجتمعا ذا خصائص ومميزات عكستها هذه الآثار وهو ما سنبينه ما يأتي.

أ– النقوش الصخرية المحلية: إن التطرق إلى التنظيمات الاجتماعية في المغرب القديم من خلال الرسوم الصخرية يجعلني في مفترق الطرق بحكم تعدد الدراسات–الغربية خاصة–وتنوعها، وثراء الرسومات الصخرية، وهو ما جعل الباحثين ينوعون ويبدعون في التحاليل والتفسيرات في مختلف بحوثهم، ومع ذلك تبقى جهودهم في الدراسات نسبية وقليلة بحاجة ماسة للتحقيق والتدقيق.فلا يخفى عنا أن دراسة العصور القديمة تتطلب تداخل مجموعة من العلوم مثل: علم الجيولوجيا (علم طبقات الأرض)، علم الأنثربولوجيا (علم وصف الإنسان)، علم الآثار[1] وهي العلوم التي تساعدنا على دراسة العظام البشرية والمخلفات وترتيبها كرونولوجيا وتحديد صفاتها الوراثية.

ومما يذكره المؤرخون هو أن منطقة المغرب القديم، كانت مأهولة بالسكان منذ أقدم العصور، فالمخلفات المادية المكتشفة تدل على وجود حياة بشرية نشطة ومنظمة لها خصائصها وأنماطها المعيشة، وهو الأمر الذي تبينه رسوم الطاسيلي التي تؤكد وجود تنظيم أسري قائم على وجود أبناء ترعاهم الأم في الوقت الذي يقوم الأب بالعمل قصد توفير حاجات أسرته سواء في مجال الزراعة أو الصيد[2]. وهذا ما يدفعنا إلى ترجيح فكرة وجود تنظيم اجتماعي واضح قائم على تبادل وتقاسم المتطلبات الضرورية للحياة البدوية، تجدر الإشارة إلى أن هذه التجمعات البشرية كانت تشبه نظيرتها في العالم القديم والتي تميزت بجملة من الخصائص منها:

1– شارل (أندري جوليان)، تاريخ إفريقيا الشمالية، ج1، تر: محمد مزالي والبشير بن سلامة، ط2، الدار التونسية للنشر، تونس، 1969، ص– ص 33-34.

2– انظر الملحق 01 والملحق 02.

الملحق رقم 01 التجمعات البشرية وبعض نشاطاتها الاقتصادية[1]

الملحق رقم 02 رسم صخري يوضح تجمع أسري

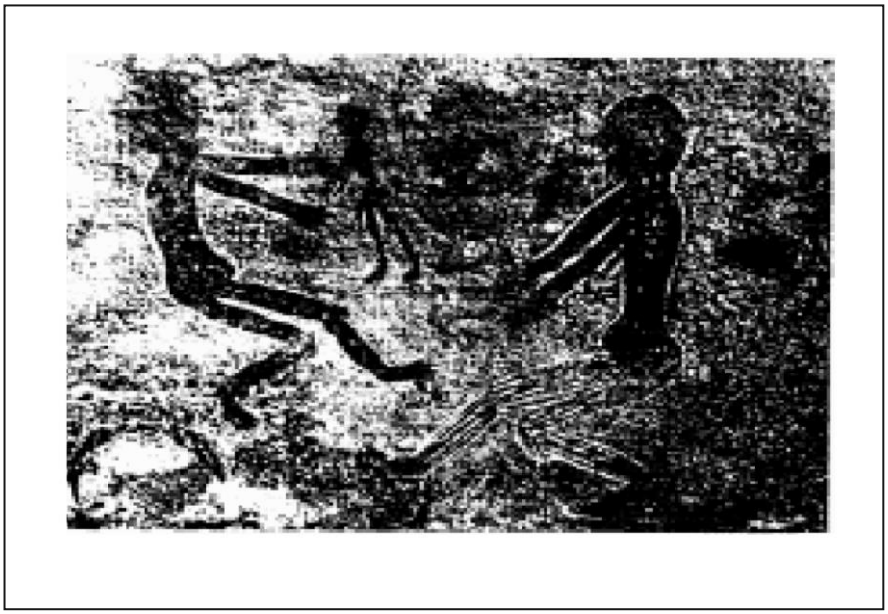

1- جرابة (محمد رشدي)، الصحراء الجزائرية خلال العصر الحجري الحديث 6100ق.م-1000ق.م،مذكرة ماجستير،إشراف:بلحراش عبد العزيز،جامعة منتوري،قسنطينة،السنة الجامعية2007-2008،ص93.

1- انتهاج أسلوب الرسم كوسيلة للتعبير عن الحياة اليومية والأحاسيس ومختلف الأفكار في ظل غياب أو جهل الكتابة التي تفيد الباحثين في دراسة أنواع التنظيمات الاجتماعية التي عرفها المجتمع في المغرب القديم.

2- استخدام الإنسان لأدوات ووسائل بسيطة في حياته اليومية، استمد مادتها الأولية من بيئته كالحجارة والعظام والأخشاب لكي يوفر ما يساعده علي العيش في أمن واستقرار.

3- تمركز الإنسان القديم قرب الأودية والسهول وبجانب المسطحات المائية وهذا لملائمة هذه المناطق وتوفر الماء والصيد بالدرجة الأولى وهو ما يوفر الحاجات الضرورية للحياة المستقرة ويضمن الإنتاج وبالتالي توفر الغذاء[1].

إن مختلف هذه المعطيات والدراسات التاريخية يدفعني إلى طرح الإشكالية التالية: هل بلغت هذه التنظيمات الاجتماعية مفهوم أوصفة "مجتمع"؟.

يرى بعض الباحثين أن المجتمعات البشرية القديمة كانت كثيرة العدد[2] لها أنماط معيشية خاصة قائمة بالأساس على نشاط الزراعة والصيد ،كما كان لها أساليب خاصة في التواصل فيما بينها،ثم إن الاهتمام بعرض الحياة الأسرية ومكوناتها ونشاطاتها اليومية في الرسوم التصويرية يعكس مدى أهمية هذه الظاهرة واهتمام السكان بها،وهو ما يرجح فرضية تطابق صفة مجتمع على هذه التنظيمات وتوفر الأسس والمرتكزات المكون له، وهذا ما ذهب إليه الألماني "هوت لوك" الذي بين أن تقاسم الأدوار في عملية الصيد والتعاون بين رجال المجموعة البشرية الواحدة دليل على وجود تنظيم وتناسق في المجموعة،كما أن اهتمام الرسومات التعبيرية بالمرأة تعكس المكانة المعتبرة لها فقد رسمت وهي حامل، كما رسمت مختلف الحلي والزينة وتصفيفات الشعر التي كانت تستخدمها، ولعل اهتمام الرجل بالمرأة والحرص على تصويرها في أبهى صورها، يولد للباحث فرضية وجود علاقة زوجية ساهمت في وجود علاقة أسرية وعائلية[3].

غير أن هذا الرأي لا يمكن تعميمه على كل المجموعات البشرية خاصة إذا ما أخذنا بعين الاعتبار أنها كانت بدائية، ويبدو أن تجمعهم كان بدافع تبادل المنافع والتعاون، وبدافع الخوف من الحيوانات المفترسة ومختلف الظواهر الطبيعية، ومواجهة الخطر المحدق بهم، وفي كلا الحالتين فإن روح التعاون قد جمعتهم في مجموعات وتنظيمات اجتماعية وفرت لهم الأمن والاستقرار.

لقد عرف إنسان المغرب القديم باسم"إنسان الأطلسي الموريتاني" ATLANTHROPU MAURITANIEUS، وهو من نوع الإنسان المنتصب القامة المعاصر لإنسان "جاوة" باندونيسيا،

1- الناضوري (رشيد)، المغرب الكبير-العصور القديمة-، ج1، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1981، ص 68.

2- Andre (leroi),Gourhan, Dictionnaire de la prehistoire,P. V. F, Paris, 1997, P102.

3- سحنون (محمد)، ما قبل التاريخ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994، ص 127.

وإنسان "بكين" بالصين وقد ترك هذا الإنسان مخلفات مهمة في مواقع مختلفة مثل موقع سيدي عبد الرحمان (الدار البيضاء)- موقع عين الحنش (سطيف)- موقع تيغنيف (معسكر) التي عثر فيها على بقايا هياكل عظمية وأدوات متنوعة كالفؤوس التي تبين النشاط الاقتصادي الذي كان يمارسه الإنسان المغربي[1].

فخلال العصر الحجري القديم الأوسط الممتدة ما بين مائة ألف إلى خمس وثلاثين ألف سنة، عرفت منطقة المغرب القديم تطورا ملحوظا، والدليل على ذلك تطور أدوات وتقنيات إنسان المنطقة، حيث أضحت أصغر حجما وأكثر تنوعا (السكاكين، المكاشط، المثاقب)،فضلا عن استخدامه للنار ودفنه لموتاه[2]. وقد عرف هذا الإنسان باسم "النياندرتالي" الذي ينتمي إلى الحضارة الموستيرية التي تبرز ملامحها في غرب قسنطينة بالخصوص والممتدة من خمس وثلاثين ألف سنة إلى أربعين ألف سنة قبل الميلاد، أما الإنسان "العاتري" المنتمي إلى الحضارة "العاترية" المنبثقة عن الحضارة "الموستيرية"والتي تنسب إلى بئر العاتر في "واد الجبانة"قرب قسنطينة. والتي تحدد زمنيا مابين أربعين ألف سنة إلى خمس وعشرين ألف سنة ،فقد أخذ صفة الإنسان العاقل العاقل " HOMO SAPIENS SAPIENS" وترك آثارا في إحدى عشر موقعا أثريا أبرزها موقع "واد الجبانة"[3].

أما الفترة الممتدة ما بين سبعة وثلاثين ألف إلى اثنا عشر ألف سنة، فقد عرفت ظهور الإنسان العاقل الذي أطلق عليه اسم "مشتي العربي" نسبة إلى الموقع الذي اكتشف فيه بالقرب من مدينة "سطيف"،حيث يرى بعض الباحثين أن ظهور إنسان "مشتي العربي" تزامن مع ظهور الإنسان القفصي حوالي الألف الثامنة قبل الميلاد، وهو الإنسان الذي تتشابه ملامحه مع شعوب البحر الأبيض المتوسط[4]. أما الإنسان القفصي فهو ينتمي إلى حضارتين؛ الحضارة الوهرانية الساحلية التي امتدت ما بين ثمانية عشر ألف إلى ثمانية آلاف سنة والحضارة القفصية[5] التي تنسب إلى مدينة فقصة في اقليم قسطيلة شمال شط الجريد في تونس[6] وهي حضارة داخلية امتدت في المناطق الداخلية الوسطى للجزائر والجنوب الغربي لتونس[7]. وتظهر لنا النقوش والرسوم الصخرية المنتشرة في مختلف بلاد المغرب القديم مدى التطور والرقي الذي بلغه الإنسان في هذه المنطقة، إذ تم اكتشاف كتابة تصويرية في المناطق الصحراوية تعكس للباحثين التعبير الفكري لدي إنسان المنطقة الصحراوية،حيث قام بتصوير عمليات

1- غانم (محمد الصغير)، مواقع وحضارات ما قبل التاريخ في بلاد المغرب القديم، ط1، دار الهدى، الجزائر، 2003، ص 16.

2- شارل (أندري جوليان)، المرجع السابق، ص ص 40، 41.

3- غانم (محمد صغير)، مواقع وحضارات ماقبل التاريخ في بلاد المغرب القديم، المرجع السابق، ص 20.

4- سحنون (محمد)، المرجع السابق، ص 27.

5- عقون (محمد العربي)، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008، ص201.

6-مهران(محمد بيومي)،مصر والشرق الادنى القديم-المغرب القديم-،ج9،على الموقع:www.al-mostafa.com،تاريخ الرفع:02/05-2013.ص25.

7- Andre (leroi), Op-Cit, P 531.

الصيد المنظمة ومختلف الأدوات والأسلحة والتقنيات التي كان يستخدمها، كما عبر في نفس الوقت عن معتقداته الدينية وعاداته مثل: ممارسة السحر وطرد الأرواح الشريرة والتبرك بالطبيعة.

ومن خلال هذه الرسومات الصخرية ومختلف الآثار والمخلفات المتنوعة، يمكن القول أن المجتمع المغاربي القديم عرف تنظيما اجتماعيا مميزا يقوم أساسا على توفير الحاجات الأساسية من خلال الأنشطة الاقتصادية القائمة على نشاط الصيد والالتقاط والجمع ثم ممارسة الزراعة فيما بعد. أدت هذه الأنشطة إلى ظهور مجموعتين حرفيتين داخل المجتمع هما:

- **مجموعة الصيادين:** تختص بممارسة عملية الصيد وهي العملية الأساسية لتوفير الغذاء.
- **مجموعة الحرفيين:** وهم المختصون بصناعة العظام والسكاكين ومختلف الأدوات البسيطة[1].

أدى هذا الجو المليء بالتعاون وتبادل المنافع إلى تطوير القدرات الفكرية والمهارات المكتسبة فأضحى الإنسان المغربي القديم قادرا على الاستقرار والانتفاع بالطبيعة التي كان يسكنها ويستغلها في حياته، وكنتيجة لهذا الاستقرار برزت وحدات عائلية وفرت لأفرادها الأمن و الغذاء و الاستقرار في إطار الجماعة التي بات يربط أفرادها وحدة المكان والانتساب والمصالح المشتركة .

وتدل الرسومات الصخرية على وجود مجتمع منظم كان يقوم بأنشطة اقتصادية (الصيد بالأخص)، في إطار علاقات اجتماعية بين الأفراد برزت على مختلف المستويات (دينية، اقتصادية، اجتماعية)، كما صاحب النشاط الرعوي نشاط زراعي دعم الاستقرار ومهد لظهور مجتمعات منتجة في الفترة اللاحقة لفترة ما قبل التاريخ والتي أدت بدورها إلى ظهور الملكية،ومن المهم الإشارة إلى أن الفترات القديمة قد شهدت تغلغل مهاجرين من جميع مناطق الصحراء الكبرى بين السكان المستقرين الذين استوطنوا القسم الشمالي الغربي لبلاد المغرب القديم وهو الأمر الذي أدى إلى امتزاج جماعات أثنية كثيرة، اجتمعت فشكلت تجمعات كبرى تحولت إلى قرى ومن اتحادها ظهرت المدن والدول، ففي القرى الزراعية ظهرت التنظيمات الاجتماعية واستطاع الأقوياء الفوز بمساحة أوسع من الأرض وسخروا المستضعفين لزراعتها فصار لهم عليهم قدرا من السلطة ومن هنا ظهرت الطبقات الاجتماعية.

ومما يلفت الانتباه أن هذا المجتمع البسيط اعتمد على العمل الجماعي، حيث تبرز الرسومات نشاط الرعي والصيد يمارس جماعيا وربما يعود هذا إلى انتشار الملكية الجماعية بين أفراد المجتمع[2]،ومع مرور الزمن برزت الملكية الفردية التي اقتصرت في بداية الأمر على امتلاك السلاح والأدوات الحجرية والفخار وغيرها، وسرعان ما

1- الناظوري (رشيد)، المرجع السابق، ص 127.

2- رالف (لنتون)، شجرة الحضارة، ج2، الانيس للنشر، الجزائر، 1990، ص118

أصبحت ملكية عائلية تمثلت في ملكية أراضي زراعية أو أشجار مثمرة، وقد زادت هذه الملكية الجنوح إلى حياة الاستقرار مما دعم الروابط العائلية وزاد في الرغبة في الإنجاب لما يقدمه الأبناء من مساعدة في خدمة الأرض بعد أن كانوا يمثلون عبئا ثقيلا على الأسرة في حياة الصيد والترحال، ونظرا لاتساع المساحات المزروعة،احتاج المزارع لجهد أكثر لزراعة الأرض فتعاون مع غيره من الأفراد مما أدى إلى تكون نظام شبه قبلي ساعد على التمتع بحياة الاستقرار. وبذلك ظهرت الخصائص الاثنولوجية من عادات وتقاليد وأعراف ومعتقدات وغيرها والتي حرص وجهاء القوم على حمايتها وتطبيقها، كما ظهرت النواة الأولى للكيانات السياسية البدائية[1] والتي ستتطور مشكلة الدولة النوميدية في فترة لاحقة.

وخلاصة لما سبق أقول إن الرسومات الصخرية تعتبر مصدرا مهما لاستخلاص التنظيم الاجتماعي في منطقة المغرب القديم لما تقدمه من رسومات تعبيرية عن حياة الإنسان المغربي القديم وعلاقاته الاجتماعية.

ب–النقوش المصرية: يعتبر المجتمع النوميدي أحد مجتمعات البحر الأبيض المتوسط، انحصر تواجده في المنطقة الجغرافية الممتدة من مصر شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا. ظهر في بداية الأمر على شكله البدائي القائم على التجمعات البشرية والتمركز القبلي ضمن قبائل وشعوب بلاد المغرب القديم[2]. أما اسم نوميديا فقد ظهر مع مطلع القرن الثالث ق.م حيث عرف هؤلاء السكان بتسميات متعددة خلال الفترة السابقة للقرن الثالث ق.م وهو ما سنبينه في ما يأتي:

تعد النصوص والنقوش المصرية من المصادر التاريخية التي تفيد الباحثين في استقصاء الملامح العامة للمجتمع البشري الذي وجد في بلاد المغرب القديم، وأقدم مصطلح ورد في النقوش المصرية يدل على منطقة الغرب هو كلمة"أمنت" IMNT يرمز لها بريشة النعام كحلية تقليدية لازمت رأس المغاربة في التاريخ الفرعوني[3]. وقد ذكرت النصوص الهيروغليفية تسميات أكبر وأهم القبائل التي وجدت في الشمال الإفريقي القديم منها قبائل "التحنو والتمحو–المشوش والليبو"[4]، وهي قبائل ليبية كبرى تواجدت غرب النيل وتفاعلت مع أهله.

–التحنو: هم قبائل استوطنوا المنطقة المجاورة لمجرى النيل والدلتا وتوغلوا جنوبا حتى منطقة الفيوم اكتسبوا صفات مشابهة للمصريين وهو ما يرجح فرضية قرابتهم من المصريين، ورد ذكرهم في نصوص رمسيس الثالث،وقدمت الرسومات التصويرية بعض الصفات الجسمانية لقبائل التحنو المتمثلة في البشرة السمراء والشفاه الغليظة والشعر الطويل المسترسل[5].

1- نفس المرجع، ص 122.

2-العروي(عبد الله)، مجمل تاريخ المغرب، ج1، ط6، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2000، ص95.

3- بن السعدي(سليمان)، المرجع السابق، ص6.

4- انظر الملحق 03 والملحق 04.

5- ديزانج(جيهان)،البربر الأصليون،تاريخ إفريقيا العام،مج الثاني:حضارات إفريقيا القديمة،جين أفريك،اليونسكو،1985،ص439.

– **التمحو**: وهم الذين استوطنوا الواحات الغربية المصرية، وقد تميزوا ببياض البشرة والشعر الأشقر والعيون الزرقاء وتوافدوا إلى مصر رفقة عائلاتهم إما للاستقرار أو للتجارة،ومن المرجح أن هؤلاء التمحو ربما كانوا أجداد الليبيين الذين عرفهم الإغريق في برقة[1].

– **المشوش**: يتفق أغلب العلماء على أن المشوش هم السكان القدامى الذين استوطنوا المناطق الشمالية من الصحراء الليبية إلى غاية الجهات الغربية من تونس حاليا،ظهروا في الرسوم التصويرية ببشرة بيضاء على غرار التمحو، وتميزوا بارتدائهم لمعطف طويل وهو ما يوحي بقدومهم من مناطق باردة[2]من المرجح أنهم انخرطوا في الجيوش المصرية كمرتزقة واستطاعوا النفوذ إلى المناصب العليا في الدولة حتى تولوا الحكم حيث تقلد سينشق (935-929ق.م) الحكم واستمر حكمهم قرابة القرنين من الزمن[3] .

– **الليبو**: امتد موطنهم من برقة غربا إلى الواحات جنوبا وسيطروا على المنطقة وظل اسمهم الوحيد الذي تتداو له المصادر الكتابية فيما بعد حيث أطلق اسم الليبو على المجموعات البشرية التي سكنت شمال إفريقيا[4]. ظهرت هذه التسمية في الكثير من النصوص والنقوش الفرعونية القديمة نذكر منها على سبيل المثال: نقش الفرعون مرنتباح[5] (حوالي 1227 ق.م)، الذي أشار فيه إلى قبائل قادمة من غرب النيل هاجمت مصر[6]. أجمع العلماء على أن اسم ليبو"L'BW" أو"R'BW" أطلقت على الأرض والسكان معا، وتبين لنا المصادر الفرعونية أن "ريبو" أو "الليبو"[7] هم سكان محليون لشمال إفريقيا وليسوا من المهاجرين القادمين مع شعوب البحر كما يعتقد البعض، بل إن المصادر المصرية بينت أن الاتحاد بين القبائل الليبية وشعوب البحر[8] لم يحدث إلا مرة واحدة في عهد الملك مرنتباح" وبالتالي فهم أصليون وليسوا وافدين على المنطقة.

1- المرجع نفسه، ص439.

2- بن السعدي(سليمان)، علاقات مصر بالمغرب منذ فجر التاريخ حتى القرن السابع قبل الميلاد، أطروحة دكتوراه، إشراف:شنيتي محمد البشير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2008-2009، ص78.

3-بازمة(محمد مصطفي)، ليبيا هذا الاسم في جدوره التاريخية، ط2، اللجنة العليا لرعاية الفنون والكتاب، بنغازي، 1975، صص75-78.

4-هناك نقاش وجدل كبير بين المؤرخين والدارسين لتاريخ المغرب القديم حول ترجمة التسمية هل هي "ليبو" أم "ليبيون"، "بلاد لوبة"أم "بلاد ليبيا"؟، وما يهمنا نحن هوان كلا التسمتين ترمزان وتستعملان للدلالة على قبائل سكنت بلاد المغرب القديم. انظر: فنطر(محمد حسين)، "اللوبيون وحدات أم شتات قبائل وشعوب مختلفة ؟"، مجلة: أفريقية للدراسات الفينيقية البونية والآثار اللوبية، العدد:12، منشورات المعهد الوطني للتراث، تونس، 2002، ص47.

5-مرنتباح Mertenpah: هورابع ملوك الأسرة التاسعة عشرة في الدولة المصرية الحديثة (1570-1080ق.م)، وهو ابن رمسيس الثاني طبقا لقائمة أسماء أبنائه التي نقشت على أحد جدران معبد الراميسوم، انظر: مقدم (بنت النبي)، الأسرة في بلاد المغرب القديم خلال العهد الروماني – الإمبراطور الأعلى-، أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم، إشراف رحماني بلقاسم، جامعة الجزائر، 2012-2013، ص272.

6-يشير هذا النقش وهو المعروف باسم "نقش الكرنك" إلى غزوة تعرضت لها مصر من طرف قبائل الليبو بقيادة "مرابي" أو"مريبي بن أدد". أنظر مصطفى (كمال عبد العليم)، دراسات في تاريخ ليبيا القديم، ط1، المطبعة الأهلية، بنغازي، 1966، ص25.

7- بن السعدي(سليمان)،المرجع السابق، ص16.

8- شعوب البحر: الشعوب القادمة من البلقان ومن السهول الواقعة شمال البحر الأسود. انظر:العدواني(محمد الطاهر)، الجزائر في التاريخ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص225.

إن المتصفح للعلاقة الليبية الفرعونية يتلمس الطابع العدائي في هذه العلاقة، بحكم الهجمات والغزوات المستمر للشعب اللوبي على مصر، إما بدافع الجفاف والقحط أو طمعا في الغنائم، ويبدو أن الشعب اللوبي قد هاجر جماعيا إلى مصر وهو ماتدل عليه الرسومات الأثرية التي تصور القبائل رفقة عائلاتهم وصغارهم، وهو يدفع للقول إن اللوبين كانت لهم رغبة في الاستقرار والاستيطان في مصر.

الملحق 03 الليبيون القدماء في النقوش المصرية[1]

1- بن السعدي (سليمان)،المرجع السابق، ص 53.

الملحق رقم 04 مناطق تواجد القبائل الليبية القديمة حسب المصادر المصرية[1]

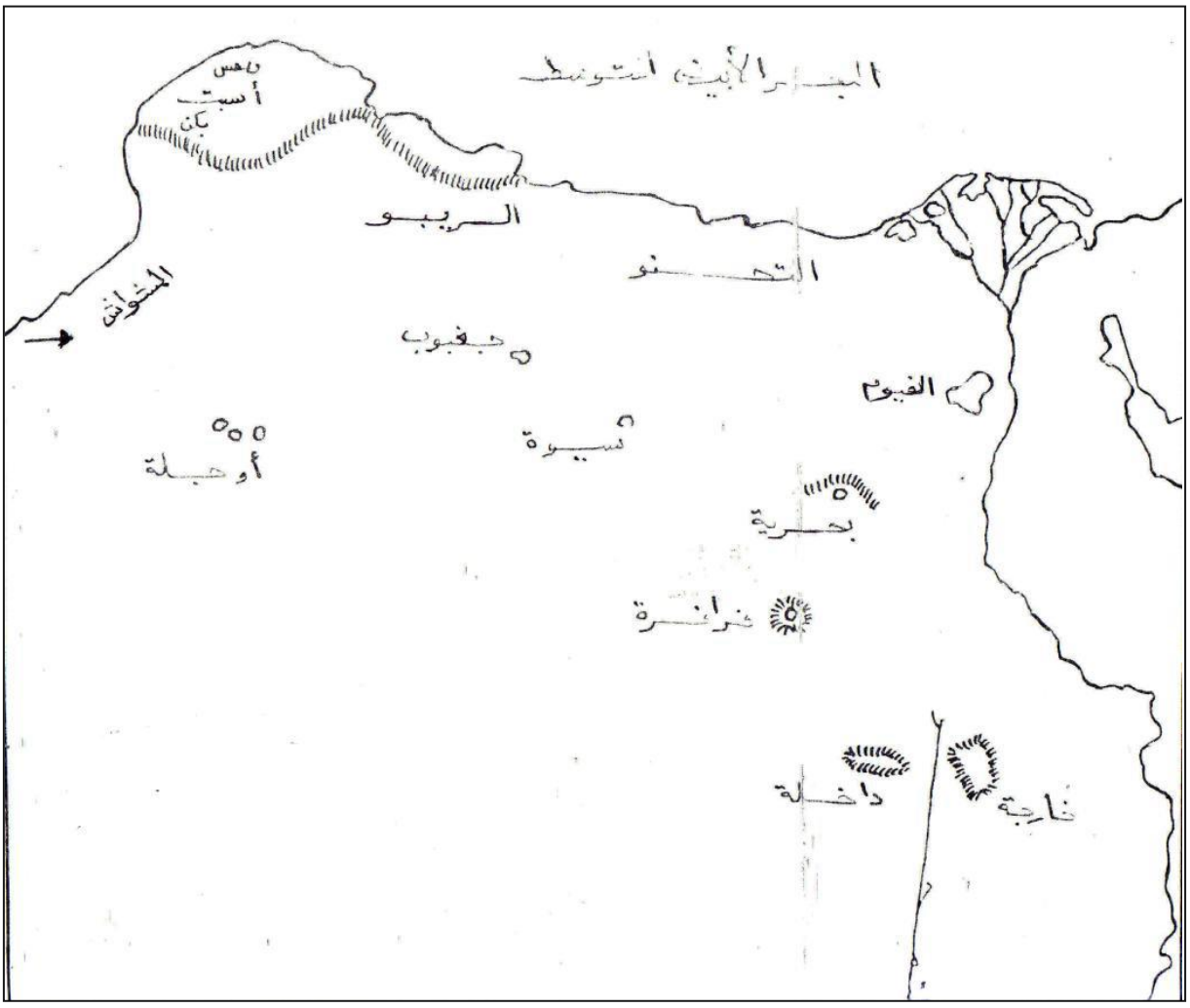

1- عيساوي (مها)، المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم من عصور ما قبل التاريخ إلى عشية الفتح الإسلامي، أطروحة دكتوراه، إشراف: محمد الصغير غانم، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009-2010، ص97.

نعالج في هذا الموضوع التأثر والتأثير الذي حدث بين المصريين والليبيين خاصة بعد غزو الليبيين لمصر حيث نشأت علاقة مميزة بين الطرفين، بلغت حد المصاهرة.

ولعل اهتمام المصريين بتصوير هؤلاء في نقوشهم يدل على إعجابهم بالليبيين، حتى أنهم لم يدرجوهم تحت صنف الأعداء أبدا رغم الصراعات التي نشبت بينهم، بل كانوا يسمون القبائل الليبية بأسمائها وهذا ما يذهب إليه العديد من الباحثين أمثال الأستاذ أحمد فخري الذي يقول: "يجب أن لا ننسى ذلك التشابه الشديد بين التحنو، والمصريين القدامى في ملابسهم، وفي مظهرهم الجسماني وفي الكثير من عاداتهم وتقاليدهم، ومظاهرهم الحضارية...، مما يؤكد انه كانت تربط بين هؤلاء و أولئك أكثر من صلة"[1]. ولعل أهم صورة تقدمها النقوش المصرية هو ذلك التنظيم الاجتماعي الذي كانت تسير وفقه تلك القبائل حيث يتضح وجود تنظيم كان يقوم على الأسرة باعتبارها أساس المجتمع، وتقوم الأسرة على قاعدة الزواج حيث تبين نقوش الكرنك هذا الواقع عند تصويرها لأمير الليبو "المربي بن داد" مع زوجته التي قد تكون السيدة الأولى كما تبين لنا التراتبية الاجتماعية القائمة على الزعامة القبلية والتي ترمز لها بعدد ريشات النعام كما أشرنا سابقا. من جهة أخرى فان المصادر المصرية تبرز لنا الامتداد التاريخي للمنطقة المتوغل في القدم والذي حاولت المدرسة الغربية الطعن والتشكيك فيه، كما تبين لنا قدم التنظيم والآليات التي انتهجها مجتمع الشمال الإفريقي القديم.

ثانيا–المصادر الأدبية: تتضمن مختلف الكتابات التي تركها الرحالة والمؤرخون من مختلف الحضارات والتي تم فيها الإشارة للمجتمع النوميدي من قريب أو من بعيد، وهي كتابات وان كانت لقيت الكثير من النقد والمعارضة إلا أنها تمثل مصدرا أساسيا في تاريخ هذه المنطقة في ظل غياب المصادر الكتابية المحلية المتخصصة.

أ–المصادر العبرانية[2]: تناولت النصوص العبرية ذكر القبائل والشعوب التي عاشت في الشمال الإفريقي، فقد ورد ذكرهم في الكتاب المقدس في سفر ناحوم وسفر دانيال، سفر حزقيال وسفر الأخبار الثاني الذي نجد فيه: "ولم يكن عدد للشعب الذي جاءوا معه من مصر: لوبيين وبيكيين وكوشين"[3]، نجد أيضا: "ألم يكن الكوشيون واللوبيون جيشا كثيرا بمركبات وفرسان كثيرة جدا"[4].وقد وردت التسمية بأشكال متعددة منها: **لوبيم** LUBIM، ليابيم LEABIM، لهابيم LEHABIM[5].

وما يميز هده التسمية في المصادر العبرية أنها:أطلقت للدلالة على اسم جنس اتنولوجي أي على شعب معين يسكن إقليما معينا إلى جانب أنها أطلقت للدلالة على منطقة جغرافية.

1–بن السعدي(سليمان)المرجع السابق، ص220.

2 - أنظر الملحق 05.

3 – الكتاب المقدس، سفر الأخبار الثاني، الاصحاح12، الفقرة3.

4- نفس المصدر، الإصحاح 16– الفقرة 18

5- بازامة (محمد مصطفى) المرجع السابق. ص22 .

الملحق 05 الكتابة القديمة لكلمة (ليبو)[1]

1-الكتابة الهيروغليفية

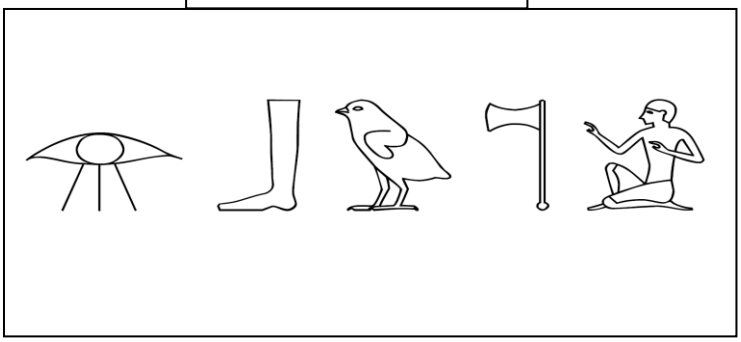

2-الكتابة العبرية

לובים

3-الكتابة اليونانية

λαδιγ

1- بازامة (محمد مصطفى)، المرجع السابق، ص-ص 22-24.

كما أنها كانت مصاحبة للمصريين والكوشيين[1] في جل المواضع التي وردت فيها ولعل هدا يعود إلى أن العبرانيين لم يعرفوا الشعب اللوبي إلا عن طريق المصريين[2].

وحسب اعتقادي فان التسمية لها دلالة جغرافية وبشرية، فالمصادر العبرية ربطت بين المعنى البشري والمنطقة الجغرافية، فاستخدمت التسمية عند ذكر الإنسان والمنطقة معا، وهذا ما نستخلصه في العديد من النصوص، ومن ناحية المعنى أعتقد أن كلمة " لوبيم" كلمة عبرية مركبة من كلمتين "لب" و"يم" الأولى بمعنى "قلب" والثاني بمعنى " البحر"، وقد يكون المعنى المقصود هو بلاد ما وراء البحر[3]، على أن المصادر العبرية كغيرها من المصادر الأخرى تبين لنا العلاقات والتفاعلات التي كانت بين المجموعات البشرية والقبائل اللوبية كما تعكس المساهمة اللوبية في مختلف الأحداث والوقائع التاريخية التي شهدها العالم وهو ما يعكس الدور الذي لعبته هذه القبائل على المستوى الإقليمي، مما يفند التوجه القائل بانغلاق القبائل اللوبية على نفسها وهو الانغلاق الذي كان سببا في تخلفها حسب أنصار هذا التوجه على غرار غوتيه.

ب–المصادر الإغريقية: ورد ذكر " لوبية " في المصادر الإغريقية من قبل الشعراء والمؤرخين، لعل أولهم هو الشاعر اليوناني هوميروس صاحب ملحمة "الأوديسا" الذي ذكر لوبا كإقليم، أطلق على سكانها اسم "اللوتوفاجي" أي آكلي نبات اللوتس[4].

أما أهم مصدر يوناني تطرق إلى بلاد "ليبيا" هو هيرودت الذي أشار إلى أن المنطقة "ليبيا" هي القارة الثالثة من قارات العالم القديم بعد أوروبا وأسيا بمعنى انه أعطى للكلمة معنى جغرافيا يشمل القارة الإفريقية كاملة، أما اسم "الليبيين" فأطلقه على الجنس الأبيض الذي سكن شمال إفريقيا فقط. ولقد قدم مصنف هيرودت[5] رصدا واسعا للوبيين، حيث بين السمات العامة للبلاد من امتداد جغرافي إلى عرض لمختلف القبائل التي كانت تقطن ربوعه[6] كما ميز بين أنماط معيشة هذا المجتمع فذكر نوعين من القبائل:

1- الكوشيين: هم الإثيوبيين والتي تعني بالإغريقية " وجه محترق"، ورد ذكرهم في عدد كثير من المصادر، يعتبرون من الشعوب الأصلية لإفريقيا ويعتقد أنهم سكان الكهوف كما يعتقد أن الزنوج هم خلفاء الإثيوبيين انظر:العياضي(حفيظة)، التركيبة البشرية للطا سيلي نأجر منذ ما قبل التاريخ إلى بداية العصور التاريخية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ القديم، إشراف:حارش (محمد الهادي)، جامعة الجزائر، 2010-2011، ص–ص (174-175).

2- بازامة (محمد مصطفى)، المرجع السابق، ص–ص 37-38.

3- فند الباحثين النظرة القائلة بالأصل العبري لكلمة "لوبية" حيث اعتبروا حرف الميم في "يم" يدل على علامة الجمع في العبرية وإذا ما استبعدناه فإن تفسير كلمة "يم" بالبحر ستكون خاطئة وبالتالي تفسير اللفظ خاطئ، انظر: المرجع نفسه، ص49.

4- Decret(F)et fantar(m. h),l'Afriqe du nord dans l Antiquite ,Ed payot ,Paris,1998 ,p15.

5- هيرودت أشهر مؤرخي الإغريق ولد بـ"هاليكارناس" حوالي 484 ق.م أشهر مؤلفاته "كتاب التاريخ"، طاف العالم القديم لمدة سبعة عشر سنة، اسمه مركب من لفظين هما "هيرا" معبودة اليونان المعروفة و"دوت" أو"دوتا" بمعنى أعطى أو أهدى، فالإسم يعني "هدية هيرا" أو"إعطاء هيرا"، توفي نحو سنة 426 أو425 ق. م، انظر: هيرودت، تاريخ هيرودت، ترجمة عبد الإله الملاح، المجمع الثقافي، أبوظبي، 2001، ص–ص، 20- 22.

6- فنظر (محمد حسين)،"اللوبيون وحدات أم شتات قبائل وشعوب مختلفة ؟"، المرجع السابق،ص- ص 49- 45.

- **قبائل رعوية:** منها قبائل : الاديرماشيد- الجيليغام- الاسبيت- المرماريداي- الاوشخيز- الغرامنت- المكاي- اللوتوفاج- الماشيل- الاوزيس، وقد أكد هيرودت أن كل هذه القبائل تعتمد على أسلوب الحل و الترحال القائم على البحث عن الكلإ والماء،كما أكد أن لكل منها تقاليدها وأعرافها وكذا منطقتها الجغرافية التي تميزها عن غيرها، وهو ما يعكس ثراء المنظومة الاجتماعية للقبائل المحلية.

– القبائل المزارعة: فقد دون هيرودت معلوماته عنها من خلال ما جمعه عن معاصريه بحيث انه لم يحتك بهذه القبائل بصفة مباشرة، وقد ذكرها على النحو التالي: الماكسيس–الزويس–الجيزانت، وهي القبائل التي مارست الزراعة بمختلف مظاهرها[1].

ويصر هيرودت في كتابه "التاريخ" على أن بلاد لوبة هي كامل المغرب القديم، وأن المجموعات السكانية التي تسكن هذه المنطقة تنقسم إلى قسمين قسم الأصلين وقسم الوافدين، حيث نجده يؤكد ذلك بقوله: "تعيش هنا أربعة أقوام لا غير، اثنتان منها أصليتان واثنتان غير أصليتين، فالليبيون في الشمال والإثيوبيون في جنوب ليبيا أصليون، والفينيقيون والإغريق استقروا فيها فيما بعد"[2]. هذا النص يقدم لنا حقائق تاريخية مهمة إذ يبين الأجناس البشرية التي توافدت إلى المنطقة، كما يبين علاقات الجوار التي حدثت بين السكان الأصلين والسكان الوافدين، تم أن تمييز هيرودت بين النوعين يبين مدى الخصوصية والتمييز الذي يظهر على القبائل المحلية التي ظلت متمسكة بعاداتها بالرغم من تأثير الثقافات الوافدة من فينيقية وهيلينية.

وهكذا نستنتج من خلال هذا الشرح والتحليل أن هيرودت قد أشار في كتابه إلى عدد كثير من الجماعات القبلية التي عاشت في المغرب القديم،فقدم تفصيلا مهما حول عاداتها ومعتقداتها الدينية ومختلف ممارساتها ونظمها الاجتماعية بل وفصل حتى في طعامها ولباسها ونشاطاتها المعيشية[3]، مؤكدا على وحدة الأرض والسكان حيث يقول "فساحل ليبيا الشمالي من مصر حتى رأس صوليس الذي هو نهاية ليبيا تسكنه قبائل كثيرة من الليبيين على طول امتداده عدا الجزء الواقع في يد الإغريق والفينيقيين"[4]. مركزا على ازدواجية المعيشة القائمة على التنقل والاستقرار، ولعل تركيزه على ظاهرة الترحال هي التي جعلت بعض الباحثين يقيمون العلاقة بين اسم النوميد والكلمة الإغريقية "نوماداس" التي تعني الرحل[5]. رغم أن الكثير من المؤرخين يأخذون على هيرودت قضية عدم زيارته إلى المنطقة والاكتفاء بوصفها عن بعد إلا أن هذا المصدر يعد من أهم المصادر الكلاسيكية التي

1- هيرودت، المصدر السابق، ص308.

2- Hérodote , Histoire, Livre IV, Texte établi et traduit par Ph. E. le grand ;Edition les belles lettres, Paris, 1980, 191.

3- من بين القبائل التي ذكرها هيرودت: الأدورماخيداي "ADORMACHIDE" الجيليجاماي "GILIGAMAE" الاسبوستاي "ASBYSTAE" الاسخساي "AUSCHISE" الناسموس "NASAMONES" الماكسي "MAXYES". . . الخ. انظر:

Hérodote ,IV, 168,169,170,171,172,173,174,175,176,177,178,179,180

4- IbId ,II ,32.

5-عقون (محمد العربي)، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، المرجع السابق، ص158.

قدمت وصف انثروبولوجيا للقبائل التي سكنت بلاد المغرب القديم. ولقد شكل كتاب هيرودت القاعدة التي انطلق منها المؤرخون من بعده على غرار سترابون[1] الذي تطرق في كتابه المعنون "بالجغرافية" في الجزء الثالث الفقرة الثالثة والعشرين إلى الجغرافيا البشرية لمنطقة بلاد المغرب، حيث أشار إلى قبيلتين كبيرتين:"الماسيل والماسيسيل"[2] وهما القبيلتين اللتان صنعتا تاريخ نوميديا خلال القرن الثالث قبل الميلاد.

وخلاصة القول أن المصادر الأثرية والأدبية الكلاسيكية تبين لنا مدى عراقة مجتمع الشمال الإفريقي الذي برز في هذه المصادر ككيان جماعي تطور عبر فترة تاريخية طويلة تفاعل خلالها مع مختلف المجموعات البشرية المجاورة له، كما ربط علاقات متنوعة مع جيرانه، كما توضح الأسس التنظيمية والخصائص الثقافية والاجتماعية التي تميز بها هذا المجتمع من عادات وتقاليد وأعراف وقيم، شكلت شخصيته التي نمت وتطورت لتبرز في شعوبه وقبائله في الفترات التاريخية اللاحقة، على أن المصادر الكلاسيكية الأدبية ذكرت المجتمع النوميدي كوحدة عرقية وحضارية متميزة عن باقي مجتمعات وقبائل بلاد لوبة ،كما بينت انه شعب عريق يمتد إلى أقدم العصور ومن خلال هذه المصادر برزت ملامح مجتمع فتي ظهر على الساحة المحلية و الإقليمية والدولية.

المبحث الثاني الامتداد الجغرافي للمجتمع النوميدي: سنحاول في هذا المبحث أن نحدد المجال الجغرافي الذي أطلق عليه تسمية نوميديا مع رصد أهم الأحداث التاريخية الكبرى، التي مرت بها المنطقة إلى غاية فترة الاحتلال الروماني مع تتبع أهم التطورات والتفاعلات التي مرت بها المنطقة والتي كان لها التأثير العميق في التركيبة والمنظومة الاجتماعية.

أولا–حدود ومجال نوميديا: تعددت التسميات التي أطلقت على منطقة نوميديا،وذلك حسب الفترات الزمنية والأقوام البشرية التي احتكت بالسكان الأصلين،من أشهر هذه التسميات "الليبو"، وهي التسمية التي رجح بعض المؤرخين انها قد تنسب إلى البحارة الايجين–الكريتين الذين أطلقوا على السواحل الجنوبية للمتوسط تسمية "ليبوس LIBS "بمعنى "الداكن" مقابل مصطلح "ليقوس LIGUS" بمعنى "الفاتح" والذي أطلق على سكان السواحل الجنوبية[3].

أما تسمية ليبيا التي وردت في المصادر الإغريقية فقد أطلقت للدلالة على الجنس وعلى المنطقة لكنها أخذت في الانكماش التدريجي حتى اقتصرت على إقليم برقة وطرابلس ليحل محلها اسم إفريقيا التي يعتقد أنها

1–سترابون STRABON ولد في أماسيا AMASSIA في منطقة بحر مرمرة عام 63 أو64 ق.م من أسرة ثرية تعلم في روما ابتداءا من سنة 44 ق.م وفي عام 25 ق.م ذهب إلى مصر وعاش في الإسكندرية مدة خمس سنوات من أشهر مؤلفاته موسوعته الجغرافية بعنوان GEOGRAPHIA أنظر: أخشيم (علي فهمي)،نصوص ليبية،ط1،دار مكتبة الفكر،طرابلس،1975،ص–ص 58–59.

2– يؤخذ على سترابون خلطه بين كلمة نومادس NUMADES الإغريقية التي تعني الرحل ونوميديون NUMIDES التي لا يعرف معناها في اللغة المحلية. انظر: حارش (محمد الهادي)، دراسات ونصوص في تاريخ الجزائر وبلدان المغرب في العصور القديمة، دار هومة، الجزائر، 2001، ص193.

3– Decret(F)et fantar(m. h),op-cit,pp. 17-18

تنسب إلى بطل أسطوري يسمى "افريقش"[1]، كما تنسب هذه التسمية أيضا إلى الكلمة المحلية" افري" بمعنى المغارة وأطلقت على كامل المنطقة الممتدة من غرب مصر إلى مضيق هرقل،فكانت أعم واشمل من تسمية ليبيا.

ومع مطلع القرن الثالث ق.م بدأت تسمية "المجتمع اللوبي" أو "الليبي" في الأفول،لتحل محلها تسميات جديدة ترمز إلى مجتمعات صغيرة منشقة عن المجتمع اللوبي، حيث أخذت المصادر الرومانية تفصل في هذه المجتمعات والأقوام، فأطلقت تسميات مخالفة لما ورد في نظيرتها الإغريقية مثل "افريكانوس"، " المور"، " النوميد"[2]، حتى أن بعضهم ألحق بهم صفات لم ترد في المصادر السابقة " كسالوست Salluste" الذي ذكر "أن أول سكان إفريقيا الجيتوليون والليبيون وهم قوم متعجرفون يتغذون على الحيوانات المتوحشة أو حشائش الحقول على طريقة القطعان، لا يحكمهم عرف ولا قانون ولا حاكم، يتسكعون متفرقين،ولا يتوقفون إلا إذا باغتهم الليل"[3].

والحقيقة أن هذا الرأي يخالف ما ذهب إليه هيرودت الذي أكد على أن الشعب المغربي القديم عرف الزراعة –مظهر التحضر آنذاك– كما عرف الاستقرار وهو ما يفند ما ذهب إليه سالوست ،ولعل رأي سالوست جاء بحكم انتماءه لروما وبالتالي عكس الكره والحقد الروماني على الشعب النوميدي.

على العموم يبدو أن مصطلح نوميديا أطلق على دويلة فتية بدأت في البروز على الساحة الدولية والمحلية التي كانت قد عرفت صراعا وتصادما بين قرطاج وروما[4] فيما عرف في التاريخ باسم الحروب البونية التي هدمت على إثرها قرطاج[5].

ولقد عرف مصطلح نوميديا جدلا واسعا بين المؤرخين والباحثين، لا يزال مستمرا إلى يومنا هذا، ففي الوقت الذي اعتبرها سترابون وسالوست[6] مشتقة من كلمة "نوماداس NOMADES" الإغريقية التي أوردها هيرودت في مؤلفاته بمعنى الرحل[7]، نجد الكثير من المؤرخين المحدثين يرفضون هذه المقارنة اللغوية لعدة أسباب منها:

1- ابن خلدون(عبد الرحمن)، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مج6، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت، 1979، ص89.

2- ذراع (الطاهر)، الحضارة القرطاجية النوميدية، 814-146 ق. م، ب. ط، أدرار، 2009-2010، ص212.

3- Sallust,jugrtha,XVII,texte etabli et traduit par A. Ernout,10 eme tirage,les belles lettres,Paris, 1974.

4- غانم (محمد الصغير)، المظاهر الحضارية والتراثية لتاريخ الجزائر القديم، ج4، دار الهدى، الجزائر، 2011، ص145.

5- عرفت هذه الحروب بالحروب البونية أو البونيقية، اندلعت بين روما وقرطاجة سنة 246 ق.م وانتهت سنة 146 ق.م إثر تهديم قرطاجة والسيطرة عليها. أنظر: غانم (محمد الصغير)، معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر، دار الهدى، الجزائر، 2003، ص-ص 245-247.

6- سالوست SALLUST مؤرخ لاتيني ولد سنة 87 ق. م، من أنصار يوليوس قيصر لذلك ولاه الحكم بالولاية الجديدة في إفريقيا ومنحه لقب برايتور PREATOR استمر في الولاية 46-45 ق. م، ألف كتابه المشهور (حرب يوغرطة)، انظر: البرغوثي(عبد اللطيف محمود)، التاريخ الليبي القديم من أقدم العصور حتى الفتح الإسلامي، ج1، دار صادر، بيروت، 1971، ص 84.

7- عقون (محمد العربي)، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الافريقي القديم، المرجع السابق، ص187.

1-أن كلمة نوميد لم يحدد معناها في اللغة المحلية وهذا بحكم صعوبة النطق للأسماء والمدن الليبية على غير العارفين باللغة المحلية[1]، نظرا لصعوبة اللغة المحلية وغياب الكتابات والتفاسير التي تشرح اللغة المحلية، وعدم اهتمام اللغويين بهذه اللغة التي ظلت محصورة جغرافيا ولم تؤثر في الساحة الدولية كاللاتينية و الإغريقية.

2-ضياع الكتب اللوبية بعد تدمير قرطاج سنة 146 ق.م، من قبل الرومان وحرق مكتباتها مما أفقدنا النصوص والوثائق التي كانت لتزيل الكثير من اللبس عن تاريخ المغرب القديم[2].

3-وجود تناقض في الاشتقاق وما ذكره هيرودت وسترابون نفسه،حيث يشيران إلى أن المنطقة "نوميديا" عرفت بأراضيها ذات الجودة العالية من ناحية الخصوبة،مما دفع بالسكان إلى ممارسة الزراعة والاستقرار[3] ومن جهة أخرى يذكران أن سكانها كانوا رحلا يمارسون النشاط الرعوي ولم يعرفوا حياة الاستقرار و ظلوا متوحشين بدائيين.

4-هيرودت عندما ميز بين الليبيين الرحل والليبيين المزارعين حدد المجال الجغرافي للمزارعين في المنطقة المأهولة بالنوميد وهذا "يثبت أن التسمية الإغريقية ليست مستخلصة البتة من ملاحظة إثنوغرافية عن نمط العيش"[4]، بمعنى أن هيرودت لم يكن يقصد باللفظ نوماداس قبيلة معينة،ولكنه أوردها كصفة لحياة البداوة والترحال.

5- تحويل المصادر الرومانية الصفة الى اسم علم أطلقته على جموع قبائل الماسيل والماسيسيل[5]. ويبدو أن اعتماد الرومان على المصطلحات وتسميات جديدة للمجموعات القبلية التي كانت تسكن في بلاد المغرب القديم كان يهدف إلى:

ا- العمل على تقليص تأثير الثقافة الإغريقية في المنطقة من خلال فرض نظيرتها اللاتينية، وذلك في إطار تنافس الإغريق والرومان فيما بينهما لنشر ثقافتهما وحضارتهما، والسيطرة على المنطقة.

ب- محاولة روما القيام بدراسة تفصيلية لشعوب وقبائل المنطقة بهدف تسهيل التعرف عليها وبالتالي السيطرة عليها واحتوائها.

ج- الحرص على جعل سكان المنطقة المغربية أجناس وافدة وليست أصلية، وهذا للقضاء على عنصر الوطنية، وهو الأمر الذي جعلهم يسقطون في مطب الخرافات والأسطورة، فنجد على سبيل المثال سالوست يذكر أن:"

1- Pline l'ancien, histoire natur, livre v, trad. jehan desanges, ed. les belles lettres, paris, france, 1980, v, 1

2- شنيتي (محمد البشير)، الإحتلال الروماني لبلاد المغرب "سياسة الرومنة" 146 ق. م-40م، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص18.

3- شارل (أندري جوليان)، المرجع السابق، ص-ص 132-133.

4-كامبس (غابريال)، البربر، تر:عبد الرزاق الحليوي، ط1، منشورات أليف، 1997، ص52.

5- أرمنجتون (ب. ه)، تاريخ إفريقيا العام-العصر القرطاجي-، مج12، ج18، مطابع كاتالي، تورينو، 1985، ص454.

النوميد أصلهم فرس "PERSAE"[1]، وعبروا من اسبانيا إلى مناطق مجاورة لـ "بحرنا"[2]، وأخذوا يتنقلون كثيرا بحثا عن بلد مناسب للعيش،فعرفوا باسم"نوماداس NOMADES"، وعرفت مساكنهم باسم "ماباليا MAPALIA" وهي مستطيلة الشكل ذات جدران منحنية تعلوها أسقف تشبه غواطس السفن، وبعد نمو قوتهم انشقت عنهم جماعة اتخذت من الأراضي المجاورة لقرطاج موطنا لها عرفت بنوميديا بشعبها القديم والحديث"[3].

خلاصة القول أن تسمية المجتمع النوميدي كانت مطاطية تغيرت عبر العصور لتصل إلى هده التسمية، ويبدو أن نوميديا قد ظهر على خلفية اتحاد مجموعة من القبائل واندماجها اجتماعيا في ظروف تبقى مجهولة.ولقد جمع بين هذه القبائل التجاور الجغرافي ووحدة العادات والأعراف و المعتقدات الدينية، لهذا اهتمت المصادر بهذه المجموعات السكانية وحاولت دراستها.والحقيقة أن النوميد رغم التصاق صفة البداوة والترحال باسمهم، إلا إنهم عرفوا الزراعة والاستقرار، وهو ما سنتطرق إليه فيما سيأتي.

ثانيا– الخصائص الجغرافية: يجمع جل المؤرخين القدماء منهم والمحدثين على أن نوميديا شغلت المنطقة الجغرافية المحصورة بين حدود قرطاج شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا،وتكونت على إثر اتحاد أو تكتل لمجموعة من القبائل المحلية هي:الماسيل و الماسيسيل[4]، والملاحظ أن الحدود بين القبائل النوميدية غالبا ما كان يعتمد في تحديدها على المعالم الطبيعية الثابتة مثل:المجاري والمسطحات المائية كالأودية والشطوط،لأنها يسهل تحديدها ومتابعتها والتحكم فيها وهذا التحديد يظل نظريا بحكم تداخل المناطق والاحتكاكات المستمرة بين القبائل.وضبط حدود نوميديا لا يتأتى إلا بتحديد المجال الحيوي لقبائل الماسيل والماسيسيل.

أ– قبائل الماسيسيل: جاء ذكر هذه القبائل في منتصف القرن الثالث ق.م على اثر بروز ما يصطلح على تسميته "بالدولة النوميدية الغربية"[5] تمركزت هذه القبائل في المنطقة الممتدة ما بين حدود قبائل "المور"[6] غربا الى حدود

1- هذه النظرية لقيت معارضة شديدة من المؤرخين المحدثين حيث اعتبروها خيال محض تنطلق من فكرة تقليدية تتمثل في كون الشرق في الموطن الأصلي للشعوب، وأن العنصر الشرقي هو الذي عمر بلاد المغرب وهذه الفكرة فيها ما يقال، إضافة إلى أن سالوستوس يقسم بلاد المغرب عرقيا رغم أن كل المصادر الكلاسيكية والحديثة تؤكد أن هذا التقسيم هو تقسيم على أساس نمط المعيشة. أنظر: عقون (محمد العربي)، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم المرجع السابق، ص–ص 186-187.

2- بحرنا: يقصد البحر الأبيض المتوسط، وقد أطلق عليه الرومان هذه التسمية ونسبوه لأنفسهم MAR NOSTRUN، انظر: حارش (محمد الهادي)، دراسات ونصوص في تاريخ المغرب في العصور القديمة، المرجع السابق، ص185.

3- سالوسيتوس، المؤرخون القدامى غابوس كريسبوس سالوسيتوس وكتابه حرب يوغرطة،تر: عقون (محمد العربي) ط1، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2006، ص–ص 91-94.

4- غانم (محمد الصغير)، المملكة النوميدية والحضارة البونية، ط1، دار الأمة، الجزائر، 1998، ص 50.

5- المرجع نفسه، ص58.

6- قبائل المور: أطلق على القبائل التي استقرت بأقصى الشمال الإفريقي غربا ما بين نهر ملوية والمحيط الأطلسي، في مدلول الاسم جعله البعض فينيقي مشتق من كلمة ما هوريم التي تعني أهل الغرب، واعتبرها بعض المؤرخين النواة الأولى للملكة الموريتانية وخلال الفترة الرومانية اصبح اسم المور وموريتانيا يحمل دلالة ادارية. حيث اطلقوا على مقاطعتين اسم موريطانيا القيصرية، موريطانيا الطنجية بعدها أصبح الاسم "المور" يطلق على الأهالي المتمردين

قبائل الماسيل شرقا، وقد حددها المؤرخون القدامى في المنطقة الممتدة من نهر ملوية غربا إلى رأس تريتون شرقا، فعلى سبيل المثال يشير بلين القديم Pline L'ancien إلى هذا بقوله:"نهر الملوشية يفصل بين مملكة بوكوس والماسيسيل"[1]، أما سترابون فيؤكد أن مساحة بلاد الماسيسيل تقدر بـ 6000 ستادوم[2] من رأس تريتون (بوقرعون COP. TRETUM) شرقا إلى رأس متاغونيوم غربا الواقع على الأرجح عند مصب نهر الملوشية هذا فيما يخص الامتداد ناحية الشمال[3]، أما جنوبا فتبقى مجهولة لسكوت المصادر عنها، لكن يبدو أن حدود الممالك النوميدية جنوبا تنتهي عند حدود القبائل الجيتولية.

ب– قبائل الماسيل: على غرار قبائل الماسيسيل، من الصعب تحديد الامتداد الجغرافي لقبائل الماسيل،ومع ذلك فقد توصل الباحثون إلى أن مضارب هذه القبائل امتدت من شرق الجزائر إلى شمال تونس باستثناء أملاك الدولة القرطاجية[4]. وقد حدد ديزانج.ج (DESANGES. J) مناطق تواجد قبائل الماسيل في سيرتا وما حولها شرقا وصولا إلى خليج سرت بليبيا حاليا[5]، ويعتبر إقليم سيرتا أهم مناطقها وهو منشأ الأسرة الحاكمة الماسيلية[6]. ومن ثمة فقبائل الماسيل انحصرت ما بين أملاك الدولة القرطاجية شرقا وقبائل الماسيسيل غربا وأراضي الجيتول جنوبا،إذا أخذنا بعين الاعتبار تمركز القبائل الجيتولية LES GETULES حول جبال الأطلس الصحراوي بدءا من المغرب الأقصى وصولا إلى طرابلس وخليج السرت[7]. وتجدر الإشارة إلى غياب تحديد دقيق ومضبوط نظرا للتغيرات التي شاهدتها هذه الحدود في مختلف الفترات التاريخية، ويعزي هذا إلى جملة من العوامل منها:

1- التنقل المستمر للقبائل خاصة البدو الرحل من وإلى مختلف الاتجاهات وهو ما جعل ضبط مواقعها صعبا.
2-سكوت وغموض المصادر القديمة عن الموضوع حتى وإن ذكر فيكون في حدود معينة مرتبطة بالأحداث العسكرية والسياسية، هذا من جهة ومن جهة أخرى حتى المؤرخين كانوا يجهلون أعماق نوميديا فاكتفوا بدراستها عن بعد.

والعصاة فانتقل من المفهوم الإداري والجغرافي إلى صفة تطلق على كل من رفضوا الإذعان لسلطان روما. انظر: شنيتي " محمد البشير "، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني،ج1، المرجع السابق،ص15.

-عقون(محمد العربي) الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، المرجع السابق، ص159.

-كامبس(غابريال)، المرجع السابق، ص177.

1- Pline L'ancien ,v,19

2- ستادوم: 125 خطوة = 625 قدما = 8، 1 الميل الروماني انظر: شنيتي (محمد البشير)، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، ج1، المرجع السابق، ص17.

3- انظر الملحق06.

4- غانم (محمد الصغير)، المملكة النوميدية والحضارة البونية، المرجع السابق، ص51.

5- Desanges, Catalogue des tribus africaines a L'ouest du Nilles dans L'antiquité classique,Daker, 1962,p237

6- غانم (محمد الصغير)، المملكة النوميدية والحضارة البونية، المرجع السابق، ص57.

7- Gsell(s),Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord,T.V. Librairie, Hachette,Paris,1927, p110.

3- الصراعات الداخلية (بين القبائل النوميدية) والإقليمية (بين روما وقرطاج ونوميديا) التي جعلت الحدود الجغرافية تخضع لمنطق القوة والانتصار،فنجد روما خلال انتصاراتها المتتالية تؤثر في تغير الخريطة السياسية للمغرب القديم عدة مرات تبعا لمصالحها الاقتصادية والإستراتيجية[1].

الملحق 06 مملكة نوميديا الموحدة[2]

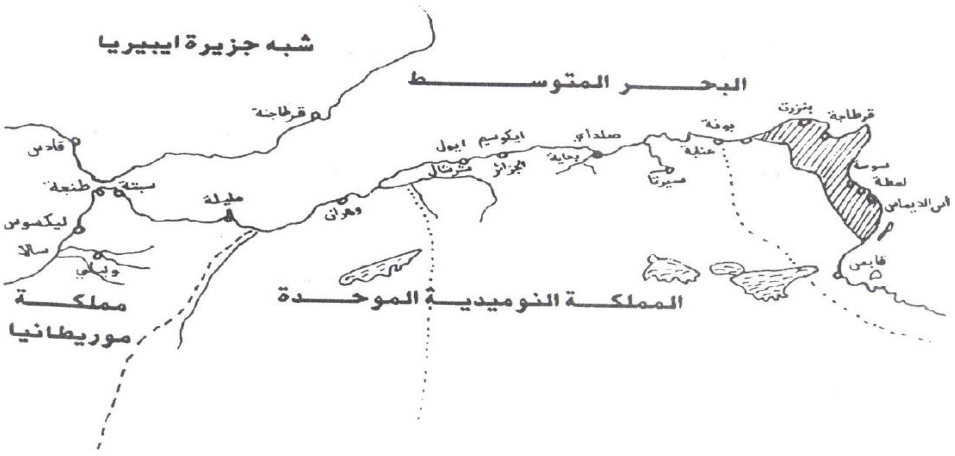

1-شنيتي (محمد البشير)، الاحتلال الروماني لبلاد المغرب "سياسة الرومنة" 146 ق. م-40م، المرجع السابق، ص10.

2- غانم (محمد الصغير)، المملكة النوميدة والحضارة البونية، المرجع السابق، ص 91.

لقد أشاد عدد كبير من المؤرخين الكلاسيكيين بأراضي وموقع نوميديا فنجد بلين القديم يشير إلى أن أراضي الماسيسيل "كانت مزدهرة وتغل مرتين في السنة ربيعا وصيفا"[1]، وأشار سالوست إلى أن الأرض ملائمة لتربية الماشية ومنتجة للحبوب[2].

أما سترابون فقد قدم وصفا للمنطقة النوميدية جاء فيه: "يمتلك النوميديون أراضي جد خصبة ولكنها مليئة بالحيوانات المتوحشة التي أعاقتهم على ممارسة الزراعة والاستقرار، فتركوا حقولهم للزواحف والحيوانات المفترسة وأصبحوا يعيشون حياة البداوة والتنقل نظرا لقحولة أراضيهم وجفاف و قسوة مناخهم"[3].

مما سبق نستنتج أن أراضي نوميديا هي أراض ذات خصوبة عالية ملائمة لممارسة النشاط الزراعي،و يمكن تقسيم الأقاليم النوميدية من حيث الخصائص الجغرافية إلى ثلاثة أقسام رئيسة وهي:

أ- إقليم الشريط الساحلي الشمالي: الملامس للبحر الأبيض المتوسط، يتميز بأراض خصبة وشواطئ خالية من الخلجان الطبيعية الكبيرة والرؤوس المكسرة للرياح، ومن أشهر الموانئ التي برزت وزادت أهمية بعد تأسيس قرطاجة نذكر: إيكوسيوم IKOSIUM(الجزائر)، صلداي SALDAE(بجاية)، شولو CHOLLO (القل)[4].

ب-إقليم المرتفعات الداخلية: المتمثلة في سلسلتي الأطلس التلي والصحراوي والسهول الداخلية التي تتخللها،تتميز أراضيه بالارتفاع والانبساط، وتعرف بالنجود أو الهضاب العليا،ولكون هذا الإقليم ذا طابع رعوي فقد كانت القبائل الجيتولية تتردد عليه باستمرار قادمة من الجنوب، وهو الأمر الذي كان يؤدي إلى نشوب صراعات بين هذه القبائل والقبائل المستقرة في الإقليم، وعند وصول الرومان ظلت هذه الممارسات تربك الإدارة الرومانية مما جعلها تقيم الحصون والخطوط الدفاعية في الإقليم،وتمتد بين سلسلتي الأطلس ألتلي والأطلس الصحراوي سهول تتسع غربا وتضيق بشكل تدريجي في المناطق الشرقية[5]، لقد حرصت روما كل الحرص على استغلال هذه المنطقة لما لها من خصوبة، ولأهميتها الإستراتيجية، حيث تربط الشمال بالجنوب، وهو ما جعلها تقيم بها مستوطنات للجنود المسرحين بعد أداء الخدمة العسكرية، وقد ظلت منطقة تصادم بسبب التمركز الدائم للعناصر المحلية الثائرة بها[6].

ج- الإقليم الصحراوي: يغلب عليه طابع الانبساط ويشكل عمق المجال النوميدي بامتدادها نحو القارة الإفريقية يتميز بمناخه الحار صيفا والبارد شتاء إضافة لندرة الأمطار وهو ما جعله إقليما ذا مناخ قاس، ورغم ذلك فإنها

1- Pline L'ancien,v,17

2- الحارش(محمد الهادي)، دراسات ونصوص في تاريخ الجزائر وبلدان المغرب في العصور القديمة، المرجع السابق، ص185.

3- Strabon,geographie(vol),trad,a.tradieu,edition hachette,paris,1867,XVII,3.15

4-شنيتي (محمد البشير)، الجزائر في ظل الإحتلال الروماني، ج1، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،1999، ص22.

5-حسان (حامد)، أطلس العالم الصحيح، ط1، دار مكتبة الحياة، بيروت، ص2000.

6- شنيتي (محمد البشير)، الجزائر في ظل الإحتلال الروماني، ج1،المرجع السابق ، ص28.

شكلت القاعدة الخلفية للعناصر المحلية الثائرة المقاومة للاحتلال الروماني، لهذا عملت روما على عزل ومراقبة المنطقة من خلال استحداث مراكز للمراقبة قصد الحد من تنقل هذه العناصر وتقيد تحركاتهم[1].

الملفت للانتباه أن هذا الموقع الجغرافي وتباين البنية المورفولوجية عرض نوميديا لتأثيرات البحر والصحراء وهو ما أدى إلى تباين المناخ وبالتالي تباين الغطاء النباتي الذي اعتبر ثريا، حيث انتشرت أشجار الزيتون والصنوبر النوميدي وغيرها، كما انتشرت زراعة الحبوب بالأخص القمح الذي داع صيته وأصبح معروفا عالميا وجدب أطماع الغزاة عبر العصور.

وهكذا لعبت المعطيات البيئية والطبيعية في نوميديا دورا مهما وحساسا في تاريخ المنطقة فهي وإن لم تكن سببا مباشرا في التطور التاريخي، فإنها ساهمت فيه[2]، حيث جدبت العناصر البشرية المتنوعة وساعدتها على الاستقرار في المنطقة النوميدية، هذا من جهة ومن جهة أخرى، فقد أدت الجغرافية إلى تنوع الأنماط المعيشية حيث برزت ثنائية الفلاحين المستقرين والرعاة المتنقلين، وهي الازدواجية التي حاول بعض المؤرخين الاستثمار فيها وجعلها سببا مباشرا لعدم تحقيق توافق اجتماعي في المنطقة النوميدية، لكن هذه النظرة الضيقة والضعيفة يفندها الإقبال الكثير والتنوع الواسع للأجناس البشرية التي استقرت في نوميديا وهو ما سنقف عليه في الفصول القادمة.

المبحث الثالث:التدخل الروماني وتنظيماته المستحدثة في المنطقة النوميدية: برزت ملامح المجتمع النوميدي المتكامل القائم على تجمعات قبلية ذات وحدة عرقية وجغرافية وحضارية، وهو ما ولد رغبة في تكوين وحدة سياسية وتكوين مملكة موحدة بدل مملكتين غربية وشرقية، بدأت هذه المساعي ابتداء من القرن الثالث ق.م على أيدي ملوك تميزوا بالطموح السياسي، فعملوا على توحيد المنطقة لكن المشروع تم إجهاضه بوصول الرومان واحتلالهم للمنطقة وتجزئتها إلى ولايات رومانية انطلاقا من سياسة"فرق تسد".

أولا–الممالك النوميدية ابتداء (من القرن الثالث ق.م إلى 46ق م): أوردنا سابقا أن القرن الثالث ق.م كان بداية لظهور مملكتين نوميديتين، حيث ورد في سنة 213 ق.م ذكر أحد الملوك النوميديين وهو"سفاكس" الذي ربطته علاقات قوية مع القرطاجيين[3]، قبل أن تتصدع بسبب ميل قرطاجة إلى غايا (GAIA) ملك نوميديا الشرقية[4] التي كانت أقرب إلى قرطاجة جغرافيا مما جعل مصالح الطرفين مشتركة، لكن علاقة قرطاجة مع سفاكس سرعان ما عادت إلى سابق عهدها بعد إدراك قرطاجة لأهمية التحالف معه[5].

1–مجموعة من الباحثين، الأطلس العالمي، ط1، المعهد التربوي الوطني، الجزائر، 1986، ص31.

2–دراع (الطاهر)، المرجع السابق، ص211.

3– Polybius, Histoire Romaine, Trad. Denis Roussel, Ed. Gellimard Bibliotheque De La Pleide, Paris, 1970, Liv III, 33,15

4– Tite,Livre, Histoire Romaine, Trad, (10 vol), Ed. Classique, Paris, 1941, XXIV,p48-49.

5– أعادت قرطاجة علاقتها بسيفاكس بعد تزويجه بسوفونسيبة ابنة القائد القرطاجي صدر بعل ابن جيسكوم والتي تنتمي إلى الطبقة الأرستقراطية وهو زواج يمكن وصفه بالزواج السياسي، انظر: دراع (الطاهر)، المرجع السابق، ص222.

وقد ذهب البعض إلى أن سفاكس هو الذي سعى لربط العلاقة مع قرطاجة، حيث عرض عليها الصلح مقابل ضم مملكة الماسيل[1]، وفعلا تمكن سفاكس من ضم مملكة نوميديا الشرقية، واضعا بذلك اللبنة الأولى لقيام دولة نوميديا الموحدة، ورغم أن هذه الوحدة لم تستمر إلا ثلاث سنوات (205-203 ق.م)[2]. حيث شهدت سنة 203 ق.م هزيمة الملك سفاكس في معركة سيرتا التي انتصر فيها وريث العرش الماسيلي ماسينسا (238-148 ق.م)[3].

استرجع ماسينسا مملكة أجداده (الماسيل) واستولى على الجزء الأوفر من مملكة الماسيسيل، فامتدت في عهده مملكة نوميديا الموحدة من واد ملوية غربا إلى حدود الدولة القرطاجية شرقا،ومن موانئ الشمال إلى خليج السرت الكبرى وبلاد طرابلس والجنوب الشرقي[4].

وقد أكد جل المؤرخين على أن فترة ماسينسا من أزهى فترات البلاد النوميدية، حيث تمكن بفضل شخصيته القوية من إخضاع القبائل النوميدية بما فيها قبائل الجيتول في الجنوب، كما رفع شعار "إفريقيا للأفارقة "، وقال عنه المؤرخ بوليب "قبل حكم ماسينسا لم تكن نوميديا إلا أرضا بورا، قاحلة، وبفضله وحده وبجهوده فقط، أصبحت تلك الأرض منتجة لكل أنواع الثمار"[5].

لقد أكدت المصادر على الدور البارز والتاريخي الذي لعبه ماسينسا في تاريخ نوميديا حيث اكتسب شهرة واسعة بفضل حنكته وسياسته التي قامت على توطين البدو والعمل على استقرارهم كما عمل على تقوية الروابط الاجتماعية من خلال العادات والتقاليد التي تحولت إلى أعراف، وعمد إلى مد جسور التعاون بين أفراد مجتمع مملكته، وتحقيق الانفتاح الثقافي على العالم الخارجي من خلال الإقبال على الثقافة اللاتينية والهيلينية[6]. وقد اصطدم ماسينسا بطبيعة النظم الاجتماعية و الاقتصادية التي كانت سائدة في نوميديا والقائمة على الطابع القروي والقبلية، وهي التركيبة التي تعارضت مع مشروعه الرامي إلى توحيد المنطقة، ولتجسيد هذا المشروع حرص ماسينسا على تطبيق جملة من الإجراءات المتمثلة في ما يلي:

1-شريط (عبد الله)، الميلي(محمد مبارك)، مختصر تاريخ الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989، ص32.

2- GSELL(S), op-cit, T. III, P193

3-ماسينسا ابن الملك غايا بن زلالسن ووالدته معروفة بالعرافة واسم ماسينسا مقسم إلى "ماس" تعني السيد و"نسن" تعني القوم أوالجماعة ويقال أنه تعني ابن الاثنين ولعل المقصود بهما الإلهين الرسميين للنوميديين بعل حمون وتانيت، ورد في التاريخ أن مسنسن تلقى تعليم هليني مما جعله ملما لثقافة عصره، أما عن صفاته الجسمانية فكان فارسا ماهرا ذو شخصية بطولية من أهم معاركه "زاما" الشهيرة سنة 201 ق.م حكم المملكة النوميدية لمدة 56 عام. انظر:غانم (محمد الصغير)المملكة النوميدية والحضارة البونية، المرجع السابق، ص70-71.

-وارمنجتون (ب. هـ)، المرجع السابق، ص ص، 470، 472.

4-محجوبي (عمار)، ولاية إفريقية من الاحتلال الروماني إلى نهاية العهد السويري (146 ق. م-235م)، مركز النشر الجامعي، تونس، 2001، ص71.

5- Polybius, XXXI, 16-21 .

6- دبوز(محمد على)،تاريخ المغرب الكبير، ج1،على الموقع:twalt.com،تاريخ الرفع:2012/11/10،ص،ص،214-215.

1- العمل على استقرار السكان من خلال إنشاء المدن وتطوير الحياة الحضرية فأسس مدنا على الطراز البوني يتولى تسير شؤونها "الاشفاط Suffetes" إلى جانب مجالس القبائل، وقسم المدن إلى ثلاث أقسام:

أ-مدن عواصم: وهي تلك المدن التي اتخذها الاغاليد عاصمة لمملكتهم على غرار سيرتا وزاما.

ب-مدن ريجيا: تأتي ي المرتبة الثانية بعد العواصم كانت اغلب أراضيها الزراعية ملكا للأسرة الحاكمة لهذا اكتسبت تسمية ريجيا(ملكية) مثل زاما ريجيا وبولا ريجيا.

جـ-ومدن أخرى: مثل سيكا ولاريس[1].

2- توسيع النشاط الزراعي عن طريق استصلاح الأراضي البور وتشجيع النوميد على خدمة الأرض من خلال توسيع الملكية الزراعية،وفي نفس الوقت إجبارهم على الانضباط والطاعة و تنمية الحس الاجتماعي والمدني حتى يتم استخلاص الضرائب.

3- ضبط حركة تنقل القبائل الرعوية وتحديد مسار تنقلاتها وهذا لتجنب الدخول في صراع مع المزارعين وحفاظا على الأمن.

4- تحقيق الاكتفاء الغذائي من خلال تشجيع زراعة القمح بالدرجة الأولى وفتح الأبواب لتنشيط التبادلات مع مختلف الدول المجاورة.

هكذا أدت هده المشاريع الإصلاحية إلى استتبات الأمن والاستقرار في البلاد النوميدية، وهو الأمر الذي أدى إلى التطور الاقتصادي والاجتماعي، كما أدى الى تنمية أواصر العلاقات الاجتماعية بين القبائل النوميدية التي أصبحت تتنقل وتختلط وتتصاهر فيما بينها، وأدت إلى ترقية المستوى المعيشي للنوميد وساعد على بروز الشخصية النوميدية على الساحة الإقليمية والدولية، وصارت نوميديا قبلة العلماء وكبار التجار[2].

وقد استمر حكم ماسينسا أكثر من خمسين سنة إلى غاية سنة 148ق.م حيث توفي ماسينسا فعين ابنه مسيبسا MICIPSA على رأس الإدارة وابنه غولوسان GULUSSAN على رأس الجيش أما ابنه مصطنبعل MASTANBAL فعين على رأس القضاء[3]، وما لبث مسيبسا أن انفرد بالحكم بعد وفاة أخويه (غولوسان ومصطنبعل)، حاول مسيبسا مهادنة روما التي أصبحت تتخوف من نوميديا الموحدة وترى فيها تهديدا مستقبليا لأطماعها التوسعية في بلاد المغرب.دام حكم مسيبسا ثلاثين عام (148-118ق.م) عمل خلالها على نشر

1- قداش(محفوظ)، الجزائر في العصور القديمة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1993، ص79.

2- حارش (محمد الهادي)، التاريخ المغاربي القديم السياسي و الحضاري-منذ فجر التاريخ الى الفتح الاسلامي-، ط1، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1995، ص129.

3- شريط (عبد الله)، الميلي(محمد مبارك)، المرجع السابق، ص41.

الاستقرار والسلم في نوميديا، كما عرفت تطورا اقتصاديا وحضاريا ورقيا فكريا ومعماريا، فباتت قبلة للأدباء والفلاسفة الوافدين من بلاد الإغريق وإيطاليا[1]. وفي سنة 118 ق.م توفي ماسينسا وعاد الحكم ليقسم مرة أخرى بين أبنائه الثلاثة: أدربعل ADHERBALL –هيمبسال HIENPSAL– وابن أخيه المتبنى يوغرطة JUGURTHA، الذي عرف بكرهه للرومان فعرف على الإنفراد بالحكم ومواجهة السياسة الرومانية الرامية إلى تقسيم المملكة وإضعافها[2].

تمكن يوغرطة بفضل حنكته وشجاعته من قتل "هيمبسال" و "أدربعل" ثم تولي الحكم النوميدي[3]، مما أثار حفيظة روما التي رأت في يوغرطة خطرا حقيقيا على مستقبلها مما يستوجب القضاء عليه،فشرعت في التجسس عليه ومراقبة الأوضاع الداخلية لنوميديا، كما حاولت توجيه سياسة ملوكها لما يخدم مصالح روما في المنطقة، فاستخدمت الجالية الايطالية كأداة لتنفيد مخططاتها، وتوافد على المنطقة–بتشجيع من السلطات الرومانية– عدد كثير منهم على العاصمة النوميدية سيرتا، وأصبح لهم نفوذ كبير في البيت الحاكم خاصة العناصر المثقفة كالأدباء والفلاسفة والفنانين والتجار، فكانوا جواسيس روما في نوميديا، ويرجح بعض المؤرخين فرضية قيام هؤلاء بقتل هيمبسال وإلصاق التهمة يوغرطة من اجل بث الشقاق في البيت الحاكم وإثارة الفتنة خاصة وإنها كانت تدرك إصرار يوغرطة على انتزاع الامتيازات التي منحها مسيبسا للجالية الايطالية، وفعلا تمكن يوغرطة من دخول سيرتا بعد حصارها سنة 112 ق.م.

ومن المفارقات الغريبة التي يمكن استنتاجها هو قيام الجالية الايطالية بالضغط على أذربعل للاستسلام خلال حصار يوغرطة لسيرتا، هذا ما يبين الدور الذي كانت تلعبه الجالية الايطالية في نشر الشقاق والصدام بين ورثة العرش النوميدي واستدراج روما للتدخل في نوميديا من خلال تقمصهم دور الضحية.

بعد سيطرة يوغرطة على سيرتا أصبح متاخما لحدود الولاية الإفريقية الرومانية المتواجدة على الأراضي القرطاجية، وأصبح مشروعه الطموح القائم على بناء الوحدة النوميدية ظاهرا للعيان، وطبعا ما كانت روما لتسمح بإعادة توحيد المنطقة وإقامة دولة تهدد مصالحها لهذا دخلت مع يوغرطة في حرب شرسة ابتداء من سنة 111ق.م، تمكن خلالها يوغرطة من إلحاق هزائم نكراء بالجيش الروماني، بعد أن تحالف مع القبائل الجيتول والمور[4].

وأمام المقاومة الشرسة ليوغرطة الذي اعتمد حرب العصابات كأسلوب لمواجهة روما لم تجد هذه الأخيرة حلا للقضاء عليه إلى أن حبكت له مؤامرة قائمة على الخيانة للقبض عليه، حيث استعانة بالملك بوكوس الذي كانت له علاقات وطيدة مع يوغرطة والذي دعاه للتشاور معه فقدم يوغرطة إليه بدون سلاح وفعلا ألقي عليه

1- Berthier(a), La Numidie, Rome Et La Maghreb, Ed. Picard, 1981, P159.

2- محجوبي (عمار)، المرجع السابق، ص76.

3- Gsell(S),op-cit , T,VII, P139.

4- Sallust, La Conjuration De Catilina, La Guerre De Jugurtha, Trad. P. Richard, Carnier, XXI

القبض سنة 105 ق.م[1] وسلمه لروما. بعد نهاية مقاومة يوغرطة دخلت المملكة النوميدية مرحلة خطيرة بفعل زيادة الأطماع الرومانية من جهة والنتائج التي ترتبت عن حرب يوغرطة من جهة أخرى، لعل أهمها تمثل فيما يأتي:

1-تغيير الحدود السياسية للمملكة النوميدية، حيث منح لملك موريطانيا بوكوس الأول الثلث الغربي كهدية له لتحالفه مع الرومان ومساهمته الفعالة في القبض على يوغرطة وتسليمه لروما.

2-منح الجزء الشرقي من نوميديا لأخ يوغرطة وهو "غودا GAUDA"الذي عرف بشخصيته الضعيفة، امتدت اراضيه من واد الشلف غربا إلى صلداي (بجاية)شرقا[2].

3-استصدار قانون ساتورنوس سنة 103 ق.م، الذي تحصل بموجبه قدماء المحاربين الرومان على قطع من الأراضي تصل مساحة الواحدة منها إلى 25 هكتار مكافأة لهم على خدمة روما.

4-اعتبار مجلس الشيوخ الروماني نوميديا ملكا للشعب الروماني بمقتضى "حق الامتلاك بعد الانتصار"[3].

إن هذه الإجراءات التي اتخذتها روما هدفت إلى القضاء على خطر الوحدة النوميدية التي كانت تهدد مشروعها التوسعي الاستيطاني بالمنطقة والحفاظ على مصالحها في المنطقة.

أما على الصعيد الاجتماعي فهي تعكس التغيرات التي طرأت على البنية الاجتماعية النوميدية، حيث تبين التحول الذي ظهر على الفئات الاجتماعية التي احتكت بالجالية الرومانية وأعجبت بحضارتها فراحت تقلدها مما جعلها تتحول من النمط الريفي إلى النمط الحضري، كما حولت نشاط الرعي إلى التجارة مما جعل هده الفئة تحرص على مصالحها الخاصة والتي كانت مرتبطة بالجالية الرومانية وهو الأمر الذي دفعها إلى عدم مساندة يوغرطة الذي التجأ إلى القبائل التي ظلت متمسكة بالنمط النوميدي وهو ما جعلها ترحب بمشروعه الوحدوي لكن أسلوب روما الجديد القائم على الخداع أجهض هذا المشروع وكرس الوجود الروماني في المنطقة[4].

ثانيا-الاحتلال الروماني وتنظيماته: عملت روما مند تأسيسها في سهل اللاتيوم LATIUM على تطبيق سياسة توسعية مست في بداية الأمر جيرانها في ايطاليا وسرعان ما توسعت لتشمل شعوب البحر الأبيض المتوسط[5]. ويذكر الباحثون على أن السياسة التوسعية التي انتهجتها كانت تهدف من ورائها لتحقيق جملة من الأهداف منها:

1- عملت روما على وضع خطة للقبض على يوغرطة بالاتفاق مع بوكوس (ملك المور وصهر يوغرطة)، أبلغ هذا الأخير يوغرطة عن استعداد روما للتفاوض معه، فقدم يوغرطة لبوكوس دون سلاح فوقع في كمين وألقى بوكوس القبض عليه فسلمه للقائد الروماني "سولا" الذي سلمه بدوره لقائده "ماريوس" الذي نقله إلى روما سنة 105 ق.م ليحتفل مع الشعب الروماني بالقبض على يوغرطة الذي وضع في سجن التوليانوم ليموت فيه بعد معاناة مع الجوع والعطش سنة 104/01/07 ق.م انظر: Gsell(S),op-cit , T,VII, P258-259.

2- Sallust,op-cit,lXV.

3- غانم (محمد الصغير)، المملكة النوميدية والحضارة البونية، المرجع السابق، ص-ص 114-115.

4- عيساوي(مها) ،المرجع السابق،ص253.

5- أوندري(ايمار) وغيره، تاريخ الحضارات العام، ج2، تر: فريد داغر، بيروت، 1981، ص 105.

1- المحافظة على الأمن الروماني عن طريق خلق قوة عسكرية قادرة على إخضاع جيرانها تفاديا لأي خطر يهدد روما.

2- تحقيق مكاسب اقتصاديا عن طريق ربط اقتصاد المستعمرات باقتصاد روما واستغلال خيراتها لصالح الاقتصاد الروماني.

3- إيجاد حلول للمشاكل الاجتماعية التي كانت تتخبط روما فيها نتيجة زيادة عدد السكان، وظهور فئة العاطلين عن العمل المطالبين بأوضاع معيشية أحسن، فكان الحل هو توجيههم نحو الحروب للحصول على الغنائم والمكاسب من تلك المستعمرات[1]. ومنذ سقوط قرطاجة سنة 146ق.م شرعت روما في التحضر لاحتواء المملكة النوميديا إلا أنها فضلت التمهل وتجنب حرب مباشرة وراحت تطبق سياسة ممهدة للاحتلال قامت على:

1-ربط الاقتصاد المغاربي بنظيره الروماني من خلال تشجيع الجالية الرومانية على الاستقرار في المنطقة ذات النشاط التجاري ومنحها مختلف الامتيازات والتسهيلات.

2-انتهاج سياسة "فرق تسد" القائمة على تحريض النوميد ضد بعضهم البعض مستغلة تركيبة القبلية للمجتمع النوميدي[2]، وهو ما أدى إلى اختلال في التنظيمات الاجتماعية في المنطقة وكرس الشقاق والتفرقة.

3-تطبيق سياسة التحالف مع الأمراء بالدرجة الأولى حيث راحت تغريهم بالمناصب والامتيازات مستخدمة إياهم كأداة لتنفيذ مخططاتها و"تهيئة الجو المغربي سياسيا واقتصاديا واجتماعيا لتوسيع النقود الروماني في البلاد بأقل التكاليف الممكنة"[3].

وبفعل هذه السياسة باتت نوميديا مرتبطة ارتباطا وثيقا بروما خاصة بعد مقتل يوغرطه الذي يمثل مرحلة انتقالية في نوميديا حيث انتقلت من مرحلة التأسيس والتشييد والوحدة إلى مرحلة الضعف والتبعية، إذ شهد البيت النوميدي انقساما عميقا في التوجه الإيديولوجي والعملي. وقد برز تياران، الأول: يرى في روما العدو الأول ولابد من التخلص من هيمنتها واستغلالها فترجم أفكاره في سلسلة من الثورات ضدها، أما التيار الثاني: فرأى في روما السبيل الوحيد لتحقيق الاستقرار والنمو، ومثل هذا التوجه الحكام النوميد الموالون لروما والمحافظون على مصالحهم في المنطقة[4]، وقد زاد في تعميق هدا الانشقاق صراع حزبي الذي ظهر في روما بين التيار الشعبي POPULATES والتيار الارستقراطي SOPIPIMATES، هذا الأخير الذي وجد لنفسه مكانة مرموقة داخل نوميديا حيث مال الملك يوبا الأول[5] إلى بومبيوس زعيم الحزب الارستقراطي الذي وضع ضمن

1- المرجع نفسه، ص-ص 109-110.

2- غانم (محمد الصغير)"علاقة النوميد بالرومان"، مجلة التراث، العدد الثاني، دار الشهاب، باتنة، 1987، ص-ص13-35.

3- شنيتي (محمد البشير)، الاحتلال الروماني لبلاد المغرب، المرجع السابق، ص 59.

4 - غانم (محمد الصغير) المملكة النوميديا والحضارة البونية، المرجع السابق، ص 118.

5- يوبا الأول هو الابن الأكبر لهيمبسال الثاني كان مند صغره ميالا إلى الظهور بالمظهر الفاخر كما كان شغوفا بالعمل العسكري تولى العرش سنة 50ق.م وانتحر بعد هزيمته أمام قيصر انظر:حارش (محمد الهادي)دراسات ونصوص في تاريخ الجزائر وبلدان المغرب في العصور القديمة، المرجع السابق، ص255.

برنامجه رفض قاطع لتوسيع حدود الولاية الرومانية على حساب مملكة نوميديا، كما رفض سياسة الاستيطان، هذه السياسة التي تضمنها برنامج الحزب الشعبي بقيادة يوليوس قيصر الذي قاد الحرب بنفسه في إفريقيا من أجل القضاء على بومبيوس ومناصريه على رأسهم يوبا الأول، فنزل في حدرومات (مدينة سوسة حاليا) يوم 28 ديسمبر 47ق.م بجيش قوامه حوالي خمسة عشر ألف فارس وست مئة ألف جندي[1]، فشرع في التحالف مع تيتيوس ومرتزقته كما تحالف مع بوكوس الثاني ملك موريطانيا. وفي 6 ابريل 46 ق.م تمكن قيصر من هزيمة يوبا الأول في معركة "ثابسوس" التاريخية التي أنهت وجود الكيان النوميدي ورسخت للاحتلال الروماني[2] على المملكة النوميدية. وكان لهذه المعركة نتائج خطيرة على نوميديا تمثلت فيما يأتي:

1-إنهاء وجود المملكة النوميديا وإعلانها مقاطعة رومانية تحت اسم "إفريقيا الجديدة" وتعيين حاكم عليها برتبة بروقنصل لتسيير شؤونها.

2-منح كل من تيتيوس وبوكوس الثاني أراضي جديدة من الأراضي النوميدية كمكافأة لهما على وقوفهما إلى جانب قيصر[3].

3-استغلال الجالية الرومانية لثروات البلاد، لاسيما المرتزقة بقيادة تيتيوس الذي منحه قيصر الركن الشمالي الشرقي من نوميديا والذي تضمن روسيكادا(سكيكدة)-شولو(القل)-ميلاف(ميلة)-كرتن(سيرتا)، وهي المنطقة التي ستعرف باسم" الاتحاد الكنفدرالي السيرتاي"، وقد قام هذا الأخير بتدعيم الاستيطان من خلال إنشاءه لمزارع نموذجية وتأسيس عدة مستوطنات وتوطين الجالية الايطالية بها مما مهد لمرحلة الاستيطان الواسعة التي ستشهدها فترة حكم الإمبراطور "أوكتافيوس"(أغسطس) فيما بعد[4].

والملاحظ في هذه الفترة الحساسة هو انتهاج روما لأسلوب الاحتواء الثقافي والاجتماعي وذلك من خلال محاولتها ضم المجتمع المحلي في الثقافة اللاتينية من أجل طمس الهوية الوطنية وفرض أسلوب الحياة الرومانية التي مثلت في هذه الفترة قمة التحضر والتطور في حوض البحر الأبيض المتوسط، و لتنفيذ هذا المشروع الروماني عمدت روما إلى تعيين أمراء ذوي توجه لاتيني متأثرين بالثقافة الرومانية على غرار "هيمبسال الثاني" الذي تولى الحكم سنة 80ق.م، وظل فيه مدة ثلاثين سنة دون أن يواجه روما وذلك لتأثره بالفنون والآداب ورفضه للحروب وهو ما جعله يهادن روما ويحرص على ربط علاقات طيبة معها.لكن وبالرغم من النتائج الوخيمة التي نتجت عن

-Gsell(s),op-cit,T. VII ,pp292-293.

1- Decret(F) et fantar (m. h) OP-CIT P151.

2- غانم(محمد الصغير) المملكة النوميديا والحضارة البونية، المرجع السابق، ص 131

3 - Decret(F) et fantar (m. h) OP-cit, P157.

4 -غانم (محمد الصغير)، المظاهر الحضارية والتراثية لتاريخ الجزائر القديم، ج4، المرجع السابق، ص185.

"حرب قيصر" والمتمثلة في القضاء على الكيان النوميدي،إلا أن النزعة الوطنية ضلت قائمة،حيث استمرت المقاومة الوطنية لدى النوميد فاندلعت عدت ثورات قادها شخصيات نوميديا مثل "تاكفاريناس" رفضت الوجود الاستعماري الروماني، واستمرت لفترات طويلة [1].

وبعد إعلان الاحتلال مباشرة عهدت روما إلى تقسيم المناطق المحتلة إلى ولايات مستقلة عن بعضها البعض تجسيد لسياسة "فرق تسد". وكل ولاية يختلف نظام تسيرها إما نظام مدني أو عسكري حسب درجة خضوعها ومهادنتها لروما، على أن كل الولايات تابعة مباشرة لمركز الحكم في روما. يسير المناطق المدنية حاكم يتمتع بالعضوية في مجلس الشيوخ أو ضباط سامون يعينون من قبل الإمبراطور مباشرة في المناطق العسكرية. ولعل روما في تطبيقها لهذه السياسة الإدارية كانت تسعى إلى تحقيق الأهداف الآتية:

1- فرض السيطرة الرومانية وإحكام القبضة على مختلف المناطق الجغرافية ببلاد نوميديا.

2-تسهيل عملية جباية وتحصيل الضرائب تدعيما لاقتصادها.

3_ تسهيل عملية الحصول على المنتوجات الزراعية وتسهيل عملية تصديرها إلى روما لتوفير غذاء سكانها.

4_ مراقبة القبائل الثائرة وكبح مقاومتها من خلال إخضاعها للمراقبة وتتبع حركاتها تحقيقا للأمن الروماني.

5_ منح سلطات واسعة لحكام الولايات حتى يتخذوا الإجراءات والقرارات الملائمة حسب الظروف التي تخدم روما.

6_ القضاء على الحركات الاستقلالية المتمردة التي قد يسعى إليها حكام الولايات بهدف تأسيس دويلات منفصلة عن روما[2].

و للوصول إلى كل هذه المساعي والأهداف قامت روما باستحداث جملة من التنظيمات الإدارية والعسكرية سنفصل فيها فيما سيأتي:

1-التنظيمات الإدارية (المدن والبلديات): ابتداء من سنة 27 ق.م عمدت روما إلى ضم أراضي إفريقيا الجديدة إلى أراضي إفريقيا القديمة ، وأصبحت تعرف بالبروقنصلية وكانت سيرتا CIRTA عاصمة لها، واسند الحكم فيها الى أحد القنا صلة برتبة بروقنصل"القنصل المخول PRACANSUL" هذا في العهذ الجمهوري. أما في العهد الإمبراطوري، فقد قام النظام الإداري على مبدإ تقسيم السلطة بين الإمبراطور ومجلس الشيوخ، وعلى

1 – غانم (محمد الصغير)، مقالات وأراء في تاريخ الجزائر القديم، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2005، ص195.

2- Albertini(e)), L'Afrique romaine, Ed.P.U.P, Paris, 1970, P15

– حارش (محمد الهادي)، التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري، المرجع السابق، ص ص201-202.

هذا الأساس قسم اغسطس العالم الروماني إلى نوعين من المقاطعات، مقاطعات سيناتورية على رأس كل منها "قنصل مخول" يعين من طرف مجلس الشيوخ، ومقاطعات عسكرية تسير من طرف "القاضي المخول PROPROTOR"، أو "وكيل الإمبراطور PROCURATOR"، الذي يعينه الإمبراطور. ولكن في سنة 204م انفصلت نوميديا عن البروقنصلية، وأصبحت سلطة القاضي كاملة ولا يحاسبه إلا الإمبراطور وكانت مهامه تتجاوز قيادة الجيش إلى الإدارة والقضاء[1].

أما بالنسبة لتنظيمات المدن والبلديات، فقد حاولت روما تطويرها بشكل يخدم مشروعها الاستيطاني ويشجع على توطين الجالية الرومانية من أجل تكريس الهيمنة والسيطرة على المنطقة، فراحت تطور المدن الإفريقية وفق أسلوب المدن الرومانية، كما حاولت أن تطبق خطة الدمج التدريجي للعناصر المحلية القاطنة في البلديات الخاضعة للسلطة الرومانية وهذا عبر ثلاث مراحل تمر بها البلدة بدءا بـ"البلدة الرومانية"ثم"البلدة اللاتينية"وأخيرا "البلدة الأجنبية". واختلفت مستوياتها حسب تنوعها حيث نجد ثلاثة مستويات لتلك البلدات:

-المستوى الاول تمثله البلدة الرومانية وهي المدن التي أسسها الرومان أو تضم نسبة عالية من الجالية الرومانية، يتمتع سكانها بحقوق المواطنة الرومانية وبالتالي فهم إما رومانيين بالأصل أو بالقانون، كما أنهم يتمتعون بالقوانين نفسها التي يتمتع بها سكان روما، وتتمتع هذه المدن بالاستقلال الإداري، وقد تمت ترقية عدد آخر من المدن إلى مستوطنات وذلك كونها إما عواصم قديمة أو بسبب أهميتها الاقتصادية[2]، ونذكر على سبيل المثال مدينة تيفستTHEVESTE(تبسة) التي عرفت بإمكانياتها الزراعية حيث كانت تزود روما ومختلف المدن الرومانية الإفريقية بمحاصيل زراعية متنوعة من قمح وشعير وكروم وغيرها وهو ما دفع السلطات إلى تشجيع التعمير في هذه المدينة على النمط الروماني مما جعل السكان يندمجون لاإراديا في الحياة الرومانية ويتخلون تدريجيا عن تشريعاتهم ويمكن أن نطلق على هذه السياسة صفة المحو التدريجي "للهوية و المقومات الشخصية".

تمتع سكان هذه البلديات بحق المواطنة الرومانية، والمواطنة نوعان: فهناك المواطنة الكاملة التي تتيح لصاحبها حق الزواج والمشاركة في أمور أخرى كالأمور السياسية، أما المواطنة غير الكاملة فلا تمنح صاحبها الحق إلا في الزواج أو التجارة فقط، وهذا بوجه عام حال هذه البلديات الرومانية في الولايات التي كان يشرف عليها هيئات تتمثل في: المجلس البلدي و مجلس الشيوخ، الأول يشرف على مختلف النشاطات السياسية والاقتصادية والثقافية كما يحرص على الإعداد لميزانية المصاريف الخاصة بمختلف النشاطات، أما الثاني فيتشكل من ممثلي الشعب وقراراته نافذة، وسنفصل في هؤلاء الممثلين في الفصول اللاحقة من هذه المذكرة.

1- روبين (دانيال)، أصول التراث المسيحي في شمال افريقيا دراسة تاريخية عن القرنين الأولين، على الموقع: www.twalt.com، الرفع،2012/01/12،ص ص،.33،35

2-رستوفنزف(م)،تاريخ الامبراطورية الرومانية الاجتماعي والاقتصادي،ط2،ج1،تر:زكي على ومحمد سليم سالم،مكتبة النهضة،مصر،1957،ص،ص،131-132.

-المستوى الثاني تمثله المدن اللاتينية: هي البلديات التي تكون أقل رومنة وسكانها أقل اندماجا فتزود بالقانون اللاتيني فقط الذي يعتبر قانونا وسطا بين ما يجري على المواطنين وبين ما يجري على الأجانب.

أما المستوى الأدنى والأخير فتمثله المدن الأجنبية وهي البلديات التي يتكون معظم سكانها من الأهالي وهي تأخذ أشكالا، فأحيانا كانت روما تكتفي بالاعتراف بها وتكريس سلطة رئيس القبيلة في قبيلته، وأحيانا تسيرها مجالس يمكن أن ترتقي فيما بعد إلى بلدية لاتينية، والبلديات اللاتينية يمكن أن ترتقي إلى مصاف البلديات الرومانية، وهذه الأخيرة ترتقي إلى مستوطنة رومانية، وهذا وفق خدمة المصالح الرومانية، يحافظ سكان المدن الأجنبية على نمط حياتهم وقوانينهم وتشريعاتهم المحلية ولا يتمتعون بحق المواطنة الرومانية إلا بعد الاندماج التدريجي لهم في الثقافة الرومانية وذلك ما كانت تصل إليه بعد توافد العناصر الرومانية إليها[1].

وفي الواقع لقد اعتمدت روما على ارستقراطية البلديات (الزعماء المحلين) لتوطيد سيطرتها على هذه البلاد، حيث اعتبرت البلديات مرحلة تمهيد إلى إدماج الأهالي في الدولة الرومانية، وبهذا استفادت من الأهالي في الجانب العسكري وفي مختلف الجوانب الأخرى، فزادت الموارد المالية لروما، عن طريق التزام الأهالي بدفع الضرائب مما ساعد روما في مواجهة أعبائها العسكرية المتزايدة.

2_ **التنظيم العسكري**: إن ما وصلت إليه الإمبراطورية الرومانية من التوسع في كافة الأقطار إن دل على شيء فإنما يدل على قوة جيشها الذي يتكون من الفرق النظامية والكتائب المساعدة وغيرها من الفصائل والوحدات غير الدائمة التي كان معظم جيشها من الأفارقة، بلغ عددهم تقريبا في كل فرقة سواء نظامية أو مساعدة إلى ستة آلاف وخمس مئة مجند، أما الخدمة في الجيش فتتراوح ما بين ستة عشر وخمس وعشرين سنة، وكان الجيش الروماني في نوميديا يتكون أساسا من الفرقة الأغسطية الثالثة الذي يشكل عصب جيش إفريقيا ونوميديا وهو جيش نظامي على عكس جيوش المقاطعتين الموريطانيتين (القيصرية والطنجية)، ويرجح انه تأسس سنة 25ق.م، خلال فترة حكم أوكتافيوس (أغسطس)[2] بهدف استكمال السيطرة على كامل إفريقيا وكذا حماية ظهر البروقنصلية من ناحية الغرب، منحه الإمبراطور لقب "الاغسطي" تشريفا له لانتصاراته الباهرة على النوميديين في إفريقيا. كان يتكون من حوالي ستة آلاف جندي يقودهم قائد برتبة "بروقنصل" مهمته الإشراف وإدارة الجيش، وهذا في الفترة الممتدة من الاحتلال إلى سنة 46 ق.م، وعند وصول الإمبراطور "كاليغولا" قام في سنة37م بمنح قيادة هذه الفرقة إلى قائد عسكري كان يتم تعينه من قبل الإمبراطور نفسه[3].

كان الجيش الروماني في بداية الاحتلال يتكون فقط من العناصر الرومانية لأن العناصر المحلية لم تنضم إلى الجيش الروماني إلا بعد القرن 2م، وبدأ عددهم في التزايد خاصة عندما اعتمد الإمبراطور سيبتيموس سيفروس

1-المرجع نفسه،ص 166.

2- دونالدر(ددلي)،حضارة روما،تر:فاروق فريد وجميل بواقيم الذهبي،دار الهنا للطباعة،مصر،د.ت،ص220.

3- شنيتي(محمد البشير)، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، ح1، المرجع السابق، ص 97.

سياسة أفرقة الجيش حيث بلغت نسبة الأفارقة في الجيش الاغسطي 93 بالمئة، أما الكتائب المساعدة فكانت ثلاثة في نوميديا: -كتيبة الموزولامورو-كتيبة فيلافيا النوميدية- كتيبة المأوري، وكانت عناصرها من النوميديين، وكان من بين مهام النوميديين المنخرطين في الجيش الروماني-إلى جانب القتال وحراسة الممرات في المناطق ذات المواقع الاستراتيجية ودرإ الأخطار عنها- نقل المؤونة من منطقة إلى أخرى وكذلك زراعة الأرض المتواجدين فيها، ومن بين الحقوق التي كان يتمتع بها الجنود النوميديون نذكر منها حصولهم على مكافأة مالية عند انتهائهم من الخدمة العسكرية وحينئذ يعتبرون كجنود مسرحين فتمنح لهم قطعة أرض زراعية معفاة من الضرائب وكانت هذه الأرض قريبة من معسكرات الجيش مثلما هو الحال في مدينة "مداوروش" و"لامباس"، وكانت هذه الأراضي قابلة للتوريث عن طريق الأبناء، بشرط انخراطهم في الجيش الروماني والهدف من ذلك ربط الأهالي بالجيش[1].

خلاصة القول أن المجتمع النوميدي هو وليد تاريخ عريق يصل بعمقه إلى أقدم العصور فقد بينت الآثار بشقيها الأثري والمادي مدى عراقة هذا الشعب الذي مر بفترات تاريخية ومحطات كبرى زادت في بروز خصائصه الاجتماعية والثقافية، وكغيره من المجتمعات البشرية انتقل من البدائية إلى الحياة المتحضرة عبر محطات تاريخية مختلفة، كان لها تأثير عميق على المجتمع من الناحية الاجتماعية والتركيبة البشرية فظهرت عناصر اجتماعية جديدة، كما ظهرت نظم وأوضاع جديدة، على أن الوجود الروماني بسياسته وتنظيماته ومختلف تشريعاتها قد أحدث تأثير عميق على المجتمع المحلي مما جعل هذه الفترة (الاحتلال الروماني) فترة حساسة وخاصة في تاريخ المنطقة، وذلك لما أحدثه من تغيير في النظم الاجتماعية التي عرفها المجتمع النوميدي، وهذا ما سنحاول معالجته في الفصول القادمة بشيء من التوسع والتعميق.

1 -قداش(محفوظ)، المرجع السابق، ص-ص 167، 168.

الفصل الثاني

المجتمع النوميدي و نظمه الاجتماعية والثقافية.

المبحث الأول: دراسة سوسيولوجية للمجتمع النوميدي.

أولا- قراءة في تطابق مفهوم "المجتمع" على القبائل النوميدية.

ثانيا- التركيبة البشرية للمجتمع النوميدي بداية الاحتلال الروماني.

ثالثا- النمو الديمغرافي وانعكاسه على مظاهر الحياة اليومية.

المبحث الثاني: الخصائص الاثنولوجية للمجتمع النوميدي.

أولا– الكاريزما النوميدية من خلال المصادر الكلاسيكية.

ثانيا– المنظومة الثقافية في ظل الاحتلال الروماني.

الفصل الثاني:المجتمع النوميدي وخصائص نظمه الاجتماعية والثقافية: أحاول في هذا الفصل إلقاء الضوء على عدة مظاهر وجوانب امتاز بها المجتمع النوميدي فخصصت المبحث الأول لدراسة الجانب السوسيولوجي بمختلف جوانبه من فئات اجتماعية وتركيبة بشرية، أما المبحث الثاني فخصصته للمظاهر الاثنولوجية من عادات وتقاليد ومعتقدات.

المبحث الأول: دراسة سوسيولوجية للمجتمع النوميدي: لتقديم دراسة سوسيولوجية للمجتمع النوميدي لابد من التطرق إلى مختلف المظاهر والتركيبة الاجتماعية بمختلف فئاتها وعناصرها وهذا قصد تقديم صورة تقريبية للحياة النوميدية انذاك وهو ما أحاول معالجته فيما سيأتي.

أولا– قراءة في تطابق مفهوم"المجتمع"على القبائل النوميدية: لقد أشرت سابقا إلى أن مطلع القرن الثالث ق.م عرف ظهور مجتمعات محلية فرعية انشقت عن المجتمع المغاربي الكبير أهمها المجتمع النوميدي، وهذا إثر تكتل مجموعة من القبائل ذات الخصوصية الثقافية والجغرافية الواحدة بغية تكوين قوة سياسية وعسكرية لمواجهة خطر القرطاجيين والرومان.لكن الإشكال الذي يطرح نفسه هو: هل تمكن النوميد من تأسيس"مجتمع"؟ بمعنى هل توفرت شروط تكوين أو تأسيس"مجتمع" في نوميديا؟.

لمعالجة هذه الإشكالية لابد أولا من تقديم تعريف لمفهوم مصطلح "المجتمع"، وهو مصطلح اختلف العلماء في تعريفه وطبيعته، فمنهم من عرفه على أنه:"عبارة عن جماعة بشرية تشمل عدد غير محدود من الناس، يعيشون في أرض معينة لفترة طويلة من الزمن، مما يؤدي إلى ظهور روابط ثابتة تمثلها القرابة وتشير إلى تفاعلهم الاجتماعي بثلاث طرق:

1- التجمع المتسلسل :الناتج عن تناسل وتكاثر الأسر.

2- التجمع المختلط:الناتج عن تكتل مجموعة من الأسر مع الحفاظ على المكتسبات (من عادات وتقاليد).

3- التجمع المزجي الناتج عن تزاوج الأسر واختلاطها ببعضها البعض"[1].

أما العالم الاجتماعي "فيري" فيعرف المجتمع بأنه مجموعة من العادات والتقاليد والقيم المؤثرة في السلوك الإنساني والتي تشكل مجموعة العوامل التي تؤثر في الفرد منذ ولادته حتى مماته، وهو مجموعة من

1-دنكن ميتشل : معجم علم الاجتماع، تر: إحسان محمد الحسن، دار الطبيعة، بيروت، 1981، ص-ص 226، 227.

الأفراد تسكن بقعة جغرافية محددة تسود فيها مجموعة من المبادئ والمفاهيم والقيم والروابط الاجتماعية والأهداف المشتركة التي تميزها عن غيرها من المجتمعات والمستمدة من خصوصيتها في اللغة والتاريخ والدين والشعور بالمصير المشترك[1].

وهكذا فان المجتمع يخضع الى مجموعة من العوامل والأسس المتكاملة فيما بينها التي تمنح مجموعة الأفراد خصوصيتهم وهويتهم التي تميزهم عن غيرهم، وقد عرف هذا المصطلح تنوعا في ضبط مفهومه لكن يبقى تعريف "ابن خلدون" أهمها، حيث يرى أن المجتمع هو عبارة عن تجمع إنساني تفرضه مجموعة من الضروريات أولها:ميل الإنسان إلى الاستئناس بأخيه الإنسان وهو شعور فطري تلقائي[2]، وثانيها الحاجة إلى القوت اليومي الذي يتطلب تجمع عدد من القدرات تتعاون فيما بينها لتوفيره، إضافة إلى ضرورة توفير الأمن والحماية من الحيوانات المفترسة خاصة. ثم يشير إلى أن هذا التجمع لابد له من "سيد يكون له عليهم الغلبة والسلطان واليد القاهرة حتى لا يصل أحد إلى غيره بعدوانه. وهذا هو معنى الملك"[3]. وإذا ما حاولنا مقارنة هذه التعريفات بالمعطيات السوسيولوجية لنوميديا، نجد أن هذه الأخيرة ظهرت على إثر تكتل مجموعة من القبائل التي هي بدورها تجمع لأسر ذات وحدة جغرافية وثقافية، ارتبطت فيما بينها بعامل القرابة الناتج عن عملية التزاوج والمصاهرة؛ وهو ما أدى إلى ترابط وتحالف هذه القبائل بصورة تلقائية، فشكلت المجتمع النوميدي الذي يمكن القول بأنه الصورة الكاملة والشاملة للمجتمع القبلي "الماسيلي" و"الماسيسيلي".

وإن كانت المصادر الكتابية قد أغفلت بشكل شبه كلي الحياة الاجتماعية للقبائل النوميدية بشكل بارز، فان المصادر المادية المتمثلة في النقوش، خاصة تلك التي عثر عليها في معبد الحفرة بسيرتا[4]، قد قدمت صورة تقريبية للمجتمع النوميدي وأماطت اللثام على الكثير من الإشكاليات المطروحة في جوانب الحياة الاجتماعية للعناصر البشرية النوميدية، وبالرغم مما احتوته من نصوص وما قدمته من معلومات، إلا أنه لا يعدو عن كونه مجرد إشارات تتطلب المزيد من البحث والدراسات والتحليل من قبل المؤرخين وعلماء وباحثي علم الاجتماع والتاريخ.

ثانيا–التركيبة البشرية داخل المجتمع النوميدي مع بداية الاحتلال الروماني: بحكم انتمائه لعالم حوض البحر الأبيض المتوسط الذي عرف بديناميكية ديموغرافية نشطة، شهد المجتمع

1 – زروق (يوسف)، مفهوم المجتمع، الموقع:sociomaroc.blogspot.com، تاريخ النشر:20افريل 2012، ب.ص.

2– ابن خلدون (عبد الرحمن).المصدر السابق، ص 27.

3 –المصدر نفسه، ص 85.

4– غانم (محمد الصغير)، المملكة النوميدية والحضارة البونية، المرجع السابق، ص–ص 129–171.

النوميدي تنوعا وتعددا في عناصره البشرية، حيث توافدت عليه أجناس من مختلف الجهات، احتكت وتعايشت مع القبائل المحلية، وهذا منذ آلاف السنين، ومن المهم الإشارة إلى أن العناصر الوافدة قد تعايشت واستقرت في المنطقة حتى بات من الصعب التفريق بينها وبين العناصر المحلية. ويبدو أن المجتمع النوميدي عرف نوعين من الهجرات البشرية:

هجرات خارجية: هي التي قام بها عناصر بشرية قادمة من خارج المغرب القديم، سواءً من الشرق كالفينيقين والسوريين واليهود، أو من الشمال على غرار الإغريق والرومان.

هجرات داخلية: وهي التي قامت بها مجموعة من القبائل المحلية من الجنوب إلى الشمال أو العكس، بحثا عن الكلإ والماء، وسعياً وراء متطلبات الحياة وظروف العيش الاقتصادية والأمنية[1].

يتكون المجتمع النوميدي من خليط من العناصر البشرية المتعددة،تفاعلت فيما بينها، فامتزجت مقوماتها المادية والثقافية والدينية والاقتصادية، مما أدى إلى ظهور منظومة اجتماعية متميزة انبثقت عن علاقات التصاهر والتعاون وتبادل المصالح بين العناصر الوافدة والعناصر المحلية، وهو الأمر الذي أوجد فسيفساء بشرية متفاعلة فيما بينها يربطها تبادل المنافع والمصير المشترك، كما أدى إلى إثراء التركيبة الثقافية المحلية التي ظلت تتميز عن كل الثقافات الوافدة بالرغم من التداخل والتمازج الذي حدث بينها. ولفهم هذا الواقع المتميز لابد من التعرف على مختلف الأجناس والثقافات التي توافدت على البلاد النوميدية والتعمق في تفاعل النوميد معها وهو الأمر الذي سنحاول دراسته في الصفحات الآتية.

أ– العناصر المحلية: تجدر الإشارة إلى أن العناصر البشرية المحلية خضعت لمبدأ الانتماء القبلي، بمعنى أن المجتمع المحلي كان مركب من مجموعة من القبائل، وبالرغم من أن المصادر ركزت على قبيلتين ألا وهما "الماسيل" و"الماسيسيل"اللتين فرضتا نفسيهما على الساحة المحلية وأخضعتا لسلطتهما الكثير من القبائل المجاورة التي سكنت بلاد المغرب تحث نظام الأحلاف القبلية، إلا أن هذا لا ينفي وجود قبائل محلية أخرى، غاب ذكرها في المصادر وبقيت مجهولة تنتظر من يعرف بها[2]، أو أن ذكرها في المصادر كان محدودا مثل قبيلة"بني فشن" (مدينة دوقة) وقبيلتي "ندرمة" و"مشكرة" (إقليم هيبون)، حيث ورد ذكرهم في نقش دوقة دون التفصيل في أوصولهم وموطنهم الاصلي ونظامهم الاجتماعي[3].

1-فرج(نجم)،القبيلة والإسلام والدولة،على الموقع:www.tawalt.com،تاريخ الرفع: 2013/04/12،ص43.

2 -ذراع (الطاهر)، المرجع السابق، ص-ص، 217-218.

3- Chbot(j.b) ,Recueil des inscription libyques,imprimerie nationale,paris,1940,p3

في حين أن قبائل محلية أخرى لم تنضو تحت ظل التكتلات القبلية، ومع ذلك فهي قبائل نوميدية على غرار قبائل: "الناتابوند"-"الكايستياني"-"الميزولان"-"السباربا"-"النسيف" -"فاكاموريس" "الإيثينيان"-"الموسينيان"-"الماركوبيان"[1]. ولعل من أهم وأشهر القبائل التي ورد ذكرها في المصادر خلال الاحتلال الروماني هي قبيلة "الموزولامي" النوميدية بالأوراس، التي عرفت بمواجهتها الشرسة للرومان من خلال مقاومة تاكفاريناس (17-23م)[2]، إلى جانب القبائل التي تحدثت المصادر عن تكوينها في كنفدراليات أو اتحادات وتكتلات قبلية ضمت مجموعة من القبائل، قد تكون تحالفت إما لتبادل المصالح أو دفع الخطر وتامين الاستقرار أو لظهور قوة عظمى محلية فرضت سيطرتها على القبائل الضعيفة المجاورة لها، من أشهرها: كنفدرالية "حلف القبائل الخمس" التي امتدت من دلس إلى بجاية وهي: "تيد"-"ماسينيسن"-" ايسفلسن"-"يوبلن"-"بيسالن". إضافة إلى كنفدرالية "ميسيكير" التي امتدت في سهل "الطارف" وشغلت إقليما شاسعا -رغم دورها المحدود تاريخيا-[3]، ومن بين القبائل المشكلة لهذا الإتحاد نجد قبيلة: "ناباب" NBIBAH""صرممه CRMMH "نندرمه" "NNDRMH"، وقد أشارت النقوش إلى وجود خمس قبائل ضمن كنفدرالية "الميسيكير"[4]. ونذكر أيضا كنفدرالية "الموسوني الملكية MUSUNI REGIANI" التي شغلت إقليم "سطيف" كما هو مرجح، والجدول الأتي يقدم لنا صورة تقريبية عن تموضع القبائل النوميدية وتوزيعهم الجغرافي في مختلف الأقاليم[5].

والملاحظ من خلال النقوش وجود قبائل، أخذت صفة قبائل ملكية "REGIANI " ويُرجع بعض الدارسين أن سبب اكتسابها لهذه الصفة هو لاستفادتها من حماية الملك، وهي صفة ميزتها عن بقية القبائل الأخرى.

ويتضح مما سبق لجوء القبائل النوميدية إلى الإتحاد والتكتل فيما بينها، بصفة طواعية بعيداً عن أي ضغوطات أو محفزات -أي مساعي خارجية-، فالشعور بالهوية الجماعية وبالمصير الواحد لهذه القبائل، فضلاً عن التهديدات الخارجية دفعها إلى الإتحاد والتكتل في كنفدراليات قبلية، وقد ساعدها على ذلك وحدة الأسس الثقافية والاجتماعية والدينية والإثنية وفي الكثير من الأحيان الوحدة الاقتصادية لكن وصول الرومان وانتهاجهم سياسة "فرق تسد"، جعل هذه القبائل تتشرذم وتفك عرى إتحادها مما

1-الناضوري (رشيد)، المرجع السابق، ص222

2-شنيتي (محمد البشير)، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني.المرجع السابق، ص 179.

3 - Dumas(M),Paber(M),La grande Kabylie,librarie Hachette,Paris,1847,p,p,9,10.

4-كامبس (غابريال)، المرجع السابق، ص-ص 302-308.

5 -انظر الملحق 07.

أضعف قوتها وهدد وجودها، وأحالها إلى أداة طيعة في يد الرومان استغلتها في التوسع والاستيطان في بلاد المغرب، بعد ما استخدمتها لضرب بعضها البعض.

إلى جانب كل هذا نجد الجيتول الذين جاوروا النوميد من جهة الجنوب، وامتدوا إلى غاية نهر "نيقري"في النيجر الذي يفصل إفريقيا وبلاد إثيوبيا[1]، ويرجح عدد من المؤرخين على غرار "ستيفان غزال" فرضية الأصل الواحد للنوميد والجيتول[2]، وعلى ما يبدو اعتاد الجيتول على الاندماج في المجتمعات التي يجاورون حدودها، فمثلاً كانوا يحاكون النوميديين عندما يحطون رحالهم في المملكة النوميدية في عاداتهم ونظمهم، وكذلك الحال عندما كانوا يستقرون في مملكة المور[3]. وإذا ما تتبعنا مواقف الجيتول مع النوميد في مختلف الفترات التاريخية نجدها مواقف بطولية، فقد وقفوا إلى جانب النوميد في الحرب البونية الثانية (إلى جانب حنبعل)[4]، وخلال حرب النوميد ضد الرومان التي قادها "يوغرطة"، وظلوا يشكلون خطراً دائما على الرومان، هذه المواقف تؤكد بأن الروابط بين الجيتول والنوميد تعدت علاقات الجوار إلى علاقات الدم والمصير المشترك. وتجد الإشارة إلى أن الوجود الروماني بسياسته الاستيطانية والتشريعية، أحدث سلسلة من التغيرات في تركيبة المجتمع المحلي، الذي أضحى أفراده يعانون السيطرة والتهميش، وأطلق عليهم مصطلح "المجتمع الإفريقي" كبديل لتسمية النوميد.

ب– العناصر الوافدة: هدفت سياسة الرومنة إلى السيطرة على بلاد المغرب باستعباد أهله واستغلال خيراته من خلال السيطرة على الأراضي الزراعية الخصبة وسلبها من السكان المحليين بمختلف الطرق وشتى الوسائل، مستخدمة أساليب متنوعة، أهمها الاستيطان الذي شجعت من خلاله هجرة العديد من الأجناس الدخيلة إلى بلد المغرب، مما أحدث تغيراً جذرياً في تركيبة المجتمع النوميدي الذي عانى أهله الإقصاء والتهميش والتميز، وباتوا يعرفون بالمجتمع "المحلي" تميزاً لهم عن باقي عناصر المجتمع الروماني الجديد الذي كان يتكون من:

1– الرومان: يمثلون الأغلبية الساحقة من نسبة الأجناس الوافدة، وقد وصلوا المنطقة منذ القرن الثاني ق.م واستقروا في مختلف المدن النوميدية، وكان توافدهم بصيغ مختلفة فمنهم:

1- Plein l'ancien,IV,11

2- Gsell(s),op-cit,T.V , P110

3-شنيتي (محمد البشير)، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني، المرجع السابق ص-ص 165-166.
-فنطر(محمد حسين)، الحرف والصورة في عالم قرطاجة، ط1.منشورات اليف.تونس.1999 . ص318.

4- شنيتي (محمد البشير)، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني، المرجع السابق، ص 167 .

الملحق 07: جدول يمثل بعض أشهر قبائل النوميد وامتدادها الجغرافي[1]

القبيلة	امتدادها الجغرافي
الزبربر	– شغلوا الإقليم الجنوب الشرقي لسيرتا.
ماسيلي	– جاوروا الزبربر من الشرق.
نيقيوة	استقروا جنوب الماسيلي.
ناتابوت	استقروا في المنطقة الممتدة ما بين الماسيلي شمالا ونيقيوة جنوبا في الإقليم الواقع غرب واد الشارف.
نوميدة	– جاوروا ناتابوت من ناحية الجنوب.
موسولامي	– جنوب نوميدة.
موسوني ريجياني	– جنوب الموسولامي.
كابسيناني	–تمتد ناحية الجنوب إلى غاية الصحراء.

1 – كامبس (غابريال)، المرجع السابق، ص–ص 311–312.

أ- رجال المال والأعمال: من موظفين وإداريين وتجار وكبار الفلاحين، لعبوا دوراً مهما في مجرى الأحداث التاريخية في نوميديا، بعد أن ارتفعت مكانتهم الاجتماعية وكونوا طبقة ثرية، استغلت الثروات المعدنية والبحرية وأجود الأراضي النوميدية، فتدفقت عليهم الأموال ووفرت لهم المؤسسة العسكرية الحماية والأمن والعيش الرفيع[1].

ب- الجنود: توافد الإيطاليون بكثرة كجنود ضمن القوات الرومانية، ونادراً ما كان يعود هؤلاء الجنود إلى روما، نظراً للامتيازات التي يتحصلون عليها بعد نهاية الخدمة العسكرية، حيث ينالون وظائف إدارية وأراضي زراعية واسعة عالية الخصوبة تغريهم للبقاء في بلاد المغرب، فقد كانوا النواة التي أسست لمستعمرات ذات صبغة فلاحية دفاعية امتدت من بجاية (صلداي) إلى تنس، واعتبرت الجندية أنجح وسيلة لرومنة الأهالي[2]، بسبب زواج الجنود الرومان من نساء مغربيات ونشر نمط الحياة الرومانية، وإذا ما تأملنا الملحق الثامن، سنجد ارتفاع نسبة الزواج المختلط بين الأهالي والجنود خاصة في المناطق الحدودية التي انتشرت فيها الثكنات العسكرية[3] والتي مثلت نقاط احتكاك مع المدنين، ومن المهم الإشارة إلى أن هذا الاحتكاك كان له انعكاس كبير على الحياة الاجتماعية والنظم المحلية، حيث برزت طبقة من المولدين من الرومان والأهالي، وسيكون لها دور مؤثر في الأحداث التي شهدتها المنطقة النوميدية في السنوات الموالية، وهو الأمر الذي سنتطرق إليه في الفصول الآتية:

2-اليهود: يرجع البعض تاريخ دخولهم لإفريقيا إلى عهد السبي البابلي[4]،إلا أن غياب التاريخ في النقوش المكتشفة، أوجد ثغرات كرونولوجية صعبت مهمة المؤرخين في تحديد تاريخ وصول اليهود للمنطقة بدقة[5]، شكل اليهود ابتداء من القرن الثاني للميلاد، جماعات ذات وزن اقتصادي انتشرت في المدن الساحلية والداخلية، بل وامتدت إلى غاية تخوم الصحراء، وتختلف كثافة تواجدهم من منطقة لأخرى، ويبدو أن تواجدهم بكثرة في البروقنصلية وموريطانيا الطنجية وقل في نوميديا وموريطانيا القيصرية، وربما ذلك يعود إلى أن المنطقتين الأوليتين شهدتا توافد اليهود قبل المناطق الأخرى مما جعلها أقدم من ناحية التعمير فكانت قبلة لليهود لوجود سوابق لهم فيهما. ومن أشهر معابدهم معبد "نارو" Naro (حمام

1-عمران (نورة)، رجال المال والأعمال الأجانب في المقاطعة الإفريقية والرومانية (146-285م)، إشراف شافية شارون، جامعة الجزائر، مذكرة لنيل شهادة الماجيستير في التاريخ القديم، السنة الجامعية 2009-2010، ص-ص 120-122.

2- شنيتي (محمد البشير)، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب القديم أثناء الاحتلال الروماني، المرجع السابق، ص 191.

3 - أنظر الملحق 08.

4- سعد (زغلول عبد الحميد)، تاريخ المغرب العربي، ح2، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1995، ص106.

5- مقدم (بنت النبي)، المرجع السابق، ص236.

الملحق 08: جدول النسبة المئوية للزواج المختلط بنوميديا بين المدنيين والجنود[1].

المدينة	المدنيين%	الجنود %
سور الغزلان Auzia	2.8	0
تازولت Lambaseses	0.9	0.7
تبسة Theveste	2.2	0
المناطق الحدودية	2.3	1.1
خميسة Thubursiau Numidarium	13.5	0

1-مقدم (بنت النبي)، المرجع السابق، ص58.

ليف) وهو من الشواهد التي تثبت الوجود اليهودي في المنطقة، ومن المرجح أنهم جاءوا كجنود لكنهم سرعان ما تحولوا إلى تجار كما اشتغلوا بالقطاعات الحرفية، لكن تبقى المادة الخبرية المتوفرة لا تقدم صورة واضحة عن الوضعية الاجتماعية والقانونية لليهود في نوميديا[1].

3-عناصر من أجناس أخرى: شهدت نوميديا توافد هجرات بشرية قادمة من المشرق، من أقدمها وأهمها هجرة الفينيقيين، الذين أقاموا في المنطقة كتجار في بادئ الأمر، بعدها تمكنوا من تأسيس وبناء مدينة قرطاجية التي اعتبرت من أعظم واهم المدن في الشمال الإفريقي، وكنتيجة لسلمية القرطاجيين امتزجت القبائل المحلية بهم، فانبثق عن هذا التمازج مجتمع هجين عرف بالمجتمع اللوبي[2].من العناصر الوافدة ايضا العنصر الإغريقي، الذي استوطن سواحل المغرب القديم منذ أواسط القرن السابع ق.م في منطقة خليج السرت الكبير، حيث ربط علاقات مصاهرة مع العناصر المحلية وأسسوا مستوطنتين "برقة" و"قورينة"[3].

أما فيما يخص الشرقيين فالنقوش والوثائق تشير إلى وجود السوريين، ضمن الوحدات المساعدة في جيش المقاطعات الإفريقية، إلى جانب الفلسطينيين والبريطانيين والبلجيكيين والألمان والبلقان، ولم يقتصر نشاطهم على الجندية فحسب، بل أمتد إلى التجارة والتعليم والثقافة، حتى أن بعضهم تبوأ مناصب إدارية راقية بموريطانيا القيصرية "شرشال". ولم يجد النوميد حرجا في تقبل العناصر البشرية الدخيلة[4] والامتزاج معها إلى حد المصاهرة والتأثر ببعض عاداتها وتقاليدها خاصة في الجانب العقائدي، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على مدى التسامح والانفتاح وتقبل الآخر، وهي ظاهرة متأصلة في المجتمع النوميدي والوجود الفينيقي والقرطاجي خير دليل على ذلك. يضاف إلى ما سبق عناصر أخرى، من العرق الزنجي والإثيوبي في جنوب الصحراء والأتروسكي والقبارصة والكريتين.

ج-معايير التصنيف الاجتماعي: أدى تنوع الأجناس البشرية التي سكنت بلاد المغرب وتنامي الحركة الاجتماعية، إلى ظهور تصنيف طبقي داخل المجتمع[5]، زادت التشريعات الرومانية في تعميقه، على أن أسس ومعايير هذا التصنيف اختلفت من فترة تاريخية إلى أخرى وسوف أذكر أنواعها حسب توفر المادة المعرفية .

---

1 - عمران(عبد الحميد)، الديانة المسيحة في المغرب القديم النشأة والتطور (180-430م)، أطروحة دكتوراه لعلوم التاريخ القديم، إشراف:غانم محمد الصغير، جامعة منتوري قسنطينة، 2010-2011م،ص،ص،68-69.

2- الناضوري (رشيد)، المرجع السابق، ص206.

3- مصطفى(كمال عبد المنعم)، المرجع السابق، ص 62.

4-مهران(محمد بيومي)،المرجع السابق،ص64.

5- محجوبي (عمار)، المرجع السابق، ص-ص 139-142.

المرحلة الأولى: تمتد من القرن الأول للميلاد، خلالها انقسم المجتمع النوميدي إلى ثلاث أصناف تبعاً للغة والعادات والتقاليد.

أ–الصنف الأول: تمثله الجالية الرومانية، المتفوقة بحضارتها اللاتينية والراقية بعاداتها وتقاليدها، فرغم عددها القليل؛ إلا أنها جعلت من اللغة اللاتينية لغة رسمية، وسعت إلى نشر نمطها المعيشي ومعتقداتها الدينية بين أفراد المجتمع النوميدي.

ب–الصنف الثاني: يشمل العناصر المتأثرة بالحضارة القرطاجية، لغة ودينا ونظما وثقافة.

ج–الصنف الثالث: يشمل العناصر المحلية، بمختلف معتقداتها ولغتها اللوبية القديمة ونمطها المعيشي.

المرحلة الثانية: تبدأ هذه المرحلة مع بداية القرن الثاني للميلاد، حيث عرف خلالها المجتمع النوميدي تطورا ملحوظا، بعد الرقي الاقتصادي وتفعيل قانون "المواطنة الرومانية"، مما أسهم في نشر الثقافة والحضارة الرومانية من جهة، وقلص الفوارق العرقية واللغوية والحضارية بين الرومان والمترومنين من العناصر المحلية من جهة أخرى، لتحل محلها الفوارق الاجتماعية كمعيار لتصنيف المجتمع، وعلى إثر هذا التغير أصبح المجتمع مقسما إلى صنفين هما:

أ–الصنف الأول: شمل الطبقة الأرستقراطية الثرية من الرومان والمترومنين، والمتمثلة في السيناتورات والفرسان والأشراف.

ب–الصنف الثاني: يشمل الطبقة الكادحة من عبيد وفقراء وضعفاء من أبناء المجتمع المحلي الدين رفضوا الرضوخ للسياسة والثقافة الرومانية الوافدة.

3–النمو الديمغرافي وانعكاسه على مظاهر الحياة اليومية وسط المجتمع النوميدي: في ظل غياب وثائق ومصادر ترصد الحياة الاجتماعية في نوميديا ومظاهر الحياة اليومية، التجأ الباحثون إلى النقوش الإهدائية والجنائزية ومختلف العملات النقدية قصد رسم صورة تقريبية عن الحياة اليومية لسكان المغرب القديم خاصة النوميد، وهو ما سنحاول التطرق إليه في هذا المبحث.

أ–النمو الديمغرافي: نظرا لأهمية العامل البشري في صنع الرقي والازدهار لأية دولة حاولت التطرق إلى هذا المورد الهام، انطلاقا من ثلاث معطيات أساسية وهي:

1–تعداد الجيوش: احتفظت المصادر الكتابية خاصة، بمعلومات هامة عن تاريخ وتعداد جيوش المماليك النوميدية، وهذا من خلال ذكر أعداد الجيوش الكثيرة المتوفرة لدى الملوك المحليين، فعلى

سبيل المثال بلغ تعداد جيش الملك "سفاكس"، الذي خرج به لمساعدة قرطاجة ضد الرومان، حوالي خمسين ألف من المشاة وعشرة آلاف فارس[1].

أما الملك "ماسينيسا" ملك مملكة ماسيليا، فقد دعم الرومان بقوة بشرية كثيرة لمواجهة القرطاجين، وهذا ما يفسر ضخامة عدد القوة العسكرية التي تمتعت بها الممالك المحلية، فكانت بذلك طرفاً مهماً في صناعة أحداث البحر الأبيض المتوسط، وذكرت النصوص أيضاً أن "كيرطا" وضواحيها لوحدها، كانت قادرة على توفير عشرة آلاف فارس وعشرين ألف من المشاة[2]، حتى أن الفيلق الأغسطي الثالث الذي أنشأ سنة 25 ق.م – كما هو مرجح عند المؤرخين–، من قبل "أوكتافيوس" الملقب "بأغسطس" من أجل حماية ظهر البروقنصلية من الجهة الغربية، أصبح مجموع الأفارقة المجندين فيه خلال العهد السيفيري يشكلون حوالي 93% من إجمالي الجيش[3].

2–اليد العاملة: قصد إنعاش الاقتصاد والنهوض به عملت روما على توفير اليد العاملة والاهتمام بها، فوفرة الإنتاج قديماً كانت مرهونة بوفرة اليد العاملة، فهما عنصران متكاملان ومتلازمان، وقد أدت وفرة الأراضي الزراعية الخصبة إلى ارتفاع المحاصيل الزراعية وتنوعها في نوميديا، حيث انتشرت زراعة الزيتون والشعير والقمح، وبلغ إنتاج "أفريقيا الجديدة" " AFRICA NOVA" وحدها في عهد "القيصر" 840 ألف قنطار من القمح سنويا، وفي عهد الأمير "نيرون" ارتفعت نسبة القمح الإفريقي المصدر إلى روما ارتفاعا مذهلا، فقد كانت المقاطعات تزودها لمدة ثمانية أشهر من السنة، أي ما يعادل ثلثي القمح المطلوب في روما، حتى أن كمية القمح المصدرة لروما بلغت حوالي مليون و260 ألف طن[4].

هكذا كان الإنتاج الوفير يتطلب وفرة في اليد العاملة، خاصة إذا ما أخذنا بعين الاعتبار غياب الآلة، الذي عوضته اليد العاملة المحلية، بعدما أخذت على عاتقها مسؤولية استصلاح وزرع المساحات الشاسعة، التي امتدت على سفوح الجبال وبلغت مشارف المناطق الصحراوية، مما أدى إلى ظهور القرى الفلاحية التي تراوح عدد ساكنيها ما بين 1000 و5000 نسمة[5].

1– شعبان (علي أحمد)، السياسة الخارجية لمملكتي نوميديا وموريطانيا في عهد المماليك في القرن الثالث قبل الميلاد إلى عام 40م، إشراف: شافية شارن، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 2009–2010، ص25.

2– شنيتي (محمد البشير)، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني، المرجع السابق، ص، ص 202–206.

Lacoste (yves) ،Noushi (andré) ،L'algérie passé et présent ،Edition social,Paris ،1960 ، P77.

3– Decret (F). Fantar(M.h), OP-CIT,P,P189-199.

4– Albertini (E), OP-CIT P31.

5–محجوبي (عمار)، المرجع السابق، ص132.

-الولادات: من الصعب تحديد نسبة الولادات داخل المجتمع النوميدي، نظراً لغياب إحصائيات دقيقة في تلك الفترة، وكل ما يمكن تقديمه في هذا الإطار، ما ورد في الرسوم والنقوش الصخرية التي أشارت إلى ولع سكان المنطقة بالأطفال، أما نقوش النصب الجنائزية فتشير إلى أن نسبة الزواج كانت مرتفعة في الجنوب النوميدي، حيث بلغت في الأوراس والنمامشة إحدى عشر فتاة متزوجة من أصل ثلاثة عشر فتاة، وفي السهول العليا لموريطانيا عشرين فتاة من أصل اثنان وعشرين فتاة، أما في المناطق الريفية جنوب سطيف فتصل إلى اثنان وثلاثين فتاة من أصل اثنان وخمسين فتاة، وفي مدينة سطيف اثنان وأربعين فتاة من أصل خمسين فتاة، وتنخفض هذه النسبة كلما انحدرنا نحو الساحل، حيث بلغت في موريطانيا القيصرية أقل من 50% (ثمانية عشر من مجموع أربعين فتاة)[1].

ومن خلال هذه الإحصائيات المقدمة نستنتج ارتفاع نسبة معدلات الزواج وسط المجتمع النوميدي والمغربي القديم ككل، ومن المرجح أن معدل الولادة كان مرتفعا وسط الأسر النوميدية، خاصة إذا ما أخذنا بعين الاعتبار أن المرأة الخصوبة "FECUNDA"، كانت محبذة وتعتبر المرأة المثالية، ومن خلال الآثار والنقوش نستنتج اسم "سارجيا أمارا" "SERGIA AMARA"، التي تزوجت عن عمر ستة عشر سنة وتوفيت في السابع والعشرين من عمرها، مخلفة ورائها سبعة أولاد وبنت، و"سوليبيكيا فيكتوريا" "SULPICA VECTORIA "بسور الغزلان خلفت عشرة أولاد[2]، ويذهب رأي أخر إلى أن معدل الولادات عرف انخفاضا بسبب صعوبة الظروف المعيشية وانعدام الرعاية الصحية وانتشار الأوبئة الفتاكة فضلا عن كثرة الحروب والصراعات، ما أدى إلى عزوف بعض العائلات عن الإنجاب، ولجأ البعض الآخر لسياسة تحديد النسل، بمعدل طفلين إلى ثلاثة أطفال للعائلة الواحدة في المدن الداخلية[3]، والحقيقة ليس هناك ما يؤكد أو ينفي صحة هذا الرأي، لكن الانتشار الواسع لظاهرة التبني داخل الأسر النوميدية وإقبالهم على تربية الأبناء، يجعلنا نرجح فرضية حب النوميد للأطفال، وبالتالي حبهم للإنجاب، فتبني "يوغرطة" من قبل عمه "ماسيبسا" ومقاسمته العرش مع أبناءه خير مثال على ذلك.

1- Lassere (J.M), Ubique Populus, Peuplement et mouvements de population dans l'Afrique romaine de la chute Carthage a la fin de la dyn astic sèvre(14avj.c-235apj.c), Ed.C.N.R.S,Paris,p495.

2 - مقدم (بنت النبي)، المرجع السابق، ص 79.

3- تسعديت (رمضان)، الإصلاحات السيفيرية في بلاد المغرب القديم، رسالة ماجستير، إشراف:شنيتي محمد البشير، جامعة الجزائر، 1990، ص86.

ومن خلال المعطيات السابقة الذكر، نخلص إلى أن نوميديا عرفت ارتفاع معدل النمو الديمغرافي،زادت في تطعيمه وتغديته الهجرات المختلفة ،التي اتسع منحاها بشكل واضح في العهد الإمبراطوري الأول والثاني، مما ساهم في ارتفاع وتزايد عدد السكان.

ب–توزيع السكان : يتضح من خلال الدراسات التي أطلعت عليها، بأن نوميديا عرفت ارتفاعا كبيرا لنسبة السكان، إلا أن العجز في تحديد عددهم يبقى قائما في ظل غياب إحصاءات دقيقة، فقد أشار "بلين القديم" إلى أن عدد السكان تقلص في نوميديا نتيجة للحروب، التي أنهكت قواها، فأصبحت عبارة عن بعض "الأسوار"[1].

والملاحظ في هدا الموضوع أن هناك محاولات جادة من قبل بعض المؤرخين لإعطاء رقم محدد لعدد سكان المغرب القديم، ومن جملة هؤلاء "بيكار" الذي قدر عدد سكان إفريقيا خلال القرن الثالث الميلادي بحوالي ستة ملايين ونصف المليون نسمة، موزعين على النحو الآتي:

الملحق 10: جدول يمثل نسبة سكان أقاليم المغرب القديم.[2]

الإقليم	عدد سكانه
البروقنصلية	مليون ونصف مليون نسمة.
اقليم طرابلس	نصف مليون نسمة.
شرق نوميديا	مليون ونصف المليون نسمة.
وسط نوميديا	مليون ونصف المليون نسمة.
الموريطانيتين	نصف مليون نسمة.

من خلال الجدول المقدم يمكن القول إن نوميديا والبروقنصلية كانت أكبر المناطق المأهولة بالسكان نظرا للعدد الهائل للسكان المقيمين بهذه الأقاليم، ومن المحتمل أن يكون توفر المياه والمناطق

1- Pline l'ancien,IV,13.

2- Picard(G.CH),la civilisationde lAfrique romaine,Ed.plon ,paris,1959,p57

الرعوية المساعدة على تربية الماشية والخصوبة العالية للأراضي الزراعية من أهم العوامل التي استقطبت السكان بمختلف انتماءاتهم، ويقدم علم الآثار صورة تقريبية عن توزيع السكان، بالنظر إلى مساحة المدن وعدد القبور، واتساع المسارح إضافة إلى حجم قنوات المياه، فالمؤرخون الاجتماعيون يرجحون بأن 70% من مجموع السكان، استقروا في الريف والمناطق الجبلية.

والمناطق ذات الطابع العسكري، فقد بلغت الكثافة السكانية في الريف 100ن/كلم^2، لكن مع انتشار موجة النزوح الريفي في العهد الإمبراطوري الأول، بدأ عدد سكان الريف في الانخفاض في مقابل ارتفاع عدد سكان المدن، حتى أن تعداد سكان بعض المدن تراوح ما بين ستة آلاف إلى خمسة عشر ألف نسمة[1].

أما فيما يخص التركيبة العمرية، فنجد بأن معظم الأفراد تتراوح أعمارهم ما بين ثلاثين وخمس وثلاثين سنة، ومن المرجح أن 36% من السكان كان سنهم دون خمسة عشر سنة، أما من تجاوزت أعمارهم خمسين سنة فلا تتعدى نسبتهم 8% فقط[2]، وبهذا أقول إن المجتمع النوميدي كغيره من المجتمعات المحلية في المغرب القديم قد غلبت عليه فئة الشباب التي وفرت الطاقات البشرية التي تساهم في الإنتاج كما تساهم في تأسيس قوة عسكرية كان لها دور مهم في أحداث المنطقة وقدمت الجهد العضلي الذي ساهم في البناء والرقي الحضاري.

ومن حيث التركيبة الجنسية فالإحصائيات تشير إلى ارتفاع نسبة الذكور مقابل انخفاض نسبة الإناث، هذا انطلاقا من النصب الجنائزية وشواهد القبور، التي تقل بها أسماء الإناث مقارنة بأسماء الذكور، وربما يعزى سبب ذلك إلى ارتفاع نسبة وفيات النساء بسبب الحمل أو أثناء الوضع، أو الإجهاض بالدرجة الأولى نظرا لصغر سنهم، بالإضافة إلى التوافد الأجنبي الذي غلب عليه العنصر الرجالي بالدرجة الأولى[3]. لكن هناك توجه آخر يرى أن الحروب المتعددة والمتكررة قد أدت إلى تقليص عدد الذكور في نوميديا مما أدى إلى انخفاض نسبتهم مقابل ارتفاع عدد الإناث، ومن وجهة نظري فان الإناث قد ارتفع عددهم مقابل انخفاض عدد الذكور، ولعل هذه الظاهرة هي التي أدت إلى ظهور الزواج النوميدي الروماني كما أن الإنزال الكبير لمختلف الأجناس البشرية التي كانت تقوم به روما والذي غلب عليه الصنف الذكوري أدى إلى تغليب كفة الذكور على الإناث وبالتالي فتفاوت النسب بين الذكور والإناث قد نتج بفعل عوامل داخلية وخارجية متعددة ومتنوعة .

1- Ibid ,pp80,82.

2- محجوبي (عمار)، المرجع السابق، ص-ص 131-132.

3- Lasser (J.M), Op-CIT, P-P506-512.

ج–الحياة اليومية في نوميديا في ظل الاحتلال الروماني: سعى الرومان إلى إضفاء الصبغة الرومانية على مختلف مظاهر الحياة اليومية النوميدية، قصد توطين أقدامهم وترسيخ وجودهم هناك في بلاد المغرب القديم. وللوصول إلى تحقيق أهدافهم الاستيطانية عمد الرومان إلى نشر العادات والثقافة الرومانية وسط النوميد، إذ اعتبر التشبع بالثقافة الرومانية دليلا على التحضر والرقي ومكسبا للتحضر. ومن بين الوسائل التي استخدمتها الرومان لنشر ثقافتهم، وسط أفراد المجتمع النوميدي إدخال نمطهم العمراني الروماني وفرض أسلوب الحياة الرومانية القائم على مظاهر البذخ والترفيه، فقاموا بتشييد العديد من المدن ذات الطراز الروماني، وجهزوها بمختلف الهياكل والمنشآت والتي من جملتها ما يلي:

–الحمامات: كانت عبارة عن منتديات ثقافية لإقامة مختلف الأنشطة الثقافية والفكرية والإبداعية بالإضافة إلى وظيفتها الأساسية وهي الاستحمام والعلاج والراحة والترفيه.

–المسارح: مثلت فضاءً رحبا لالتقاء الطبقات المحلية والتعارف بينهم، وكان لها دور مهم في الحياة العامة، لتوافد الشعبي الكبير لمختلف طبقات المجتمع.

–المدرجات: تعتبر من أهم صور الثقافة الرومانية، حيث كان لها دور مهم في التعريف بالأثرياء والاحتفال بالمناسبات الرسمية والعامة.

–**الساحات العامة (الفوروم):** وجدت بمختلف المدن ذات الطراز الروماني، كانت تعقد بها اجتماعات المجلس البلدي حيث تناقش مختلف القضايا السياسية والعسكرية والاجتماعية وكذا الثقافية والأدبية[1].

علاوة على هذا وجدت الأسواق والمعابد والدكاكين وغيرها من المؤسسات الاجتماعية والثقافية، والتي كانت أبوابها مفتوحة لجميع الطبقات، وسخرت لضمان دمج واحتواء المنطقة في فلك الاحتلال الروماني[2]. من خلال هذا الأسلوب المنتهج تمكن الرومان من إحداث تحول عميق داخل المجتمع النوميدي، أفضى إلى انقسامه إلى قسمين : مجتمع الريف ومجتمع المدينة.

1–مجتمع الريف ونمطه المعيشي: يعتبر الريف أول مظهر من مظاهر البناء الاجتماعي، وسكانه هم السكان الأصليون لنوميديا، عرفوا بتمسكهم الشديد بالأرض وممارسة نشاط الرعي، مما فرض عليهم الانتقال من مكان إلى آخر بحثا عن الماء والكلإ، لأجل ذلك عرفوا بالبدو الرحل، قاوموا بشدة كل أساليب الرومنة وأشعلوا فتيل المقاومة المستمرة ضد الرومان مما جعلهم مصدر خطر دائم عليهم . وقد

---

1 –عقون(محمد العربي)، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، المرجع السابق، ص262.

2– بودانة (وليد)، دراسة تاريخية حول مظاهر الحياة اليومية ببلاد المغرب خلال العصر الروماني، صوت الجلفة، تاريخ الزيارة 23سبتمبر2013م.ب.ص.

حافظ الريف على الهوية المحلية، فتمسك أهله بثقافتهم ورفضهم الدائم للحضارة الرومانية، فاللغة البونية ظلت متداولة بينهم حتى زمن متأخر حسب المصادر، كما كانت أزياءهم التقليدية مصدر عز وفخر، أما الرجوع عن دينهم فلم يكن بالأمر الوارد، رغم كل المحاولات الرومانية لرومنة المنطقة، أما في المجال السياسي فقد خضع سكان الريف إلى النظام القبلي، حيث كان شيخ القبيلة هو المسؤول الأول عن تسير أمور القبيلة، كما كانت تجمع بين أفراد القبيلة رابطة الدم، فجميعهم يشتركون في الجد الأكبر لها، وتمثل رابطة صلة الرحم بينهم أقوى رابطة اجتماعية حيث لعبت المصاهرة والنسب دورا كبيرا في التلاحم الاجتماعي لدرجة أنها مثلت القاعدة الأساسية للتلاحم الاجتماعي والعمود الفقري للعلاقات الاجتماعية.

أما من ناحية المعيشة فقد اعتمد سكان الريف في بالدرجة الأولى على تربية الحيوانات من أغنام وأبقار إلى جانب الخيول والجمال، وهي الحرفة الرئيسة للكثير من النوميدين، وقد أشار" بوليبيوس" إلى أهمية الثروة الحيوانية في نوميديا حيث قال: "في هذه البلاد توجد الخيول والأبقار والأغنام والماعز وهي من الكثرة إلى درجة أعتقد أن ليس لها مثيلا في باقي الأرض"[1].علاوة على الرعي مارس سكان القرى الزراعة ايضا، والتي عرفت تقدماً واضحاً بفضل مجهودات الملك "ماسينيسا" المشجعة، حيث قدم الدعم ومنح مختلف التسهيلات للفلاحين، و نجحت إصلاحاته في رفع الإنتاج وتوسيع نطاق الزراعة، فأصبحت النشاط المكمل للرعي كما حققت الاكتفاء الذاتي لسكان القرى بل أصبحت المنتوجات الزراعية النوميدية تصدر للشعوب المجاورة مثل روما.

2– مجتمع المدينة ونمطه المعيشي: يعزى تأسيس المدن وتحضر المجتمع النوميدي إلى الملك "ماسينيسا"، الذي شهد المؤرخون القدامى أمثال "بوليبيوس" و"سترابون"، على أنه صاحب الفضل في التحول الحضاري والاقتصادي الذي وقع في نوميديا، بعد ما عمل على تمليك الأراضي للقبائل، ووفر لهم الأمن والحماية مما ساعدهم على الاستقرار، والتخلي عن حياة الترحال واستبدالها بحياة التمدن. إن المعلومات الخاصة بفئة الحضر النوميديين شحيحة جداً خاصة بعد ما فضلوا التكيف مع الوضع الجديد والانصهار في بوتقة المجتمع الروماني مستفيدين من كل الفرص التي منحتها لهم الإدارة الرومانية قصد تكوين طبقة برجوازية تدعم نفوذها وتساعدها في تقويض مقاومة سكان الريف والقضاء عليها[2].

وبهدف تميع هوية المنطقة وتغيب تاريخها وإرثها الحضاري، لجأ المؤرخون الغربيون إلى ربط ظهور التمدن بالمغرب القديم بمجيء الرومان فبحسبهم أن المجتمع النوميدي لم يصبح مجتمعا متمدنا إلا بعد ما

1- حارش(محمدالهادي)، التطور السياسي والاقتصادي في نوميديا، المرجع السابق'ص ص112-113.

2 - شنيتي (محمدالبشير)، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني، المرجع السابق، ص، ص168-169.

احتك بمجتمع الوافدين، الذين جاؤوا لاستيطان المنطقة حيث تمكنوا من تكوين طبقة ذات نفوذ معتبر بعد ما قدمت لهم روما كل التسهيلات، لكن الحقيقة تخالف ذلك حيث يؤكد المؤرخون المحليون على أن التمدن سبق الوجود الروماني وهو ما يعكسه وجود مدن ليبية وماسيلية ونوميدية، على غرار: مدن سيرتا ودوقة وتيفست، وهي المدن التي تعكس أشكال التمدن الأولى في نوميديا[1]. طبعا هذا الاختلاف بين الأطروحتين المحلية والغربية، يشتد في ظل الغموض الراجع بالأساس إلى غياب المادة المصدرية وضعف الأبحاث الميدانية، ولكن مع هذا فمن المرجح بأن وصول القرطاجين كان أسبق من الرومان، ثم لو سلمنا جدلا بحقيقة الطرح الغربي، فإن المدن التي أوجدها الرومان لم تكن بهدف تمدين وتطوير المنطقة، وإنما لمراقبة تحركات الأهالي، لمنع حدوث أي مقاومة، فهي لا تعدو عن كونها مجرد محتشدات ومقرات للإقامة الجبرية، يجمع فيها السكان الأصليون هذا من جهة، ومن جهة أخرى هدفت روما من وراء بناء المدن، إلى رومنة المنطقة خدمة لسياستها الاستعمارية والاستيطانية، وشتان مابين الاستعمار والتحضر[2].

من جهة أخرى عرفت الحياة الحضرية في نوميديا تطورا ملحوظا بعد توغل الكثير من العادات والتقاليد والطباع الرومانية، وهذا منذ أن حلت جموع المهاجرين الايطاليين بالحواضر أواخر العهد الجمهوري وبداية العهد الإمبراطوري الأول ونظرا لتزايد السكان وتوسع المدن فقد أصبحت متطلبات الحياة كثيرة ولم يعد نشاط سكان المدن يقتصر على الزراعة والرعي، بل تخطاه إلى نشاطات أخرى على غرار الحدادة والتجارة التي توسعت ونشطت بشكل ملحوظ إضافة إلى مختلف الحرف والصناعات الأخرى التي مارسها النوميد في الحواضر، وتجدر الإشارة إلى أن روما بدلت مجهودات معتبرة لاستصلاح الأراضي وتوسيع الزراعة وهذا طبعا بهدف تحقيق الاكتفاء الذاتي لسكان روما التي كانت تزودها المقاطعات الإفريقية بالقمح لمدة ثمانية أشهر من السنة أي ما يعادل ثلثي القمح الضروري لروما[3] كما أشرت سابقا.

وهكذا فإن الاحتلال الروماني بدل مجهودات معتبرة لتوسيع المدن وتنظيمها وفق النمط المعماري السائد آنذاك إلا أن وجود المدن أقدم من وجود الرومان فهذه الأخيرة لم تشيد مدنا جديدة في المغرب بحسب آراء بعض المؤرخين فهي اكتفت بتوسيع وتطوير المدن التي كانت موجودة قبل الاحتلال[4] فهي في الأصل نوميدية مغربية.

1- عقون (محمد العربي)، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، المرجع السابق، ص180.

2-البرغوثي(عبد اللطيف محمود)،المرجع السابق،ص257.

3- Albertini (E) OP-CIT, P 31.

4- S-Gsell, H.A.A.N, TV, P275.

وخلاصة لك ما سبق أقول إن المجتمع النوميدي بخصائصه الثقافية والاجتماعية أحد النماذج البارزة في المغرب القديم، حيث يقدم صورة بارزة عن التحول والتطور الذي طرأ على المجتمعات القبلية في الشمال الإفريقي، كما يبين مختلف التفاعلات والتأثيرات التي تعرضت لها المجتمعات المحلية هذا من جهة، من جهة أخرى يقدم المجتمع النوميدي بعض الحقائق التي أغفلتها المدرسة الغربية عند دراستها للمجتمعات المحلية، بحيث ركزت على ما يخدم توجهها الإيديولوجي القائم على فكرة "القصور الذاتي للإنسان المغربي".

المبحث الثاني:المظاهر الاثنولوجية وسط المجتمع النوميدي: تهتم الإثنولوجيا بدراسة الشعوب وتصنيفها حسب خصائصها ومميزاتها الثقافية والاقتصادية ،ويتضمن ذلك العادات والمعتقدات وأنواع الزي والمسكن وغيرها، وبمفهوم اخر هي مجموع العادات والقيم والتقاليد التي تعيش وفقها جماعة أو مجتمع بشري بغض النظر عن مدى تطور العلوم لديه أو مستوى حضارته وعمرانه[1].

1-الكاريزما النوميدية من خلال المصادر الكلاسيكية: لقد تحدثت الكثير من المصادر الإغريقية والرومانية عن النوميد اما من قريب أومن بعيد، بحيث قدمت بعض المعلومات التي تمكن الباحث من استخلاص بعض الملامح التي ترسم صورة تقريبية للشخصية النوميدية، وبالرغم من كون هذه المصادر اعتمدت على الأخبار المتناقلة ولم يحتك أصحابها بسكان المنطقة عن قرب إلا نادرا، وفي الكثير من الأحيان تطغى عليها رؤية عنصرية (خاصة الرومان)، فضلا عن كون هذه الكتابات لم تهتم بلغة السكان ولهجاتهم إلا نادرا، ومع كل هذا تبقى هذه المصادر ذات أهمية بالغة في تقديم معلومات عن الصفات الجسمانية والأخلاقية التي تمتع بها النوميد وهو ما سأحاول التفصيل فيه فيما سيأتي.

أ-ملامح الشخصية النوميدية:لقد رصد العديد من المؤرخين القدامى مقومات الشخصية النوميدية وخصائصها، ولعل أول ما يمكننا استخلاصه من بعض النصوص الإغريقية والرومانية على وجه الخصوص هو اتفاق اغلبها على الوحدة العرقية للقبائل المحلية بما فيها النوميد، حيث ذكر هيرودوت في كتابه "وحدة الانتماء" حيث يؤكد على أن الليبيين والإثيوبيين هم سكان أصليون في المغرب القديم، قائلا: "فالسكان الأصليون هم الليبيون والإثيوبيون، والليبيون يسكنون البقاع الشمالية من البلاد بينما يسكن الإثيوبيون جنوبها"[2]، ونفس الأمر نجده عند المؤرخ الروماني سالوست الذي يؤكد هو الآخر على وحدة العرقية لسكان الشمال الإفريقي، حين يؤكد الأصل الواحد لقبائل المور والجيتول والليبيون

1- مديولي (جلال)، الاجتماع الثقافي، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، 1979، ص-ص 79-80.

2- هيرودوت، المصدر السابق، ص369.

والنوميد[1]. وهو نفس التوجه الذي أكد عليه العلامة ابن خلدون حيث يقول: "إن هذه الأمة المشتملة على أمم وعوامل ملأت جانب الأرض لا تكون متنقلة من جانب آخر وقطر محصور، والبربر معروفون في بلادهم وأقاليمهم متميزون بشعارهم من الأمم منذ الأحقاب المتطاولة قبل الإسلام"[2]. لكن وبالرغم من تأكيد اغلب المصادر القديمة على هذا الطرح إلا أننا نجد أن المدرسة الغربية الحديثة ترفضه وتقدم طرحا جديدا يرجع أصل النوميد وسكان المغرب القديم إلى أصول أروبية ضاربة بذلك عرض الحائط جميع الحقائق والدلائل، ويبدو أن هذا الطرح يهدف إلى خدمة السياسة الاستعمارية وتبرير سياسة الاحتواء والضم التي مارستها.

ومن أهم سمات الكاريزما النوميدية أنها شخصية متفتحة تتفاعل مع محيطها المحلي والمتوسطي والإفريقي، وهو الأمر الذي أهلها لتلعب دورا رائدا في تاريخ المنطقة وتساهم بمجهودها في التطور البشري، ولعل أكبر دليل على حيوية المجتمع النوميدي تعدد العلاقات التي ربطته بمختلف الأجناس القادمة من الشمال والشرق والجنوب وهو ما أدى إلى تنوع المظاهر الحضارية وسط المجتمع النوميدي بفعل تعدد وتنوع الروافد الثقافية.

ومن جملة الخصائص التي ذكرها المؤرخون القدامى ميل المجتمع النوميدي إلى تعدد النسل، حيث كان مجتمعا ولودا ترتفع فيه نسبة الولادة، ولعل هذه الظاهرة تعود إلى عاملين: أولهما حب الأطفال وثانيها الرغبة في تكوين قبائل كبرى يكثر محاربوها ويتعدد أفرادها ومن الواضح أن أفراد هذا المجتمع قد تمتعوا بالصحة الجيدة وهو الأمر الذي أشار إليه هيرودوت الذي يقول في مصنفه:"في الحقيقة أن الليبين هم الأوفر صحة من كل الأقوام الذين نعرفهم"[3]. ويؤكد سالوست على هذا الأمر عندما يشير إلى رشاقة أجسام النوميد وقوتهم في قوله: "هؤلاء الناس أشداء رشيقون، قساة في العمل، يموتون عموما من الشيخوخة باستثناء الذين يموتون تحت الحديد أو نهش الحيوانات المؤدية"[4]، ويعزى هذا إلى النمط الغذائي الذي يعتمد بالأساس على تناول اللحم الذي يتحصلون عليه من الطرائد وشحوم الإبل والحليب الذي تنتجه قطعانهم إضافة إلى الزيتون والتمر والقمح والشعير، أما الأزياء النوميدية فالنصب والرسوم الصخرية وكتابات المؤرخين الكلاسيكين والبقايا المادية تبين لنا اهتمام النوميد بلباسهم وأزياءهم

1- Salluste. Op-cit.XVII

2- ابن خلدون (عبد الرحمن)، المصدر السابق، ص96.

3- Hérodote ,IV,187.

4 -حارش(محمد الهادى)، دراسات ونصوص في تاريخ الجزائر وبلدان المغرب في العصور القديمة، المرجع السابق، ص 186.

التي استخدموا فيها الجلود كمادة أساسية نظرا لتوفرها في بيئتهم ومن المرجح أن لباس العامة كان يختلف عن لباس الطبقة الحاكمة وهو ما تبينه الآثار المادية[1]خاصة النقود التي تبين

الملحق 11 بعض أزياء النوميد من خلال الآثار المادية[2].

بعض تصفيفات الشعر وقبعات الرأس كما تبين ملامح النوميد. هذا من الناحية الجسمانية، أما من ناحية الصفات الكاريزماتية فقد عرف النوميد بحبهم للحرية والتحرر ولعل هذا الميل هو الذي جعلهم لا

1 -انظر الملحق 11.

2- Gsell(s),op-cit,T.VI , P 34.

وجعلهم يميلون لحياة الترحال والتنقل المستمر، ولعله نفس السبب الذي جعلهم يطلقون على أنفسهم تسمية "الأمازيغ" بمعنى الأحرار أو النبلاء[1].

ب– بعض عادات وتقاليد النوميد: لقد أشار هيرودوت في كتابه إلى الكثير من العادات والممارسات والأعراف التي تميزت بها القبائل المحلية في المغرب القديم وفصل فيها بشكل بارز، حيث قدم مواقعها وأنماط معيشتها، فصنفها إلى صنفين: صنف يعيش شرق بحيرة تريتون يمتهن الرعي وصنف يعيش غرب البحيرة يمتهن الزراعة، وفي الترجمة التي قدمها الخشيم على فهمي لكتاب هيرودت نجد هذا الأخير يصف عاداتها وتقاليدها النوميد من مأكل وملبس وطقوس زواج ولباس وغيرها. فنجده على سبيل المثال: يشير إلى طعام بعض القبائل فيذكر ثمرة اللوتس التي يعادل حجمها حبة التوت البري ويصنعون منها النبيذ[2]، ويشير أيضا إلى الاستخدامات المتعددة للقمح كما أشار إلى التمر والعسل وغيرها.ومن جملة العادات التي ذكرها هيرودوت بعض الطرق لعلاج مختلف الأمراض فنجده يشير إلى عادة "الكي" فيقول أن القبائل المحلية كانوا يكوون عروق جلود رؤوس الأطفال وأحيانا عروق أصداغهم، ولعلاج وجع وألم الكي يستخدمون بول الماعز[3]، من جهة أخرى جرت العادة على مداواة الألم والجروح ومختلف الأمراض بالنباتات الطبيعية التي تنتشر في المنطقة بحكم تنوع وغنى الغطاء النباتي ومن أشهر النباتات التي استخدمت نبتة "السلفيوم" التي صدرت كدواء إلى روما واليونان[4].

ومن جملة العادات الراسخة لدى النوميد والتي يمتد تأثيرها إلى عصرنا الحالي فكرة العين الشريرة والتي كان السكان يعملون على طردها بعدة وسائل كقشور بيض النعام والتمائم وكذا الوشم حتى أن بعض اللوحات الفسيفسائية إنما استخدمت بغرض طرد الأرواح الشريرة، فكثيرا ما تكتب عبارات تبين هذا الغرض مثل ما هو الأمر بالنسبة للوحة الفسيفسائية المحفوظة في متحف سوسة بتونس التي كتب عليها: "أيها الحاسد الممتقع هاته المباني الرائعة التي تنوي إحلال الضرر بها أقيمت لتحية الآلهة فلا تستخف بالأمر"[5]،ومن أبرز وأهم عادات التي مارسها النوميد هي إقامة الاحتفالات الدينية قصد التبرك وطلب عطف السماء بهدف الحصول على غلة ومحصول وفير، فقد ساد الاعتقاد بقدرة "العين الشريرة" على إفساد المحصول. وللإشارة فان بعض العادات قد امتد تأثيرها إلى خارج نوميديا وقد أشار هيرودوت إلى هذا الأمر عندما أشار إلى العربات التي يجرها أربعة جياد والتي أخذها الإغريق عن الليبيين والزي

1-مبارك(محمد الميلي)،تاريخ الجزائر القديم والحديث،ج1،دار الغرب الإسلامي،لبنان،د.ت،ص ص،314-315.

2- لخشيم (على فهمي)، المرجع السابق، ص37.

3- المرجع نفسه، ص 44.

4- مقدم (بنت النبي)، المرجع السابق، ص 255.

5- مقدم(بنت النبي)،المرجع السابق، ص 252.

المصنوع من جلد المعز والملون باللون الأحمر والذي يعرف باسم "أيخس" في اليونان وغيرها من التأثيرات. وإن دل هذا على شيء إنما يدل على امتداد الروافد النوميدية وتبادل التأثير والتأثر بين شعوب ضفاف البحر الأبيض المتوسط.

-المنظومة الثقافية في ظل الاحتلال الروماني: عرفت المنظومة الثقافية تعددا وتنوعا ملحوظا على غرار التنظيم الاجتماعي، بفضل الانفتاح على الثقافات الواردة والاحتكاك مع مختلف الروافد الثقافية للشعوب المطلة على البحر الأبيض المتوسط، وهو الأمر الذي أدى إلى تنامي المؤشرات الحضارية التي تميز بها المجتمع النوميدي مع نهاية القرن الأول قبل الميلاد إلى القرن الثالث الميلادي، وللإشارة فان المنظومة الثقافية للمجتمع النوميدي لا يمكن التطرق إليها دون ربطها بالفترة السابقة اللوبية والبونية لكون هده الفترات تبين الانسجام الحضاري والتسلسل المنطقي لتطور فكر الإنسان النوميدي. ولتبيان مختلف التطورات والتحولات التي طرأت على المنظومة الثقافية النوميدية سأحاول ذكرها في النقاط التالية:

أ_ المظاهر الحضارية: تبرز المظاهر الحضارية جانبا من التطور الفكري والعلمي الذي بلغه المجتمع النوميدي في فترات تاريخية مختلفة كنتيجة لتطور العلاقات مع المحيط وارتقاء المستوى الفكري والعلمي للفرد النوميدي. إن معالجة المظاهر الحضارية يجعلني استخلص جملة من الملاحظات اعرضها على الشكل الآتي:

- المدن: تعكس المدن جانبا من التطور الحضاري الذي ميز المجتمع النوميدي فقد تطورت المدن النوميدية من طابعها الرعوي والزراعي إلى مدن تجارية وعواصم اقتصادية تستقطب مختلف التجار والحرفين والمستثمرين الأجانب، وكان القرطاجيون أول من عمد إلى تأسيس مدن كبرى على طول سواحل الشمال الإفريقي، وهذا خدمة لمصالحهم التجارية، حيث أقاموا موانئ كبرى اجتمع حولها السكان المحليون، وربط القرطاجيون مع النوميد علاقات تجارية وعلاقات مصاهرة مما أدى إلى ظهور تجمعات سكانية سرعان ما تحولت إلى مدن، على أن الطراز النوميدي القائم على الزراعة والرعي -كما أشرت- ظل قائم خاصة في القرى[1]، لقد أشار عدد من المؤرخين إلى كثرة المدن النوميدية وتنوعها كما أكدوا على أن الرومان شيدوا مدنهم على أنقاض المدن النوميدية على غرار كالاما(قالمة)-بونة(عنابة)-كرتن (قسنطينة)[2]، ومما تجدر الإشارة إليه هو أن أغلب هده المدن قد ضاعت آثارها المادية إلا إذا

1- غانم (محمد الصغير)، المملكة النوميدية والحضارة البونية، المرجع السابق، ص 148.

2- S-Gsell, H.A.A.N, TV, P275.

استثنينا مدينة "تيمقاد "و"جميلة"[1]، وقد تمتعت كل مدينة بأهمية ما إما عسكرية أو تجارية أو زراعية وقامت روما بانجاز شبكة من الطرق لربطها بمراكز الإنتاج أو بالثكنات العسكرية ونظرا للطابع الحضري الذي اشتهرت به تلك المدن وتوفرها على المرافق القاعدية ووسائل الترفيه، فقد استقطبت السكان مما جعل الكثافة السكانية ترتفع بها ومن هنا بدأت معالم الرومنة التي سنتطرق إليها لاحقا في البروز وسط سكان المدن ذات الطراز الروماني.

ب– المظاهر الثقافية: سعى النوميد إلى الانسجام والتآلف مع مختلف الثقافات الوافدة إلى مجتمعهم المحلي، وقبل أن نشرع في دراسة التفاعل النوميدي مع الثقافات الوافدة لا بد أن نشير إلى أن التأثير والتأثر بين الثقافات أمر إيجابي أكثر مما هو سلبي، فتقبل الآخر والاحتكاك به والاستفادة من مكتسباته وخبراته منهج سارت عليه أغلب الأمم التي بلغت من التحضر والرقي عتيا. لقد تأثر النوميد بثلاث ثقافات وافدة، الثقافة القرطاجية ذات الروافد الفينقية، الثقافة الهلينية ذات الروافد اليونانية، إضافة إلى الثقافة اللاتينية التي عملت الإدارة الرومانية على نشرها وفرضها من خلال اتخاذها عدة إجراءات منها:

I–اعتماد اللغة اللاتينية لغة رسمية في المجالس والمعاملات الإدارية، ما اجبر سكان المدن خاصة إلى استخدام اللاتينية في معاملاتهم الإدارية، واقتصر استخدام اللغة البونية على حياتهم الخاصة.

II–فرض التجنيد الإجباري على أبناء المغاربة، ما أجبرهم على تعلم اللاتينية بالنظر إلى فترة الخدمة العسكرية الطويلة.

III –دعم التعليم اللاتيني من خلال إشراف إدارة البلديات عليه، عن طريق جلب المعلمين والتكفل بهم، علما أن التعليم كان حكرا على الفئات الاجتماعية الحضرية المترومنة الغنية منها والمتوسطة.

بالرغم من المساعي الحثيثة والجهود المبذولة من طرف الإدارة الرومانية لفرض اللغة اللاتينية التي كانت تمثل لغة العصر آنذاك، إلا أن اللغة اللوبية والبونية ظلت متداولة خاصة في أوساط القرويين الذين تمسكوا بمقوماتهم الحضارية والثقافية، وبالرغم من توفر عدد لا باس به من النصوص النقوش النذرية والمزدوجة (لوبية –بونية –لاتينية)[2]. إلا أن اللغة المحلية ظلت مجهولة ولم يتمكن الباحثون من فك رموزها.وتجدر الإشارة إلى أن التمازج الحضاري وتلاقح التيارات الثقافية المختلفة، الذي شهدته نوميديا

1- أنظر الملحق 12.
2- أنظر الملحق 13.

الملحق12 صور لمدن رومانية قديمة [1]

مدينة تيمقاد

مدينة الجميلة

1 – عيساوي (مها)، المرجع السابق،ص458.

خاصة والمغرب القديم عامة، انبثق عنه بروز الحضارة اللوبية الجديدة المطعمة بالمؤثرات اللاتينية، هذه الحضارة حافظت على نظامها القديم وتقاليدها الاجتماعية والدينية، كما انكب أفرادها على علوم الفصاحة والخطابة وعلم الحساب والنحو والصرف، ودروس الأدب والتاريخ والفلسفة ومختلف العلوم، ما أدى إلى بروز طبقة من الأدباء الأفارقة مزدوجي الثقافة، كانوا متمرسين ومتمكنين من اللغة اللاتينية، إلى جانب إتقانهم للغة الآباء أمثال: "أوغسطين" و"ترتيليانوس"[1].

–المجال العقائدي: تعكس المعتقدات الدينية النوميدية مختلف الأفكار والأوهام التي نشأت من خلال علاقة الإنسان بالطبيعة، وهي العلاقة التي ولدت في نفسه حالة من الخوف والرعب من التقلبات المناخية والظواهر الطبيعية، فرغب في التقرب منها أكثر ليأمن شرها، فراح يعتقد بوجود قوى خفية تحيط به، لذلك قدس الظواهر الطبيعة في مقدمتها الشمس والقمر والرياح والمياه، وهذا بعد عجزه من تفسير تلك الظواهر الكونية[2]. إن صيرورة المعتقد النوميدي لا يختلف عن صيرورة المعتقدات البشرية عامة والقائمة بالأساس على وجود قوى خفية تمثلها الأرواح الشريرة المتصارعة مع قوى الخير، وهي المعادلة التي أدت إلى امتزاج الدين بالسحر. ومن أهم ركائز المعتقد النوميدي وجود "ظاهرة الأرباب"التي أشار إليها الكثير من المؤرخين القدامى على غرار"هيرودت" و"تيودور الصقلي"، فالنوميد والمغاربة عامة قدسوا آلهة دون غيرها ومجدوها أكثر من بقية المعبودات، ومن أشهرها الآلهة "تانيت" والإله "أمون" كبير الآلهة الذي جسدوه في صورة كبش وهو يرمز للخصوبة، وقد عثر على مائتين وواحد وثمانين نصبا لأمون في "معبد الحفرة "بقسنطينة وهيبيون ودلس وشرشال وتيبازة[3]. أما "تانيت"فهي آلهة الأمومة والخصوبة، وبغض النظر عن أصولها فإن انتشارها يعكس مدى تمسك المغاربة واعتزازهم بالمرأة، ومكانتها الرفيعة وسط المجتمع القبلي النوميدي.

بعد وصول الجيوش الرومانية بدأت المعتقدات الرومانية تتوغل وسط المجتمع النوميدي، خاصة في صفوف المترومين الذين أقبلوا على معبودات روما DEARAMA والثالوث الإلهي الرسمي "الثالوث الكاثولكي"[4]. وتجدر الإشارة إلى أن هذه العبادات الرومانية الاصل انتشرت بين الطبقة الأرستقراطية الموالية لنظام الروماني والمستفيدة منه والمتمثلة في حكام البلديات وكبار الملاك. أما عامة الشعب فقد ظلوا متمسكين بالمنظومة العقائدية المحلية، بل أنهم ازدادوا تمسكاً بموروثهم الديني

1–مبارك(محمد الميلي)،المرجع السابق،ص292.

2– شارن (شافية) وآخرون، الإحتلال الاستيطاني وسياسة الرومنة، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث، الجزائر.2007، ص28.

3– غانم (محمد الصغير)، المملكة النوميدية والحضارة البونية، المرجع السابق، ص206.

4– أنظر الملحق 14.

الملحق 13 نقش نذري مزدوج[1]

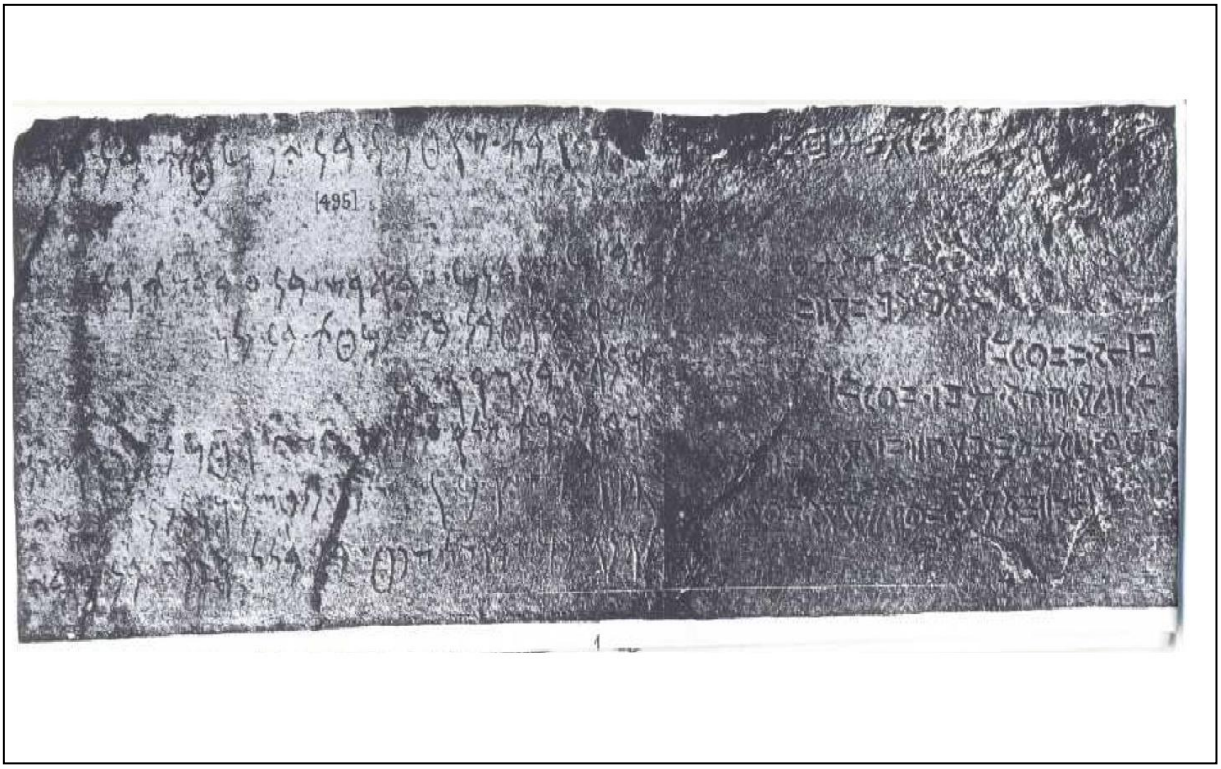

1- السليماني(أحمد)،المكنون الحضاري في نوميديا القديمة-الكائنة في الجزائر-من خلال الدلالات واللقى الأثرية والأنصاب النذرية، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954،الجزائر،2007،ص 195.

، واتخذوه وسيلة لمواجهة الوجود الروماني، ولعل اعتناق المسيحية لم يكن عن قناعة وإنما محاولة للتنصل والهروب من الظلم والتعسف الروماني، وهو ما أكده "ترتيليانوس"الذي أوضح أن الانتشار الأول للمسيحية كان في الريف وسط الطبقة الدنيا من المجتمع، التي رأت في مبادئ المسيحية القائمة على العدل والمساواة والأخلاق وسيلة لإنقاذها من الظلم والتهميش المسلط عليها من قبل الطبقة الأرستقراطيين[1]. وقد عاشت الطبقات الفقيرة بالمجتمع النوميديا، على غرار باقي المقاطعات الرومانية، حالة من الظلم والاستبداد والعبودية مورست عليها من قبل الطبقات الغنية، مما أدى إلى اتساع الهوة بين طبقات المجتمع، فكانت تعاليم المسيحية أمل الطبقة الدنيا في العيش الكريم، إذ بفضلها تحولت معايير التفاضل الاجتماعي التي كانت قائمة أساسا على معيار الفقر والغنى إلى معاير الأخلاق الحميدة[2]، مما جعل المجتمع يشهد تحولات عميقة، فالمسيحية بمبادئها أعلنت الحرب على الطبقة الارستقراطية والطبقة الحاكمة، مما هدد مصالحها الأمر الذي دفع بالإمبراطور "سيبتيموس سيفيروس" نهاية القرن الثاني وبداية القرن الثالث للميلاد، إلى الإعلان عن إجراءات اضطهاد وقمع واسعة بحق الطائفة المسيحية، التي باتت تستقطب أعداداً كثيرة من مختلف الطبقات الاجتماعية من أغنياء وفقراء عبيداً وأسياداً[3]. واستمر الاضطهاد والتنكيل ضد المسيحيين حتى مطلع القرن الرابع ميلادي، حينما اعتنق الإمبراطوري "قسطنطين" المسيحية إثر مرسوم ميلانو سنة 313م[4]، وهكذا أصبحت المسيحية الديانة الرسمية للإمبراطورية الرومانية، فاعتنقتها الطبقة الأرستقراطية وبات رجال الدين يحظون باهتمام الحكام الذين أصبحوا مقربين منهم، فتبوءوا أعلى المناصب الدينية وتوسعت مكاسبهم الدنيوية، فأصبح المال والجاه مطلبهم الأول، فانحرفوا بذلك عن القيم الأخلاقية السامية للمسيحية، وابتعدوا عن خدمة الطبقة العامة والذود عن مصالحها، بل أنهم أصبحوا أداة السلطة في تنفيذ تعسفها ضد الطبقة الفقيرة، وهو ما أدى في النهاية إلى انتفاضة الشعب على المسيحية والسلطة على حد سوى، فظهر تياران:تيار موالي لسلطة الكنيسة الخاضعة لهيمنة الإمبراطور وتيار معارض للنظام السياسي والاقتصادي الكنسي السائد عرف مناصروه بالدوناتين[5].

1-ترتيليانوس(كوينتوس.سيبتموس)، المنافحة(دفاع.عن.التوحيد)، ط1، تر:عمارالجلاصي، طرابلس، 2001، على الموقع: www.twalt.com الرفع:2012/01/12، ص78.

2- عمران(عبد الحميد)،المرجع السابق ، ص، ص88، 91.

3- المرجع نفسه، ص108.

4- أنظر الملحق 15.

5- شنيتي (محمد البشير)، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني، المرجع السابق، ص277.

الملحق 14 معتقدات نوميدية[1]

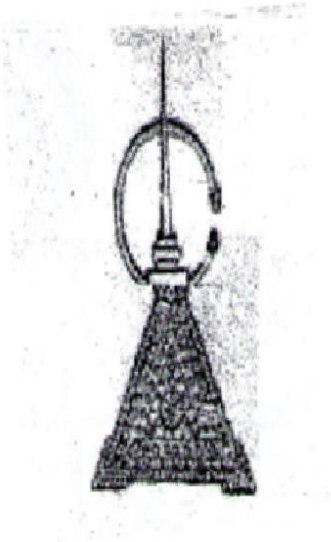

1- غافقي (منصور)،"نساء والهة لوبيات"،مجلة المراءة التونسية عبر العصور، وزارة الثقافة ،تونس،نوفمبر،1997، ص 49.

لقد رفضت الدوناتية بقيادة زعيمها "دوناتوس" استغلال المسيحية، لإغراض سياسية والعمل على إفراغها من محتواها الأخلاقي والاجتماعي، مما جعل السلطة تفرض عليهم حصارا وظيفيا وعسكري، وتثقل كاهلهم بالضرائب المجحفة ما ترتب عنه ضيق اجتماعي كبير، فتحولت الحركة الدينية إلى حركة اجتماعية بصبغة دينية[1].

يتضح مما تقدم بأن النوميد وبخاصة في المناطق الريفية والجبلية النائية، بقوا أوفياء لوثنيتهم رغم أصناف التعذيب المسلطة عليهم من قبل السلطات الرومانية، واعتناقهم للديانة المسيحية وإقبالهم عليها

لم يتم إلا بعدما أصبحت الديانة الرسمية لدولة الرومانية، ولكن ما أن انحرفت عن مبادئها الدينية والأخلاقية حتى انفضوا عنها مجددا، مشكلين حركات انفصالية اجتماعية ودينية رافضة لسياسة التعسفية الممارسة ضدهم.

وهكذا كان المجتمع النوميدي بمختلف ركائزه الاجتماعية والثقافية يمثل امتدادا للمجتمع التقليدي الذي ظهر في منطقة الشمال الإفريقي القديم والذي عبرت عنه مختلف المخلفات المادية والرسومات الصخرية، وقد شكل بخصائصه وعاداته وأعرافه مجتمعا إنسانيا تطور في إطار الأحداث التاريخية التي رسمت الملامح الكبرى لهذا المجتمع وزادت علاقاته الخارجية مع جيرانه القائمة على معادلة التأثير والتأثر في نمو وتطور مرتكزا ته ونظمه مما أدى إلى بروز الشخصية النوميدية التي راحت تلعب أدوارا رياديه في أحداث المنطقة المتوسطية، وبالرغم ومن تنوع التيارات الثقافية والعقائدية إلا أن المجتمع النوميدي ظل متمسكا بنظمه وهويته ومرجعيته المحلية وهو الأمر الذي نلمسه في الفصول القادمة ولعل هذا التمسك يعكس لنا مدى اعتزاز وافتخار الفرد النوميدي بهويته وانتمائه للأرض النوميدية التي احبها حتى القداسة أحيانا.

1- شارل (أندري جوليان)، المرجع السابق، ص ص296-297.

الملحق 15 براءة ميلانو 313م التي أقرت مبدأ التسامح الديني، أهم ما جاء فيها:

نحن الاغسطين"قسطنطين"و"ليكينيوس" :

(..وبعد تبادل الآراء في ميلانو أتضح لنا أن مصلحة الدولة تقتضي منا وضع تسوية لبعض المسائل وخاصة منها تلك المتعلقة بأمور الدين واحترام العبادة، واتفقنا على منح الناس حرية الدين الطي يختارونه، وقررناّ، وبمحض إرادتنا حرية الناس في الاعتناق الدين المسيحي، ولن نمنع أحد من ذلك، والجميع أحرار في متابعة عبادتهم وطقوسهم الخاصة المنتهجة في أمور العبادة، ومتابعة النهج المختار ليرضى عنا الإله وننال بركته).

وجاء في مرسوم قسطنطين:

(إننا أدركنا منذ عهد طويل أن الحرية الدينية يجب أن لا يحرم منها أحد، بل يجب أن يترك لحكم ورغبة كل فرد، وأن يتم واجباته الدينية وفق اختياره.أصدرنا الأوامر بأن كل فرد من المسيحيين وغيرهم أن يحتفظ بعقيدته وديانته)[1].

1 – عمران (عبد الحميد)، المرجع السابق، ص–ص، 133–134.

الفصل الثالث

مرتكزات النظم الاجتماعية وسط المجتمع النوميدي

المبحث الأول: مظاهر التنظيم الاجتماعي لدى النوميد.

أولا–ماهية النظم الاجتماعية.

ثانيا–النظام الأسري.

ثالثا–النظام القبلي.

رابعا–الأحلاف القبلية.

المبحث الثاني:آليات الاحتلال الروماني في تغيير النظم الاجتماعية المحلية.

أولا–الاستحواذ على الأراضي الخصبة

ثانيا–سياسة التهجير والعزل

ثالثا–سياسة الاستيطان.

رابعا–تفكيك الروابط القبلية.

الفصل الثالث: مرتكزات النظم الاجتماعية وسط المجتمع النوميدية: في الفصل الثالث سأحاول التطرق إلى ابرز الأسس والمرتكزات التي قام عليها التنظيم الاجتماعي وسط نوميديا، لهذا عمدت إلى تخصيص المبحث الأول لإبراز مظاهر هذا التنظيم الاجتماعي الذي كان يقوم على الأسرة ثم القبيلة ثم الأحلاف القبلية التي شكلت قمة التقدم والتحضر.أما المبحث الثاني فقد خصصته لتوضيح مختلف الأساليب والآليات التي اعتمدتها روما قصد القضاء على النظم النوميدية وهذا من اجل خلق الشقاق والتفرقة.

المبحث الأول: مظاهر التنظيم الاجتماعي لدى النوميد: كل جماعة أو مجتمع من المجتمعات يتضمن نظام اجتماعي يهدف إلى تحقيق استقرار المجتمع واستمراره، والمحافظة على حقوق الأفراد وأرواحهم، لذلك فالتنظيم ظاهرة لازمت المجتمع الإنساني منذ وجوده على الأرض، بهدف تنظيم العلاقات الاجتماعية وضبط تفاعل الأفراد فيما بينهم عن طريق سن معايير وقوانين وتعاليم تتضمن موانع ومكافآت وعقوبات لتوجيه أفراد المجتمع. وفي هذا المبحث سأحاول التطرق إلى النظم الاجتماعية التي عرفها المجتمع النوميدي ومظاهرها قبل وبعد الاحتلال الروماني، على أن أوضح ماهية النظم الاجتماعية ضمن الأطر السوسيولوجية وأتوسع في إبراز الآليات والمرتكزات والمعايير التي اعتمدها هذا التنظيم.

أولا–ماهية النظم الاجتماعية: اختلف علماء الاجتماع في ضبط مفهوم النظم الاجتماعية نظرا لتعدد المرادفات المقابلة له مثل "البناء الاجتماعي"، ومختلف المصطلحات الأخرى التي تتضمن نوعا من الترتيب المنظم[1].
وقد تعددت التعريفات منها:

أ– تعريف الأستاذ "جمال سلامة علي " الذي يعرف النظام الاجتماعي بأنه: " مجموعة من الأنماط السلوكية التي تحدث بصورة منتظمة داخل المجتمع ويرمي كل نمط من تلك الأنماط إلى تحقيق هدف محدد بذاته، وبموجب هذا الاطراد من السلوك النمطي تحدث حالة من التقنين الاجتماعي بما يتفق ويتلاءم مع حاجة الفرد والمجتمع"[2].من خلال هذا التعريف نستنتج أن مجموعة الأعراف التي تنظم السلوكيات العامة للمجتمع وتضبط شبكة العلاقات بين أفراده هي ما يصطلح عليها بالنظم الاجتماعية، قد نتفق مبدئيا على أن التنظيم الاجتماعي هو مجموعة القيم والضوابط التي توجه وتحدد أنماط السلوك الاجتماعي لكن الإشكالية المطروحة هي: هل هذا النظام الاجتماعي

1–محمد (عاطف غيث)، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، مصر، د.ت، ص–ص 430، 432.

2– جمال (علي سلامة)، النظام السياسي والبناء الاجتماعي –النموذج الواقعي لتحليل النظام السياسي–، دار النهضة العربية، مصر، 2006، ص53.

وجد تلقائيا أم تطور عبر مراحل وأزمة معينة؟.وفي هذا السياق نعرض رأي "ابن خلدون" العالم الاجتماعي إذ يرى أن المجتمع يبدأ بالطابع البدوي، والبداوة تطلق على مجموعة من البشر يعيشون على بقعة من الأرض ليس لديهم قانون، يحكم قويهم ضعيفهم[1]، بمعنى أن مجتمع البداوة تغيب فيه الضوابط الاجتماعية التي تؤسس النظم الاجتماعية. ولعل حياة التنقل من مكان لآخر واختلاف الظروف والمعطيات هو ما جعل التنظيم الاجتماعي غير واضح المعالم، لكن ما يهمنا في هذا هو أن المجتمع البدوي ظهرت فيه عمليات التفاعل الاجتماعي وبرزت مشاعر البحث عن المصالح، فتحول الحشد البدوي من مجرد جمع كمي إلى حالة من الترابط الاجتماعي بين هذا الجمع، وزاد في ترابطه بروز المعايير الاجتماعية وهي مقاييس لسلوك وفكر ومشاعر الفرد وهي تشمل المعايير الدينية والأخلاقية والقيم الاجتماعية والأحكام القانونية واللوائح والأعراف والعادات والتقاليد وغيرها[2]، ولقد حاول بعض الباحثين المهتمين بالتاريخ الاجتماعي لنوميديا والمغرب القديم عامة رصد العوامل والمظاهر التي أدت إلى ترقية النظم الاجتماعية في نوميديا فحصروها في ثلاث نقاط أساسية:

أ- تطور القبائل وملامستها لمظاهر التحضر والرقي من خلال التقليص من نشاط الرعي و الترحال والاهتمام بالنشاط الزراعي والحرفي والتجاري وكذا ظهور اهتمامات أدبية، ولعل هذا يعزى إلى الانفتاح الثقافي ومد جسور التوطن مع الدول المجاورة، وقد برز تطور القبائل بشكل ملموس في تطور الحياة الحضرية وبروز المدن والحواضر الجديدة وتفكك الروابط القبلية[3].

ب- نمو العلاقات الاجتماعية في إطار الشبكة الاجتماعية مقابل التضييق على الانتماءات القبلية، بحيث أصبحت مكانة الفرد النوميدي تقاس بمدى إنتاجه ونشاطه التجاري والأدبي ومكانته ضمن الجيش بدل مكانته داخل قبيلته التي ينتمي إليها.

ج- ظهور الملكيات الخاصة المرتبطة بالأفراد الذين ينتمون إلى الطبقة الحاكمة، وتمثل هذه الملكيات ملكية العرش الجماعية ومجموع الأفراد يعملون في الأرض لفائدة عائلتهم في ملكية العرش[4].

1-ابن خلدون (عبد الرحمن)، المصدر السابق، ص 134.

2- kaddache(m),lAlgerie dans l antiquite,3 eme Ed,E.N.A.C,Alger ,1992,p30.

3- العدواني(محمد الطاهر)،المرجع السابق،ص 235.

4- جغلول (عبد القادر)، مقدمات في تاريخ المغرب العربي القديم والمتوسط، تر: فضيلة الحكيم، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1988، ص، ص 8- 12.

كان لهذا الارتقاء والتطور الاجتماعي تأثير مباشر على الهياكل البنيوية للمجتمع وعلى الروابط القبلية، حيث أدى إلى تفكيكها تدريجيا لتحل محلها الروابط الطبقية المبنية على الفوارق الاجتماعية وهو التحول الذي سنحاول التفصيل فيه لاحقا.

ثانيا– النظام الأسري: الأسرة هي الوحدة الأساسية في البناء الاجتماعي تؤثر وتتأثر بالظروف الاجتماعية والاقتصادية والثقافية للمجتمع، والأسرة في طبيعتها "إتحاد تلقائي يؤدي إليه الاستعدادات والقدرات الكامنة في الطبيعة البشرية النازعة إلى الاجتماع، وهي ضرورة حتمية لبقاء الجنس البشري ودوام الوجود الاجتماعي"[1].

تعتبر ظاهرة تكوين أسرة في المجتمع النوميدي تقليد قديم أشارت إليه مختلف المصادر الأثرية والمادة، ولعل أقدمها هي الرسوم الصخرية في منطقة الطاسيلي[2] التي قدمت لنا رسوم لأشخاص في شكل زوجين يربط بينهما خط رفيع ربما قصد به علاقة الزواج وجنسهما غير مميز، غير أن أحدهما يحمل قوسا لعلها علامة على أنه الزوج (الذكر)، بينما أحد هذه الرسوم جسدت تجمع عائلة حول النار[3]. على هذا يكون كيان الأسرة قد عرف عندهم، ولعل هذا يدل على وجود بعض الأعراف تحكمهم على الأقل وتنظم سير حياتهم الاجتماعية. كما أشارت إليه الآثار المصرية القديمة، حيث ورد ذكر أسرة رئيس قبيلة الليبو"مربي بن دد" الذي اصطحب معه زوجته وأبنائه إلى الدلتا كما أشارت إلى الأمير"كبر بن دد"الذي أحضر معه زوجته وأسرته الى مصر[4]. وعليه فالزواج كان الصورة الرسمية التي تنضم العلاقات الشخصية، وبهذا يكون المجتمع المحلي قد عرف التنظيم الأسري منذ أقدم العصور وهو ما تعكسه مختلف هذه الآثار، ومن خلال استقراء المصادر الأثرية والمادية المتوفرة في الطاسيلي والآثار الفرعونية وغيرها، نستخلص نوعان من الأسر وسط المجتمع النوميدي وهي كالآتي:

النوع الأول: هو أسرة أحادية التكوين تعرف بالأسرة النووية، بمعنى أنها تتكون من الزوج والزوجة والأبناء (النواة)، حيث يكتفي الرجل بامرأة واحدة تكون عادة من بنات القبيلة التي ينتمي إليها، شاع هذا النوع من الأسر في أوساط الطبقة الدنيا ذات الإمكانيات المحدودة والتي لا تسمح للرجل باتخاذ أكثر من زوجة.

أما النوع الثاني: فهي الأسر المركبة أو المختلطة، وهي التي تتعدد فيها الزوجات ويكثر فيها الأبناء، شاع هذا النوع

1- القصاص(محمد المهدي)، علم الاجتماع العائلي، جامعة المنصورة، مصر، 2008، ص7.

2- انظر الملحق 16.

3- جراية(محمد رشدي)، الصحراء الجزائرية خلال العصر الحجري الحديث 6100-1000 ق.م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ القديم تخصص تاريخ الحضارات القديمة، إشراف بد العزيز بن لحراش، جامعة منتوري، قسنطينة، السنة الجامعية 2007-2008، ص150.

4- مصطفى(كامل عبد العليم)، المرجع السابق، ص 38.

بين الطبقة الغنية الثرية التي تتوفر لها الإمكانيات للإنفاق على أسرة مركبة متعددة الأفراد والعلاقات.ولم تختلف الوظائف الأساسية للأسر النوميدية عن غيرها من أسر المجتمعات الأخرى، فإلى جانب وظائفها البيولوجية الطبيعية أدت وظائف تربوية واجتماعية واقتصادية، ويمكن تلخيص هذه الوظائف في النقاط التالية:

1- التنشئة الاجتماعية للأبناء من خلال الاهتمام بشؤونهم وتوفير متطلباتهم وبث القيم والعادات والموروث الثقافي وكذا المعتقدات الدينية إضافة إلى تلقينهم مبادئ القتال والفروسية.

2- تنظيم النشاط الجنسي قصد ضمان النسل وزيادته، فلعل الأسر النوميدية كانت تدرك مدى أهمية الثروة البشرية في بناء المجتمع وتقويته لهذا ترتفع فيها نسبة الولادات، بل وتتعدى الولادة إلى تبني الأطفال، فلو أخذنا كمثال بسيط أسرة ماسينيسا لوجدناها قد ضمت أربعا وأربعين ولدا.

3- القيام بالدور الاقتصادي المنوط بها والمتمثل في تحقيق الاكتفاء الذاتي، حيث كانت الأسر تنتج تقريبا كل احتياجاتها من أكل وملبس وأواني وغيرها، وتستهلك منتجاتها في محيطها من خلال ممارستها لتربية المواشي والنشاط الزراعي ثم التجاري فيما بعد، لهذا تعتبر الأسرة اللبنة الأساسية في الاقتصاد المحلي[1].

إن الحديث عن الأسرة يقودنا إلى الحديث عن ظاهرة الزواج فقد أكدت المصادر أن الأسرة النوميدية أسرة زواجية منذ أقدم العصور وأي علاقة خارج مبدأ الزواج غير معترف بها، أما الزواج فهو يخضع لضوابط عقائدية ومبادئ وأعراف القبيلة حيث تتم مراسيم الزواج وفق العادات والتقاليد المتبعة والتي تختلف من قبيلة إلى أخرى.والمتأمل في المصادر الكتابية بالأخص كتاب هيرودوت، يستخلص نوعان من الزواج: زواج محلي، يجمع بين رجل وامرأة من نفس القبيلة الواحدة، وزواج مختلط انتشر في بداية الأمر بين الطبقة الغنية والطبقة السياسية، ثم انتشر مع التوغل الروماني بين مختلف عناصر المجتمع، وقد أشارت العديد من النصوص إلى نماذج متنوعة من الزواج: مثل زواج سيفاكس من ابنة القائد القرطاجي صدر بعل ابن جيسكون "سوفونسية" التي وصفت بأنها بالغة الذكاء والجمال كما جعل المؤرخون زواجها من سيفاكس أحد أسباب الصراع بين سيفاكس وماسينيسا الذي كان يرغب بها، وزواج يوبا الثاني من الرومانية "كليوباترا سيليني"[2]، ومن خلال هذين النموذجين نتوصل إلى أن الأسر النوميدية عرفت ظاهرة الزواج بالأجنبيات وهي الظاهرة التي ساهمت في تعزيز أواصر الصداقة والقرابة بين القبائل

1-أكلي (نورية)، الحرف والحرفيون في نوميديا قبل الاحتلال الروماني، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، إشراف: دلوم سعيد، جامعة الجزائر، السنة الجامعية، 2009-2010، ص 24.

2- مقدم (بنت النبي)، المرجع السابق، ص 25.

الملحق 16 الأسرة من خلال الرسومات الصخرية بالطاسيلي[1]

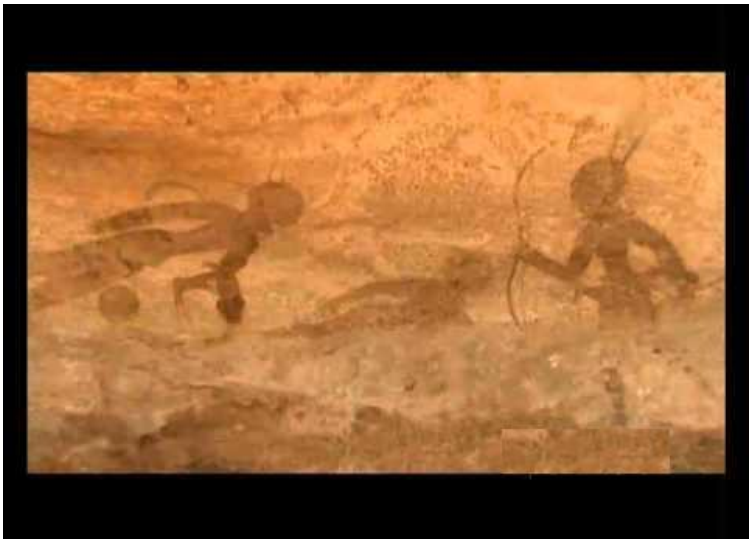

1- جراية(محمد رشدي)،المرجع السابق،ص 109.

والممالك كما كانت وسيلة لفض النزاعات والحروب وإحلال السلام مثل ما حدث في حرب يوغرطة عندما تحالف مع الملك بوكوس لمواجهة روما حيث دعما علاقتهما بالمصاهرة حيث تزوج يوغرطة من إحدى بنات بوكوس، وهي الظاهرة التي انتشرت بكثرة وسط المجتمع النوميدي.

أ–خصائص النظام الأسري: بالرغم من قلة المادة الخبرية حول النظام الأسري النوميدي، إلا أن المعلومات المتوفر تقدم صورة عن الأسرة النوميدية وتبين أن لها وضعية خاصة إذ أن تعدد العناصر البشرية التي توافدت إلى المنطقة بمختلف ثقافاتها وتنوع العادات والتقاليد وكذا تنامي علاقات المصاهرة بين المحلين والأجانب، وتعددها بين مختلف قبائل المجتمع المحلي، كل ذلك أدى إلى اتسام الأسرة بجملة من الخصائص ميزتها ومنحتها خصوصية، عكف الكثير من الباحثين على دراستها بغرض دراسة مراحل تطور الأسرة النوميدية، مما أوجد الكثير من النظريات والآراء لعل أبرزها ما قدمه هيرودوت ومعاصريه، حيث أكد هؤلاء أن الأسرة في المنطقة مرت في تطورها عبر مرحلتين أساسيتين:

المرحلة الأولى: هي مرحلة الفوضى والإباحية الجنسية حيث كانت المرأة مشاعة بين الرجال ولا يؤخذ النسب محمل الجد، وهذا نظرا لغياب الضوابط الأخلاقية وقاعدة ضبط النسل وتحديده وهذا بحكم البدائية.

المرحلة الثانية: وهي مرحلة الزواج المنظم الخاضع للأعراف والتقاليد، خلال هذه المرحلة التف الأبناء حول الأم التي أمسكت بزمام السلطة الأسرية وهو ما أدى إلى ظهور النظام الأمومي، ثم تطور الحكم الداخلي للأسرة فبرزت السلطة الأبوية بعد ذلك.

والحقيقة أن هذا التصور قد لقي نقدا بارزا من الباحثين خاصة المحليين المعاصريين أمثال الأستاذ العروي والأستاذ عقون محمد العربي وغيرهم والذين يؤكدون أن الدراسات الأنثربولوجية تفند هذه الافتراضات فليس هناك ما يثبتها وإنما هي مجرد تصور وهمي لتطور الأسرة، و نحن نرى أن تاريخ الأسرة النوميدية لا يزال غامضا كونه كان تاريخا هامشيا وليس رسميا في المصادر الكلاسيكية الإغريقية والرومانية كما أنه لم يعالج بالدراسات من قبل الأجانب والمحليين[1]. وعلى العموم يمكن إجمال خصائص الأسر النوميدية في جملة من المظاهر التي برزت فيها دون غيرها من المجتمعات الأخرى لعل أبرزها وأهمها ما يأتي:

أولا–ظاهرة تعدد الزوجات: تكشف المصادر المصرية عن وجود ظاهرة تعدد الزوجات في النظام الأسري النوميدي، حيث أشارت نقوش الكرنك أن "مربي بن دد" أمير قبيلة الليبو كان يصحب معه نساؤه

1- مصطفى (كامل عبد العليم)، المرجع السابق، ص 69.

وعددهن اثنتا عشر[1]، كما أشارت نصوص رمسيس الثاني إلى نساء "كبر بن دد"، ونقرأ في اللوح أن الملك "نمرود" (وهو ليبي من قبائل المشوش) أرسل زوجته "نس تنت" إلى الملك "بينفجي" (مؤسس الأسرة الخامسة والعشرين 715- 65ق.م) لتطلب العفو منه لزوجها وورد في النص " ولما دخل بينفجي قصر نمرود أمر أن تأتي إليه زوجات الملك وبناته"[2]. وهو النص الذي يبين لنا ظاهرة تعدد الزوجات قد تكون هذه الظاهرة مقتصرة على الطبقة الحاكمة بحكم البحبوحة التي كانوا يعيشونها، لهذا نجد بعض الباحثين يؤكدون على أن ظاهرة تعدد الزوجات قد وجدت على نطاق ضيق، حيث انحصرت في الطبقة السياسية الحاكمة، وحتى إذا وجدت في "الوسط الشعبي فلعلها تعبر عن تكافل اجتماعي أكثر من كونه انحراف عن الأعراف وتسيب في التقاليد"[3].

ومهما يكن الأمر فأعتقد أنه لا يمكن أن ننكر وجود هذه الظاهرة، ولعلها كانت على نطاق واسع، وهو ما جعل عددا كثيرا من الكتاب الإغريق والرومان يترصدون هذه الظاهرة وفي مقدمتهم هيرودوت الذي أشار إلى قبيلة النسامون الذين يتخذ الرجل منهم عدة نساء وقال أن يخالطون النساء دون قيد أو ضبط كما أشار إلى قبيلة الجنداس التي تضع نساءهن حول الساق حلقات من الجلد تدل كل حلقة على اتصال رجل من رجال القبيلة بها والتي تضع أكبر عدد من الحلقات تعتبر أحسن نساء القبيلة، كما أشار إلى قبيلة الأديرماخيداي الذين يزفون العروس في ليلتها الأولى إلى الملك والأوزيس الذين يجتمعون ليقرروا بمن يلحقوا الأطفال المواليد بالأقرب لهم في الشبه"[4].

في الحقيقة إن هذا القول لا يمكن تصوره حتى بين أكثر القبائل بدائية ولقد لقي هذا الرأي نقدا شديدا من قبل الباحثين، حيث يرى البعض أن جهل المؤرخين الكلاسيكيين الأجانب لظاهرة تعدد الزوجات هو ما جعلهم يفسرونها على أنها إباحية جنسية، والدليل على رفض المجتمعات المحلية لهذه السلوكات هو تقديسهم لطهارة الفتاة وإنزالهم لعقوبة الإعدام على من فقدت عذريتها، إضافة إلى تقديسهم لرابطة الدم التي كانت تحدد في نطاق الأسرة والقبيلة وبالتالي كانوا يقدسون رابط الزواج مما يجعل من الصعب الأخذ بقول هيرودوت، من جهة أخرى يتضح لي مما تقدم ان القبائل النوميدية ظلت مخلصة لنظامها الاسري الذي كان ينظم لها علاقاتها وطريقة حياتها.

1- البرغوثي(عبد اللطيف محمود)، المرجع السابق، ص، ص58، 59.

2- بن السعدي(سليمان)، المرجع السابق، ص 84.

3- عقون (محمد العربي)، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الافريقي، المرجع السابق، ص 172.

4- هيرودوت، المصدر السابق، ص،ص 360-362.

ثانيا–مكانة المرأة ضمن المنظومة الأسرية والاجتماعية: أشرت سابقا إلى خضوع الأسرة النوميدية للنظام الأبوي، فالنقوش البونية اللوبية الإهدائية والجنائزية تذكر أن الأب هو صاحب السلطة، فالأسرة تخضع للنسب الأبوي، كما أن الزوجة تخضع لزوجها في كل شيء، لكن هذا لا يعني تهميش المرأة التي كان لها دور أساسي وسط الأسرة، فإلى جانب دورها الأساسي والفعال في بناء الأسرة وتربية الأطفال ،كان لها دور اقتصادي يتمثل في إعالة الأسرة من خلال ممارستها للزراعة وتربية الحيوانات، وممارسة بعض الحرف كصناعة الفخار والنسيج وزيت الزيتون وغيرها من المواد الاستهلاكية التي تحتاجها الأسرة[1].

علاوة على الوظائف الأسرية والاقتصادية التي مارستها المرأة النوميدية، كانت لها مشاركة عسكرية أيضا فقد أشار هيرودوت إلى النساء الأمازونيات في غرب ليبيا (شمال إفريقيا) اللاتي كن يمارسن الحرب بكل معاييرها، كما أشار إلى قبيلة الزويس (غرب الماكسيس) نساؤهم يملن في قيادة عربات القتال[2]، يضاف إلى هذا مشاركتها السياسية كما هو الشأن بالنسبة لأم ماسينيسا الذي كان يستشيرها في الشؤون السياسية بحكم مهنتها وهي العرافة.

وإلى جانب كل هذه الوظائف كان للمرأة وظائف دينية فقد تمكنت من بلوغ منصب "كبيرة الكاهنات" التي تعادل مرتبة "كبير الكهنة"،وهو ما يدل عليه النقش البوني في معبد الحفرة رقم C.P6343.3، والذي أشار إلى منصب "كبيرة الكاهنات". ولعل المكانة المرموقة التي بلغتها المرأة في شمال إفريقيا القديم عموما، هو ما جعل سكان المنطقة يمنحون معبوداتهم صفة الأنوثة كما هو الشأن بالنسبة لـ "تانيت" و"عشترت".

وبالرغم من قلة الوثائق التي رسم عليها نساء وصعوبة التمييز بين رسم الرجل والمرأة، إلا أن هناك نقيشات يظهر فيها رسم الأنثى بشكل واضح كالنقيشة اللاتينية رقم 287، حيث تظهر المرأة في مشكاة تضع يدها اليمنى على مزهرية أو مذبح، وقد جاء ثوبها فضفاضا وهي تمسك خصال شعرها برباط وتضع في أذنيها أقراط[3].

كما نجد رسوم للنساء على بعض النقود النوميدية مثل القطعة المنسوبة للملك هيرباص، إذ جاء رأس الآلهة محلى بتاج من السنابل، كما نجد الآلهة عشترت وتانيت على قطع العملة التي ضربت في منتصف القرن

1- هيرودوت، المصدر السابق، ص 369.

2- المصدر نفسه، ص، ص 383-386.

3- غانم (محمد الصغير)، سيرتا النوميدية، ط1، دار الهدى، الجزائر، 2008، ص 230.

الأول في عهد ماتيلوس سبيون، وقد حملت القطعة أحرفا لاتينية ثلاثة هي A.T.G التي ترجمت بـ "قدسية الأرض الإفريقية"، وفي بعض الأحيان يعلو رأس المرأة جسم الفيل كما هو الشأن بالنسبة للقطع النقدية النوميدية والموريطانية في عصر يوبا الأول والثاني وبطليموس[1].

خلال الفترة الرومانية استمرت المرأة النوميدية في ممارسة نفس النشاطات والأدوار حتى إن البعض منهن كون ثروة عظيمة وأملاك ضخمة، كما هو الشأن بالنسبة لسيدة الأعمال "إيميليا بيدونتيلا EMELIA PEDENTILLA"، هذا من جهة ومن جهة أخرى واصلت المرأة ممارسة المسؤوليات الدينية، إذ بلغ عدد النصوص التي تتحدث عن كاهنات بلاد المغرب في الفترة الرومانية حوالي 68 نقيشة تشريفية ونذرية و39 بالبروقنصلية و13 بنوميديا، بل أن بعضهن تولت منصب "كاهنة عدد من المستوطنات" "فلامينا"، كما هو الشأن بالنسبة لـ "كلوديا فيتوزا تارتولينا" التي كانت كاهنة على أربع مستوطنات: قسنطينة، ميلة، سكيكدة، القل[2].

بالرغم من المناصب الراقية والأدوار المتعددة التي وصلت إليها المرأة النوميدية، إلا أن المجتمع النوميدي ظل يولي عفة المرأة أهمية بالغة فالبكارة شرط أساسي عند الفتاة والحفاظ عليها أمر واجب، إذ يشترط العفة قبل الزواج، وقد أشار هيرودوت إلى هذه الظاهرة عند حديثه عن قبيلة الأوزي والماخليان الذين كانوا يقيمون احتفال خاصا للمصارعة وكل فتاة تصاب فيه تكون إصابتها دليل على عدم عفتها[3].

وكغيرها من نساء العالم اهتمت المرأة النوميدية بأنوثتها وجمالها فاستخدمت عدة مواد للزينة[4]. ويبدو أن المرأة الولودة كانت محببة لدى الرجل النوميدي فالخصوبة عنصر مهم في عملية التزاوج ومع ذلك، ونظرا لتعدد مهام المرأة وتعرضها للأمراض خاصة فترة الحمل والولادة، فقد كانت تظهر عليها علامات الشيخوخة أسرع من الرجل.

1-انظر الملحق 17و18.

2- مقدم (بنت النبي)، المرجع السابق، ص-ص 76، 77.

3- هيرودوت، المصدر السابق، ص 363.

4- انظر الملحق 19.

الملحق17 المرأة من خلال النقود القديمة[1]

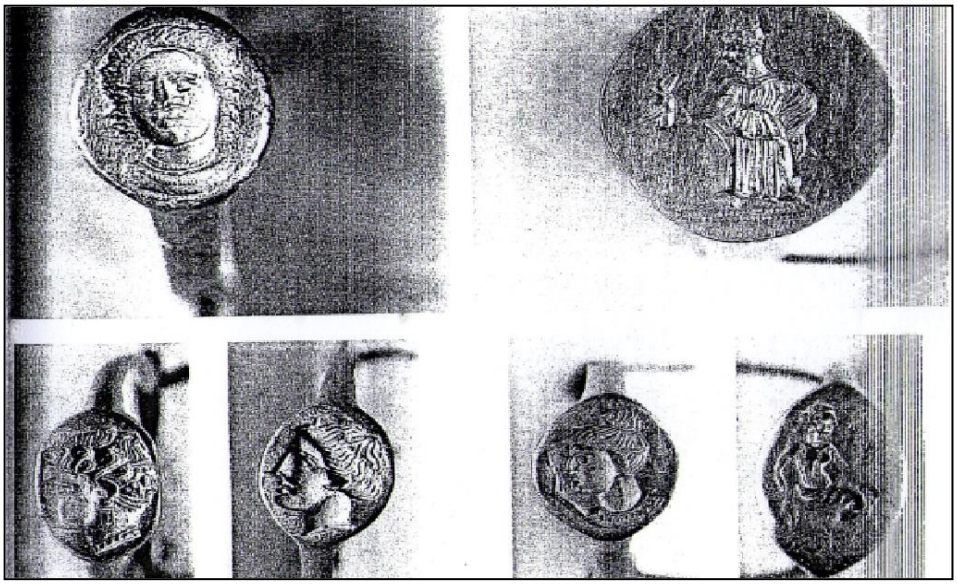

الملحق18 من مظاهر تقديس المرأة

1- غافقي (منصور)، المرجع السابق، ص 52.

وسيظل التاريخ شاهدا على المواقف البطولية التي قامت بها المرأة النوميدية التي كانت تفضل الانتحار والموت بدل الوقوع في أسر العدو الأجنبي مثل سوفونسية التي فضلت تجرع السم على أن تذل أو تسقط في الأسر، والقديستان بربتوس وفيليشيتاي وهما شهداء المسيحية[1].

وخلاصة القول أن المرأة النوميدية قد حملت على عاتقها عدة مسؤولية إلى جانب الرجل وهو الأمر الذي جعلها تحتل مركزا هاما في الهرم الاجتماعي ولبنة أساسية في البناء والتشييد الحضاري.

ثالثا– ظاهرة التبني: يبدو أن حادثة تبني الملك "مكوسن" لابن أخيه "يوغرطة" أول تبني رصده التاريخ وسط المجتمع النوميدي، حيث تحدث عنه عدد لابأس به من المؤرخين الكلاسيكيين، إلا أن هناك البعض من الباحثين يرفضون فكرة شيوع ظاهرة التبني ضمن المنظومة الأسرية النوميدية، فعلى سبيل المثال نجد الأستاذ "عقون محمد العربي"يقول:"ليس في المجتمع البربري ما يدل على شيوع ظاهرة التبني والحادثة الوحيدة التي رواها التاريخ في هذا السياق هي تبني الملك "مكوسن" لابن أخيه "يوغرطة" هذا يعني أن التبني المقبول لا يخرج عن نطاق أقرب الأقربين (ابن الأخ) وهذا التبني كما هو معروف كان لغرض سياسي، أي أنه لم يكن لدوافع اجتماعية، ولذلك يستبعد أن تكون هذه الظاهرة شائعة في المجتمع البربري"[2]. وطبعا هذا الرأي يحتمل أن يكون صحيح كما يحتمل الخطأ، ومهما يكن من أمر، فلا يمكن نفي وجود ظاهرة التبني في الفترة السابقة للوصول الروماني، فإذا كانت قد في ظهرت على مستوى الطبقة الحاكمة فلا بد أن تكون موجودة في الطبقة العاملة. والجدول الآتي يعرض لنا بعض حالات التبني التي تم الكشف عنها من خلال الآثار والنقوش التي عثر عليها في المنطقة.

1– غافقي (منصور)،المرجع السابق،ص 50.

2– عقون (محمد العربي)، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي، المرجع السابق، ص 173.

الملحق19 بعض مظاهر اهتمام المرأة بزينتها[1]

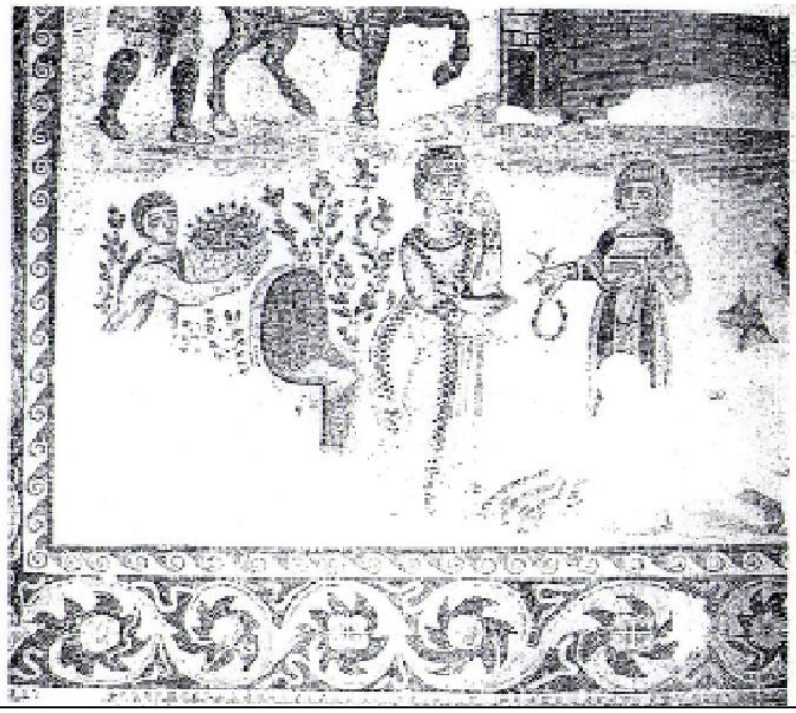

1- غافقي(منصور)،المرجع السابق،ص 51.

الملحق 20: بعض حالات التبني[1]

المدينة	المتبني	المتبنى	سن وفاة المتبنى
سوسة (Hadrmetum)	باترونا « Patrona »	فولوسيوس فكتوريوس « Volusius Victorius »	6
حيدرة (Ammaedara)	يوليا ساتورنينا « Iulia saturnina »	يوليا بريما « Iulia Prima »	15
شمتو (Simittus)	قلاتا أوغستا « Galata augusta »	أليكساندريا « Alexandria »	28
قرطاجة (Carthago)	يوليا أولتريكس « Iulia ultrix »	ألومني « Alumnii »	/
المزاق (Byzacene)	أيليوس فيكتور « L.Aelius victor »	أيليا فورتوناتا « Iulia Fortunata »	30
تيمقاد (Thamgadi)	الزوجين سيرتي « Seriti »	ألومني2 « Alumnii »	/
شرشال (Caesarea)	أتيوس أبولونيوس..وابنته « Q.Attius Appolonius »	أتيا ألومني2 «Attiae Alumnii »	واحد 4 سنوات والآخر 10 سنوات
سور الغزلان (Auzia)	أولبيا بوتيولانا « Ulpia Putiolana »	ألومنوس « Alumnus »وألومنة « Alumna »	الطفل 6.5 والطفلة 9 سنوات

والملاحظ في المعطيات الموجودة في الجدول أن ظاهرة التبني قد انتشرت في نوميديا وفي مختلف مناطق المغرب، إذ لم تنتشر في جهة دون أخرى، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على اتساع دائرة التبني كميا وجغرافيا، وعلى هذا الأساس نقول أن التبني ظاهرة ملموسة في المجتمع النوميدي قبل الاحتلال وبعده، على أن الاختلاف يكون في عدد المتبنين فكلا يتبني عدد من الأطفال على حسب قدرته المادية وفي بعض الأحيان يكون المتبني لديه

1- مقدم (بنت النبي)، المرجع السابق، ص 91.

أطفال لكنه يتبني أطفال آخرين، طبعا لا يمكن تحديد أسباب ودوافع هذه الظاهرة إلا تكهنا لأنها ترتبط بالخصوص بالدوافع الشخصية، فلا أعتقد أن الدوافع الإنسانية من أحاسيس عاطفية المتمثلة في حب الأطفال والاعتناء بهم كانت الدوافع الحقيقية، إذ لابد أن تكون هناك دوافع أخرى لا نستطيع تحيدها لكونها تدخل ضمن ذاتية الفرد.وفي الأخير نشير إلى أن النظام الأسري هو القاعدة الأولى واللبنة الأساسية في المنظومة الاجتماعية كما انه حلقة أساسية في سلسلة النظام القبلي الذي سنتطرق إليه.

ثانيا– النظام القبلي: يعتبر النظام القبلي من أهم وأبرز التنظيمات الاجتماعية التي عرفها المغرب القديم للإشارة أن هذا التنظيم لا يزال حقل خصب للبحث، حيث لا يزال الغموض يلف الكثير من تفاصيل النظام القبلي داخل المجتمع النوميدي، وأغلب المؤرخين الذين درسوه على غرار"غزال" و"أندري جوليان" يرسمون صورة للقبيلة النوميدية والمغاربية عامة على ضوء ما يعرفونه عن المجتمع الوسيط، هذا من جهة ومن جهة أخرى ولدراسة النظام القبلي لابد من الانطلاق من مسلمة أساسية تتمثل في أن التنظيم القبلي ما هو إلا انعكاس لوضعية أفراد ودهنياتهم، وبالتالي فتطور النظام مرهون بتطور هذه الدهنيات، ومن أبرز الإشكاليات التي كانت ولا زالت تطرح من قبل المؤرخين هي دور النظام القبلي في عرقلة مساعي تأسيس دولة على غرار قرطاجة وروما وغيرها؟.

وفي مقامنا هذا سنحاول معالجة هذه الإشكالية من خلال عرض مختلف الآراء ومناقشتها، بعد إعطاء تعريف للقبيلة ثم تعرض لدراستها ودورها الايجابي والسلبي حسب الإشكالية المطروحة.

أ –ماهية القبيلة : مفهوم القبيلة من المفاهيم المتعسرة الضبط على الباحث نظرا لعدم الاتفاق على دلالته ومعناه لكون المفهوم قد تم تناوله في سياقات عدة، وكثيرا ما يستعمل مصطلح القبيلة للدلالة على مفاهيم مختلفة كالا ثنية أو العرقية أو الطائفة الدينية أو حتى الحزب السياسي، ولعل أقرب تعريف هو القائل بأن القبيلة من أقدم صور النظام الاجتماعي الذي عرفته الإنسانية، يقوم على أساس القرابة بالدم أو المصاهرة وأساطير الجد المشترك بين أفرادها[1].

وتمثل القبيلة وسط المجتمع المحلي محور الحركات السياسية والتقلبات الاقتصادية والتطورات الفكرية والاجتماعية. تقطن القبيلة عادة إقليما مشتركا ويكتنفها شعور قوي بالتضامن والوحدة وتستند إلى مجموعة من العواطف المشتركة بين أفرادها، الذين يتحدثون لهجة تميزهم عن غيرهم من القبائل، ويشترط علماء الاجتماع لقيام أي جماعة وجود عنصرين أساسين هما: الاستقرار المكاني وعاطفة الجماعة.

والقبيلة بهذا المفهوم مجتمع محلي حتى وإن كان بعض عشائرها أو أفخاذها مرتحلين لا يعيشون متجاورين، وكل مجموعة لها مجالها المعروف من الأرض وتربط بين الجميع وشائج عاطفية تشد أفراد الجماعة إلى بعضهم، وهي ما

1– عقون (محمد العربي) : الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، المرجع السابق، ص 167

يطلق عليها "العصبية القبلية"[1] وتنبع هذه العصبية من الشعور بوحدة الجماعة من صلات القرابة ومن كونهم يعيشون على أرض واحدة، ويشير ابن خلدون إلى قدم التنظيم القبلي في بلاد المغرب، حيث يقول:"إن ساكن هده الأوطان من البربر أهل قبائل وعصبيات، ..والبربر قبائلهم أكثر من أن تحصى، وكلهم بادية، وأهل عصائب وعشائر، وكلما هلكت قبيلة عادت الأخرى مكانها"[2].

ب– عوامل ترابط البنية القبلية : يرى الباحثين أن ترابط القبيلة نتيجة تجارب وأحداث تاريخية مشتركة تنمي روح التضامن والوحدة وتجعل الأفراد خاضعين للعرف حريصين على روح الانتماء للقبيلة ففي "القبيلة يجد الفرد والجماعة معا الإطار الذي يحمي المصالح المشتركة ويصون الكرامة وهذا هو الجانب الإيجابي"[3]، ولعله من الممكن إجمال العوامل التي ساهمت في تقوية الروابط بين أفراد القبائل النوميدية في ما يأتي :

1– الشعور القوي بالوحدة والانتماء نظرا لأوجه التشابه العديدة في ثقافتهم والاتصالات الودية والمصالح المشتركة وهي مشاعر قوية تقف مانعا اتجاه أي تغيير طارئ أو تهديد خارجي لأفراد القبيلة.

2– علاقات القرابة سواء كانت بالدم أو عن طريق المصاهرة والتاريخ النوميدي مليء بالأحداث التي لعبت فيها علاقة القرابة الدور الأهم في توجيه مسار الأحداث، فهي عامل للوحدة والتضامن، ويظهر هذا جليا في الثورات التي قام بها القادة النوميد كثورة "أرابيون إبن ماسينيسا الثاني" الذي تحالف معه قبائل "الموزولامي والجيتول" معه وثورة "تاكفاريناس"[4] .

3– تنامي علاقات الجيرة فالجوار المكاني يسمح بإنماء علاقات التعاون والمصالح المشتركة بل حتى استحداث في علاقات قرابة وهذا ما نلمسه علاقات الجوار التي نمت على أطراف خط الليمس بين الجنود الرومان والسكان المحليين[5].

4– سيادة القيم والأعراف والالتزام بالعادات والتقاليد، بحيث كان للنوميد اعتزاز وفخر بالمكاسب التي خلفها الأقدمون وهو ما جعلهم يلتزمون ويحافظون على طبيعة القيم الثقافية والمادية، بل أن هذه الأعراف والقيم بين الجنود الرومان مثلت دستور يصل درجة التقديس ويلتزم به جميع أفراد القبيلة وكل من يخرج عن العرف والعادات يعتبر منبوذا أو مطرودا من القبيلة.

1– ابن خلدون(عبد الرحمن)، المصدر السابق، ص 128.

2–المصدر نفسه،ص–ص،646–647.

3– عقون (محمد العربي)، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، المرجع السابق، ص168 .

4– شنيتي (محمد البشير)، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني،ج1،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،1999،ص ص،55–57 .

5– مقدم (بنت النبي) المرجع السابق، ص–ص 57، 59 .

أما من ناحية بناء القبيلة فالمصادر التاريخية القديمة تتحدث عن ملوك وأمراء تولوا زعامة قبائلها وقد لقبوا باسم "إغليد" وفي بعض النصوص "أمغار" وتمت الإشارة إلى عدد كبير منهم في أقدم العصور، نذكر منهم الإغليد معارايو MARAIOU (1220-1230 ق م) –الأغليد الليبي هيرباص HIORBOS (أواخر القرن التاسع قبل الميلاد) والأغليد النوميدي نارافاس NARAVOS (سنة 240 ق.م) وغيرهم[1].

من خلال دراسة هذه الأسماء يتبين أن كل قبيلة كانت تخضع لزعيم يرأسها ولعله كان ينتمي إلى أقوى أسر القبيلة وأشرفها حسبا،فعند الماسيل كانت الزعامة منحصرة داخل الأسرة الاثنية التي تشترك في الأصل الواحد الذي كثيرا ما يعود إلى أصول إلهية وهو ما يمنحها صفة التقديس،وكثيرا ما يتولى الزعامة الشخص الأكبر سنا والذي ينحدر من زواج شرعي معترف به، ولم يرد ذكر نساء تولت الزعامة عدا "كليوباتر سليني" ذات الأصول المصرية التي شاركت زوجها يوبا الثاني الحكم،والملاحظ في هذا النظام هو أنه كثيرا ما يحصر السلطة في أيدي شيوخ كبار السن لا يملكون المؤهلات الجسمانية والعقلية لتولي السلطة وهو الأمر الذي يفتح أبواب التمرد والعصيان[2]، وقد يكون إلى جانب الأغليد مجلس لشورى يتكون من أعيان القبيلة ويسمى هذا المجلس حسب شارل أندري جوليان بـ "الجماعة"[3].

وفي الوقت الذي كانت القبيلة تؤدي وظيفة وقائية وسلطوية واقتصادية، كانت سلطات رئيس القبيلة طوعية وليست قهرية وهذا تبعا للأعراف القبيلة، وقد اعتمدت سلطة رئيس القبيلة على:

1- قوة الانتماء القبلي .

2- خصاله العسكرية والحربية.

3- خصائصه الكارزمية .

4- الحنكة السياسية التي يتمتع بها في ضبط ميكانيزمات التحالفات القبلية .

5- كان يتم تولي المنصب عن طريق الوراثة لكن هناك عامل آخر كشرط لتعزيز حق الوراثة وهو عامل القوة والغلبة وهو ما حدث مع ماسينيسا ثم يوغرطة فيما بعد حيث ولاه عمه الحكم إلى جانب ولداه "أذربعل" و"هيمبسال" بعد أن تبناه وخاطبه قائلا:

"يا يوغرطة كنت طفلا صغيرا بلا مال ولا أمل عندما دعوتك إلى وراثة عرشي ....وبشجاعتك تألق اسم عائلتنا ..... بالوحدة تقوى الدولة وبالتفرقة تنهار أعظم الدول، أما أنتما يا أذربعل وهيمبسال فعليكما باحترام هذا الرجل وتوقيره"[4].

1- بوزياني (الدراجي) ملامح تاريخية للمجتمعات المغربية، مؤسسة بوزياني للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص ص 21، 22 .

2 –غانم(محمد الصغير)،المظاهر الحضارية والتراثية لتاريخ الجزائر القديم،ج4،المرجع السابق،ص 111.

3- شارل (أندري جوليان)المرجع السابق، ج1، ص81 .

4- عيساوي (مها)،المرجع السابق، ص279.

وتجدر الإشارة إلى أن تولي الرئاسة يكون لأكبر سنا من الذكور في الأسرة المالكة وهذا ما يعرف بالقاعدة الأغناطية "AGNOTIQUE"[1]. عرفت الزعامة تطورا ملحوظا، حيث برزت زعامات قبلية انبثقت عن تحالف مجموعة من القبائل (تمت الإشارة إليها في الفصل الثاني)، ولعل هذا التحالف جاء من أجل الحماية من التهديدات والأخطار الخارجية، لكن هذا لا يمنع فرضية استعمال القوة من طرف شخصية قوية ضد القبائل الأخرى وإخضاعها وهو ما ذهب إليه ستيفان غزال وأطلق عليه" زعامة العائلة المنتصرة"[2]، بعد ظهور سياسة التحالفات القبلية سرعان ما انحصرت الزعامة في عائلة دون القبيلة وهذا ما نلمسه في المملكة النوميدية الموحدة بزعامة ماسينيسا والتي عرفت طريقتين لتوريث الزعامة :

الطريقة الأولى وراثية تنتقل فيها الزعامة وفقا لعامل الأكبر سنا من أفراد العائلة الحاكمة (الأغناطية).

الطريقة الثانية وراثية لكن تنتقل من الأب إلى الابن فقط أي أن الزعامة تتم عن طريق توريث الأصول للفروع فقط.

وتجدر الإشارة إلى أن ماسينيسا أول من عمل بالطريقة الثانية لتوريث الزعامة (توريث الأصول للفروع) ولعل ذلك يعود الى خوفه من انهيار نوميديا الموحدة فحصر زعامة العرش في أبنائه الثلاثة، ولعل هذا النهج الجديد هو الذي جعل بعض الباحثين يجمعون على أن انتقال نوميديا من المجتمع القبلي إلى الحياة الحضرية والاستقرار المدني يعود إلى مجهودات وسياسة القائد مسينيسا. ولقد اصطدمت مجهودات القائد ماسينيسا بطبيعة التنظيم الاجتماعي والاقتصادي الذي كان سائدا في نوميديا وهو واقع ذو نظام ثنائي في الغالب يتمثل في وجود الحياة الزراعية القائمة على الاستقرار إلى جانب الحياة الرعوية التي تتطلب التنقل المستمر، لهذا عمد ماسينيسا إلى تعويد سكان نوميديا على حياة الاستقرار من خلال تشجيع الزراعة وخلق علاقة عاطفية بين الفرد وأرضه الزراعية وكذا تنشيط التجارة وتطوير طرق التبادل، وفعلا كان للنشاط الزراعي نتيجة إيجابية إذ برزت المدن والحواضر، وأصبحت شبكة المدن تتكون من أربعون مدنية وأكثر أشهرها: سيرتا – زاما –صولداي- سيقا – بولا، وكانت سيرتا أهم المدن لعدد نظرا لعدد سكانها (مئة وخمسون ألف إلى مئة وثمانون ألف نسمة)[3].

نشير إلى أن هناك مدارس (ذات نزعة وطنية)ترفض هذا الطرح، وترى أن ماسينيسا استغل نزعة النوميد للوحدة وهيأ لها لكنه لم يخلقها ثم أن الإقرار بخلق ماسينيسا العبقري للدولة النوميدية، يعني أن هذا المجتمع ليس قادرا على تكوين نفسه على أساس"ديناميكية الذاتية"[4] .

1- جغلول (عبد القادر)، المرجع السابق، ص9-10.

2- ابن خلدون(عبد الرحمن)، المصدر السابق،مج2، ص 246، 247.

3- قداش (محفوظ)، المرجع السابق، ص 79.

4 -جغلول (عبد القادر)، المرجع السابق، ص9، 10.

ومهما يكن من الأمر فإن القائد ماسينيسا قد تمكن من تغيير الوجه العام للمجتمع النوميدي الذي تطورت حياته الاجتماعية كغيره من شعوب البحر الأبيض المتوسط، فظل يعتني بتقاليده وعاداته وأعرافه وبناه الاجتماعية، كما ظلت الجماعة هي الهيئة الاجتماعية والسياسية التي تنبثق عنها الزعامة القيادية، كما كانت النظم الاجتماعية تنمو تدريجيا إلى جانب النظم الاقتصادية والسياسية لتشكل كيانا سياسيا واسعا، ولكن ما كادت تكتمل حتى حل الاستعمار الروماني لينهي هذا التطور ويحدث تأثير على كل الأصعدة.

ج – القبيلة نظام وقائي: تجتمع آراء أغلب المفكرين والباحثين على أن الوحدات السياسية تطورت بالشكل التالي : الفرد –الأسرة – فالقبيلة ثم الدولة، ونظرا لزيادة عدد أفراد القبائل وزيادة حاجياتهم المعيشية اضطرت هذه القبائل للتحالف مع قبائل أخرى أكبر وأقوى منها من أجل حماية نفسها فتصاهرت القبائل فيما بينها وهو ما أدى إلى اندماجها وزيادة هيبتها وتضاعفت قوتها الاقتصادية مما دفع بها إلى أن تحمي خيراتها وأراضيها فتشكلت الدولة.

لكن الملاحظ في التاريخ النوميدي هو توقف التطور عند حلقة الأحلاف القبيلة إذ عجزت عن تأسيس دولة مركزية، وتذهب المدرسة الكولونية إلى أن النظام القبلي هو الذي وقف كحجز تعثر أما مشروع الدولة النوميدية، حيث أن الإتحاد المؤقت الذي يجمع عدد من القبائل خلف رجل قيادي سرعان ما ينفرط إما برحيل الشخصية القيادية أو ظهور شخصية أكثر قوة بقول ابن خلدون: "فإن ساكن هذه الأوطان من البربر أهل قبائل وعصبيات ...والبربر قبائلهم بالمغرب أكثر من أن تحصى وكلهم بادية وأهل عصائب وعشائر، وكلها هلكت قبيلة عادت أخرى مكانها"[1].

ويرى أنصار المدرسة الكولونية أن هذه الظاهرة كثيرا ما عثرت مسيرة البلاد الحضرية، وهي علامة من علامات التحجر والركود اللذان أصابا هذه المجتمعات، ويذهب "شارل أندري جوليان"و"أ.ف غوتيه"إلى أن الوحدة النوميدية لم تؤسس على المدينة أو التراب بل على القبيلة، وهو ما جعل تأسيس كيان دائم (دولة) مستحيلا[2]، ويعزى هذا الفشل في إقامة دولة إلى الصراع الدئم بين البدو والحضر[3]، في حين يرى "أندري جوليان" أن بلاد المغرب لم تتمكن من تحقيق وحدتها حول عاصمة معينة ونسب أسباب الفرقة والتشتت إلى عدة عوامل منها:

1–التجزؤ الجغرافي وصعوبة المواصلات وانعدام الأودية المترابطة وحاجة البلاد للأنهار الصالحة للملاحة وافتقارها من الأراضي المفيدة:"ولربما يجب أكثر من ذلك أن نذهب مذهب "أ.ف غويتي" الذي يلاحظ سعة الغزوات وقلة ثباتها في نفس الوقت فنحمل المسؤولية على الصراع الدائم بين البدو والحضر الذي لم ينته بفوز واحد على الآخر، فإن هذه الثنائية التي تعذر القضاء عليها هي التي تعلل في الظاهر كيف أن البربر كان لهم

1 –ابن خلدون(عبد الرحمن)، المصدر السابق،مج2، ص 246، 247.

2– سالوستيوس، المصدر السابق، ص81 .

3– Gsell (s) , H ,A,A,N,T :V,PP122-123.

أسياد أجانب"[1]، أما المدرسة المغاربية فهي ترفض هذا الطرح جملة وتفصيلا وترى أن مسألة القبيلة يجب أن تحرر من الأيديولوجية الاستعمارية وتدرس ضمن إطارها التاريخي بجميع تقاسيمها وظروف ظهورها، كما لا يجب تصورها كقاعدة ثابتة تمثل مرجعية التاريخ المغاربي، فللقبيلة دورا هاما وخطيرا ليس لكونها سببا في التحضر أو التخلف، ولكن لكونها كانت سلاح المواجهة ورد فعل اتجاه السياسة الرومانية[2]، كما أنها مثلت الحل الملائم لمختلف الظروف، وبهذا اتخذت دور الوسيلة الوقائية التي يتم اللجوء إليها للحفاظ على الخصوصية ورفض سياسة الرومنة المطبقة اتجاه الشعب المحلي .

من خلال هذا العرض البسيط استنتج أن المجتمع النوميدي لم يبقى مجتمعا منغلق وإنما تفاعل مع محيطه الأفرومتوسطي مما جعله يلعب دورا حضاريا مهما في تاريخ المنطقة، ولقد اعتمد هذا المجتمع على ثنائية الحل والترحال، كما فرضت الضرورة نشوء نظام يتماشى مع حركيته القبلية التي جعلت من القطيع حجر الزاوية في اقتصادياتها بصفته الضامن لغداء أفرادها، لهذا حددت العلاقات وفق معيار الكلأ والماء وهي الثنائية التي تتحكم في الصراع أو الصلح بين القبائل والتي كانت الملكية الجماعية تأطرها في ما يشبه الشيوعية الزراعية، وربما هذا الأمر هو الذي جعل المجتمع يكتفي باتحادات قبلية دون تأسيس سلطة مركزية[3].

كان للنظام القبلي عدة ايجابيات انعكس تأثيرها على المظهر العام للحياة الاجتماعية النوميدية، إذ ترتب على هذا النظام عدم قيام نظام استبدادي يسيطر على الحكم كالذي عرفه المصريين تحت حكم الفراعنة، فقد أسست كل قبيلة مجلس يتكون من وجهاء القوم يتولون تسير شؤون القرية، وهو النظام الذي جعل القرى تشكل شبه جمهوريات قائمة على ديمقراطية محلية أساسها المساواة بين أفراد القبيلة أو العشائر التي تجمعها رابطة الدم، وتقوم على مبدأ تكافؤ الفرص إذ يتولى الحكم والتسيير كل من يثبت قدراته ومكانته الاجتماعية.

ويبدو أن هذا المنهج المعتمد لسنوات طويلة جعل القبائل النوميدية ترفض الخضوع والاستعباد الجماعي للغزاة على مر السنين كما جعلته يميل لصفات التقشف والصبر ورفض حياة البذخ[4]، وبالرغم من هذا إلا أن النظام القبلي لا يخلو أيضا من العيوب والسلبيات لعل أهمها يتمثل في:

1-عدم قدرة أهل البلاد على التكتل العسكري بسبب غياب السلطة المركزية التي تقوم بعملية التجنيد والتنظيم وبسبب غياب رابط الانتماء المشترك أساس الاتحاد.

1- Gsell (s) , Ibid, pp71,72

2- جغلول (عبد القادر)، المرجع السابق، ص10 .

3-العدواني(محمد الطاهر)،المرجع السابق،ص231.

4- قعر المترد (السعيد)،الزراعة في بلاد المغرب القديم(ملامح النشأة والتطور حتى تدمير قرطاجة 146ق-م)،مذكرة ماجستير في التاريخ القديم،جامعة منتوري،قسنطينة،2007-2008 ، ص،ص 37، 38.

2-بروز التنافر والصراع بين القبائل بسبب رفض كل قبيلة لسلطة القبيلة الأخرى وهو ما جعلهم يلجؤون لتحكيم الأجنبي في شؤونهم الخاصة[1].

هكذا نستخلص أن تأخر تأسيس دولة كاملة الأركان في نوميديا والمغرب عامة لا يعود إلى النظام القبلي بحد ذاته بقدر ما يعود إلى التدخلات الأجنبية التي كانت تهدم أي مشروع وحدوي خدمة لمصالحها وطمعا في خيرات البلاد حيث راحت تجسد سياسة "فرق تسد"بين القبائل المحلية مما عمق الشقاق وخلق التفرقة، فظل التنافر والصراع داخل البيت النوميدي يمنع قيام دولة كاملة الأركان.

رابعا- الأحلاف القبلية: قبل التطرق إلى ظاهرة الأحلاف القبلية التي عرفها المجتمع النوميدي لابد أولا من الانطلاق من البدايات الأولى لظهور هذه الأحلاف وهي البدايات التي ترتبط بظاهرة الحل والترحال أي الاستقرار والتنقل.

لقد عرف المجتمع النوميدي ظاهرة التنقل منذ أقدم العصور حيث كان أفراده في بحث دائم عن الكلأ والماء و عن الأراضي الزراعية بحكم أن الأراضي التي كانوا يزرعونها يصيبها الإنهاك فيقل إنتاجها مما يدفعهم إلى البحث عن أراضي عذراء، وهو الأسلوب الزراعي الذي يمكن تسميته "بالزراعة المهاجرة"[2]، فاجتمعت الزراعة بالترحال وفي نفس الوقت اهتم الأفراد بتربية المواشي حول أراضيهم الزراعية، فجمعوا بين الزراعة والرعي، كما جمعوا بين الحل والترحال، ولعل هذا الارتباط بين المتناقضات هو الذي جعل النوميد لا يهتمون بإنشاء القرى والمدن، واعتمدوا على النظام الذي كان أكثر ملائمة لهذا الأسلوب المعيشي وهو النظام القبلي، فكانت القبيلة الوحدة الأساسية في التركيبة الاجتماعية، وبفضل نشاطاتها المتعددة تمكنت القبيلة من تحقيق اكتفاءها الذاتي وحماية مصالح أفرادها والحفاظ على الروح الجماعية، غير أن انتشار ظاهرة الاستقرار والتنقل أدى إلى نشوب الصراعات والنزاعات حول مناطق الاستغلال فبدأت علاقات الحرب والسلم التي أدت بدورها إلى ظهور نظم الأحلاف وقواعد التحالف وعاداتها بين القبائل، فالقبيلة كانت ترضى الانضمام إلى "حلف قوي تدعمه وتكون شريكة في صنع القرار المصيري فيه وترفض أن تكون تابعة لا رأى لها ولا استشارة في دولة مركزية قوية"[3]. لقد تعددت وتنوعت أسباب التحالف بين القبائل المحلية ومع هذا يمكن أن نجملها في النقاط الآتية:

أ- ظهور أخطار وتهديدات خارجية ومن قوى عظمى مما يدفع القبائل إلى التحالف بغرض مواجهة الأخطار الخارجية، لكن هذا التحالف قد يزول بمجرد زوال الخطر[4].

1_ Kaddache(m.) ,op-cit,p30.

2- العدواني(محمد الطاهر)، المرجع السابق، ص 235.

3- المرجع نفسه، ص 237.

4-شارل(اندري جوليان)،المرجع السابق،ص35.

ب- ظهور زعامة قوية تجمع القبائل التي يربط بينها في العادة عامل الجوار حيت تمثل الشخصية القيادية محور التحالف كما كان الشأن بالنسبة الى "ماسينيسا" و"سيفاكس" وغيرهم .

ج- شعور القبيلة بالضعف وعدم القدرة على مواجهة مختلف الأخطار والتهديدات مما يجعلها تنضوي تحت قبيلة أخرى أكثر قوة .

د- تنامي روح التضامن والتعاون بحكم عامل الجوار والانتماء المشترك اضافة الى رابط الدم والمصير المشترك .

من خلال هذه التحالفات القبلية ظهرت الكنفدراليات الكبرى -التي أشرنا إلى بعضها فيما سبق- التي أصبحت قوى سياسية انبثقت عنها الدولة في شكلها الملكي واجتمعت السلطة بيد أسرة تزعمت هذا الاتحاد فكانت النتيجة بداية ظهور السلطة المركزية في صورة خاصة تتلاءم والمعطيات والخصوصية التي تتمتع بها المنظومة السياسية والاقتصادية والاجتماعية النوميدية، لهذا يجب التأكيد على أن النموذج النوميدي يختلف عن غيره من النماذج التي عرفتها الشعوب الأخرى نظرا للخصوصية التي يمتاز بها لهذا فالأخذ بنموذج روما أو اليونان ومحاولة مقارنة تطور هذا النموذج بنوميديا يعد خطأ بسبب خصوصية كل مجتمع.

وخلاصة الدراسة أن النظم النوميدية هي نظم تشكلت بفعل تطور وتنامي الحركية الاجتماعية ضمن الإطار العام للمجتمع مما أدى إلى بروز أنظمة امتازت بها عن غيرها مما أكسبها هيكلة خاصة أخذت في التبلور مع مرور الزمن.

المبحث الثاني:آليات الاحتلال الروماني في تغيير النظم الاجتماعية المحلية: اتسم الوجود الروماني بالصراع المتواصل والدائم بين السكان المحليين وحكام المقاطعات، بحيث لم تعرف المنطقة الأمن والاستقرار على مدى القرون الأربعة للوجود الروماني، فقد عمل الرومان على فرض وجودهم من خلال تكوين استحكامات عسكرية من أجل حماية المؤسسات المدنية، كما رسموا الحدود الفاصلة بين ما يقع تحت سلطة الإدارة الرومانية وما يقع خارج ممتلكاتها أصطلح على تسمية هذه الحدود"بخط الليمس"[1]، من جهة أخرى عملت على تطبيق جملة من الإجراءات بغية تكريس الاحتلال الكلي الذي أصبح يتصف بأنه أشد قسوة وبطش بأهل البلاد إلى درجة أنه حد من حريتهم في الحركة والتنقل.

ولتحقيق جميع هذه المساعي انتهجت روما جملة من السياسات هدفت من ورائها إلى تفعيل سيطرتها وترسيخ وجودها ولعله من الممكن إجمال هذه الإجراءات في الأنواع والأساليب الآتية:

أولا- الاستحواذ على الأراضي الخصبة : بحكم وفرة الإنتاج وتنوع المحاصيل التي كانت تجنى من الأراضي النوميدية، سعى الرومان ومنذ أن وطأت أقدامهم بلاد المغرب القديم سنة146ق.م إلى السيطرة والاستحواذ على

1- غابريال (كامبس)، المرجع السابق، ص21.

الأراضي الزراعية للمغاربة. وقد أشارت المصادر القديمة إلى الكميات الهائلة من المحاصيل الزراعية التي كانت تستفيد منها روما ،حيث أشار "تيت-ليف" الى الكمية الهائلة من القمح التي أرسلها ماسينيسا الى روما سنة 2ق.م، والتي قدرها بحوالي مائتي ألف صاع من القمح أي ما يعادل 17508 هكتولتر، وفي سنة171ق.م زود جيوش روما بما يعادل مليون صاع أي حوالي 78540 هكتولتر[1]، وطبعا ما كانت روما لتترك كل هذه الخيرات بيد السكان المحليين ،لهذا استحدثت منصب "مساح الأراضي AGIMENS "الذي يشرف على عملية مصادرة الأراضي والاستحواذ عليها، كما عينت مجموعة من الرومان بلغ عددهم اثني عشر ألف روماني يمارسون مهنة الإشراف على الأراضي الزراعية وجمع محاصيلها وتنظيم عمليات شحنها وتصديرها نحو روما وتسويقها. بعد الاستحواذ تأتي عملية التجزئة إلى قطع متساوية بعدها يتم توزيعها على المزارعين الرومان أو تؤجر. وهكذا تحولت الأراضي الإفريقية إلى مستثمرات رومانية بدون تحفظ وحرم منها الفرد المحلي صاحب الحق والذي كان يعتبرها المصدر الأول والأساسي في حياته وعامل مهم لاستقراره[2].

ثانيا-سياسة التهجير والعزل: من ابرز الأساليب التي اعتمدتها روما لفرض استعمارها على نوميديا والسيطرة على القبائل المحلية ،هي تطبيقها لسياسة الطرد والتهجير الجماعي والحشد، وهذا عن طريق انتزاع الأراضي الخصبة عنوة من أصحابها وتهجيرهم جماعيا نحو مناطق اقل خصوبة وعزلهم عن بعضهم البعض بهدف إجهاض أي مشروع وحدوي يهدد وجودها في المنطقة أما القبائل الممتهنة للرعي والتي كان نمطها المعيشي يحتم عليها التحرك بين الأقاليم السهلية والزراعية طلبا للكلأ والماء، وهو الأمر الذي كان يضايق المؤسسات الاستعمارية لذلك عملت على الحد من حرية تنقلها من جهة ودحرها نحو الجنوب بالقوة من جهة ثانية، وبهذا أقول أن روما عمدت إلى حشد القبائل المحلية وعزلهم عن بعضهم وتحديد مناطق تواجدهم وترحيل بعضهم وهذا بغرض قطع الصلة بين القبائل الجبلية والقبائل السهبية، لهذا راحت القبائل توحد قواها وتضامنت فيما بينها لمواجهة الاستعمار الروماني، والواقع أن هذه السياسة قد حولت السكان من أسياد وأصحاب الأرض إلى عبيد وعمال في الضيعات الكبرى كما جعلتهم مجبرين على الاستقرار والإقامة الجبرية قرب المنشآت العسكرية التي تمثل في نفس الوقت مراكز حضارية رومانية[3].

ثالثا- سياسة الاستيطان : بعد دخولها الأراضي المغرب القديم شجعت روما عمليات الهجرة الجماعية للرومان من مختلف الأقاليم الرومانية نحو شمال إفريقيا حتى أنها رأت في هذه العملية حلا لمختلف مشاكلها الاجتماعية التي كانت تعاني منها، وقد شهدت فترة حكم"كايوس كراكوسCAIUSS GRACHUSS" توافد أعداد هائلة من الرومان إلى أراضي المغرب القديم بلغ عددهم حوالي ستة آلاف روماني وقدم لهم أراضي زراعية

1- tite-livre,XXX ,19

2-حارش(محمد الهادي)،التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري،المرجع السابق،ص148.

3- Picard (G.CH),OP-CIT,P 66.

وامتيازات متعددة. في سنة 46 ق.م قام "يوليوس قيصر" باستئناف سياسة الاستيطان فأنشأ مستعمرات في إقليم قرطاجة وعلى الحدود النوميدية من بينها مستعمرة "تيتوس" ومرتزقته التي أشرنا إليها من إقليم سيرتا، وقد منح هذا المستعمرات الشخصية القانونية وخصصها لقدماء الجنود وقد يكون عددهم قد بلغ حوالي ثمانين ألف جندي، أما خلال العهد الإمبراطوري فقد واصل اوكتافيوس أغسطس سياسة الاستيطان حيث أرسل ما لا يقل عن ثلاثة آلاف جندي دفعة واحدة إلى بلاد المغرب كمستوطنين جدد[1].

إن هذه السياسة التي طبقتها روما أدت إلى تغيير الخريطة الديموغرافية بتكثيف الاستيطان كمحاولة لتغليب العنصر البشري الأجنبي من خلال توفير مختلف الامتيازات والإغراءات الاقتصادية بالخصوص وفي المقابل إبعاد السكان الأصليين وعزلهم، ومما يلاحظ خلال القرن الأول الميلاد هو تنوع الأجناس البشرية المجندة في الجيش الروماني الوافدة إلى المنطقة والذي بلغ تعداده حوالي ثمانية وعشرين ألف جندي حيث ضم أصول إسبانية وغالية ودلماسة وسورية وكورسيكية[2].

رابعا– تفكيك الروابط القبلية : أشرنا سابقا إلى أن البنية الاجتماعية لبلاد نوميديا قائمة على الروابط القبلية القائمة بدورها على سلطة هرمية تعتلي قمتها أسرة ذات عصبية تمثل العائلة المالكة التي يحق لها توارث السلطة وممارسة السيادة على جميع القبائل والإمارات المنطوية تحت سلطتها . لقد أخذت روما هذا النظام بعين الاعتبار في تعاملها مع السكان في المقاطعات سواء داخل الحدود أو على التخوم، فاعترفت للقبائل المحلية بالاستقلال الذاتي من حيث النظم الداخلية والقوانين وكذا الأعراف المتعامل بها داخل القبيلة أو فيما بين القبائل والإمارات، في المقابل ومن اجل بسط السيطرة والتحكم في هذه القبائل انتهجت روما أسلوبين لتفكيك التلاحم والترابط القبلي:

أولا: استغلت روما الأسر ذات النفوذ السياسي والمعنوي لدى السكان لتكون واسطة بينها وبين الأهالي كما عمدت إلى تنصيب أمراء موالين لها وان دل هذا على شيء إنما يدل على أن روما كانت تدرك استحالة بسط سيطرتها على القبائل المتحركة عبر مجال جغرافي مترامي الأطراف دون استخدام ذوي الأمر والنهي منهم، فقد استخدمت روما بعض زعماء وشيوخ القبائل كمسيرين موالين لها وبهذا طبعة نوع من اللامركزية في التسيير والإدارة.

ثانيا: اتخاذ جملة من الإجراءات والقوانين القسرية على الأهالي، والتي أدت إلى تراكم الأعباء والخدمات على الأفراد وشملت ميادين كثير، فتطورت الضرائب تدريجيا بتطور احتياجات الدولة خاصة في مجال إطعام الجيش

1 – شنيتي(محمد البشير)، الاحتلال الروماني لبلاد المغرب"سيلسة الرومنة"146ق.م–40ق.م، المرجع السابق، ص، ص 130، 133.

2 - Ayache (A–),Histoire Ancienne de l' Afrique du nord,ed Sociales,Paris,1964,P 55

وتجهيزه ودفع رواتبه فضلا عن تطبيق سياسة إفقار وتجويع الأهالي من خلال اغتصاب ومصادرة الأراضي الزراعية وهو الأمر الذي جعل الفرد النوميدي يتحول من منتج ضمن اقتصاد القبيلة إلى عبد لدى المستثمرين الرومان.

وعموما تقول إن روما استغلت مختلف الظروف والمعطيات لتثير الفتن وتشجع التفرقة وتغذي التناحر لكن في مقابل كل هذه السياسات انتشرت على طول خط الليمس قبائل كثيرة معادية للرومان فرضت حالة عدم الاستقرار داخل الإدارة الرومانية التي فشلت في استمالة هذه القبائل الثائرة.

وفي ختام هذا الفصل نلفت النظر إلى أن النظم الاجتماعية قد مثلت العمود الفقري للمجتمع المحلي، حيث ضبطت العلاقات الاجتماعية وحافظة على الشخصية الوطنية، كما دعمت أواصر الاتحاد والتعاون، لهذا حرص الاستعمار الروماني على تفكيكها وتغييرها من اجل القضاء على وحدة القبائل المغاربية والقضاء على التحالف القبلية وتعطيل المشاريع الوحدوية وهذا من خلال خلق الشقاق والصراع والدسائس فضلا عن تدعيم بروز الطبقة الموالية لروما ومنحها الأفضلية والأولوية وجعل الفرد النوميدي في الدرجة الثانية.

الفصل الرابع

التشريعات الرومانية وانعكاساتها على النظم الاجتماعية المحلية.

المبحث الأول: ظهور النصوص التشريعية المنظمة للمجتمع المحلي.

أولا–مراحل تطور التشريعات الرومانية.

ثانيا–مصادر التشريع الروماني.

المبحث الثاني:نماذج من النصوص التشريعية الرومانية.

اولا–قوانين القرن الأول للميلاد.

ثانيا–الإصلاحات السيفيرية.

ثالثا–إصلاحات كاراكلا.

رابعا–المواطنة الرومانية بين النظري والتطبيق.

المبحث الثالث:انعكاسات التشريعات الرومانية على النظم الاجتماعية المحلية.

أولا–التراتبية الاجتماعية.

ثانيا–إشكالية الأرض وانعكاسها على المنظومة الاجتماعية.

ثالثا–تطور النظم الاجتماعية النوميدية أواخر القرن الثالث للميلاد.

الفصل الرابع التشريعات الرومانية وانعكاساتها على النظم الاجتماعية المحلية: في هذا الفصل الرابع والأخير، سأحاول التطرق إلى بعض النماذج من التشريعات التي سنتها روما وأوضح إلى أي مدى أثرت هده التشريعات في الهيكلة العامة للمجتمع النوميدي، وأبين كيف تأثرت النظم الاجتماعية المحلية بهذه القوانين، وللوصول لهذا الهدف عمدت إلى تقسيم الفصل إلى ثلاثة مباحث، في المبحث الأول قدمت لمحة وجيزة عن تطور النصوص القانونية الرومانية،أما المبحث الثاني فقد درست فيه بعض النماذج من نصوص تشريعية رومانية،في حين خصصت المبحث الثالث الأخير لتوضيح مدى تأثر المجتمع النوميدي بالقوانين الرومانية، وانعكاساتها على طبقات المجتمع، كما حاولت تبيان تغلغل الثقافة الرومانية في الحياة اليومية للفرد النوميدي.

المبحث الأول:ظهور النصوص التشريعية الرومانية: منذ أن وطأت أقدم روما أرض المغرب عملت روما على دمج المجتمع المغاربي في بوثقتها من خلال فرض الوجود الروماني على جميع الأصعدة وبسط الثقافة اللاتينية في مختلف المجالات والتعاملات، كما سعت إلى القضاء على الشخصية المحلية والهوية المغاربية وفرض الهيمنة والسيطرة وكذا الشخصية الرومانية بمختلف مقوماتها ومظاهرها، ولعل هذا المسعى يعود بالدرجة الأولى إلى الرغبة الحثيثة لروما في توسيع مجالها الحيوي وخلق قابلية للترومن مما يسهل عملية الاستحواذ والسيطرة ويقضي على كل مظاهر المقاومة والتصدي.

ولإطفاء الشرعية على هذا المخطط أصدرت روما جملة من القوانين والتشريعات مست مختلف القطاعات وطبعا كان المعيار الأساسي والمرجعية الأولى لهذه التشريعات تقوم على خدمة مصالح روما في المنطقة[1]. وما يهمنا في هذه التشريعات هي تلك النصوص الموجهة للمنظومة الاجتماعية والتي كان لها آثار وخيمة على البنية الاجتماعية المحلية.

أولا– مراحل تطور التشريعات الرومانية: عند وصول روما إلى بلاد المغرب عمدت إلى إحكام قبضتها على الأراضي الإفريقية وبمجرد أن تم لها ذلك شرعت في تطبيق مجموعة من الإجراءات و الأنظمة المختلفة والمتنوعة إداريا وعسكريا وجبائيا وتشريعيا، ومما لاشك فيه أن هذه الإجراءات قد أحدثت تحولات عميقة في المنظومة الاجتماعية المحلية، كما أثرت على مختلف الطبقات الاجتماعية في المنطقة.

1- محمد (عبد المنعم بدر)، القانون الروماني،ج2، ط1، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1938، على الموقع:-www.al-mostafa.com،تاريخ الرفع:2013/05/12.ص146.

مما يلفت الانتباه في موضوع التشريعات الرومانية الموجهة للمنظومة الاجتماعية المحلية في بداية الاحتلال هو غياب نصوص وقوانين واضحة ومضبوطة، بل أن التشريع خضع لرغبات وتصورات حكام الولايات الإفريقية، بمعنى أن روما تجاهلت اصدار نصوص قانونية تبين وتوضح وضعية المجتمع النوميدي ضمن منظومة المجتمع الروماني وأبقت على باب الاجتهاد مفتوحا أمام الحكام هؤلاء كانت نصوصهم القانونية خاضعة للمعطيات والمستجدات على الساحة المحلية، وهذا ما يدفعنا إلى القول بأنه لم يكن هناك تشريع موحد فكل حاكم في الولايات الإفريقية حر في اتخاذ النصوص والإجراءات التي يراها مناسبة على أن لا يلزم من يأتي من بعده على تطبيقها[1].

إن المتفحص للنصوص التشريعية التي أصدرتها روما يجد بأنها قد استندت إلى مبدئيين أساسين:

أولها: الاستيلاء على الأراضي بموجب حق الفتح، حيث اعتبرت الأراضي الإفريقية ملكية عمومية للشعب الروماني"AGER PUBLICUS"وأطلق عليها الرومان عبارة "أركيفينالس ARCIFINALES" لأنها اغتصبت بقوة السلاح من الأهالي[2].

وثانيها: اعتبار السكان عناصر مهزومة وتابعة بموجب حق الانتصار لهذا عاملت السكان على أساس أنهم أرقاء مستسلمين، وفي الوقت الذي كان سكان المدن موالين للإدارة الرومانية متأثرين بالثقافة اللاتينية ولديهم قابلية الترومن، كان سكان الريف مقاومين رافضين للوجود الروماني في المنطقة، وإذا ما قارنا هؤلاء بسكان المدن، فإنهم يمثلون الأغلبية الساحقة.ولعله من الممكن القول أن هذين المبدأين يقدمان لنا صورة واضحة عن الشخصية الرومانية المبنية على حب الذات والسعي وراء المصلحة الخاصة والاعتماد على لغة السلاح والقوة ومبدإ الغلبة، لهذا وكما سنرى فأغلب النصوص التشريعية التي أصدرتها روما والتي ادعت أنها لمصلحة الفرد المحلي وأنها تسعى لتحسين أوضاعه الاقتصادية والاجتماعية وترقية مكانته السياسية ضمن المجتمع الروماني، إنما هي في حقيقة الأمر تخدم المصالح الرومانية في المنطقة وترسخ تغلغله وسيطرته في بلاد المغرب القديم.

عرفت الفترة المتزامنة مع وصول الاستعمار الروماني إلى البلاد النوميدية تحولا كبيرا في البنية الاجتماعية المحلية، سواء من ناحية التركيبة البشرية أو الوضعية القانونية، نظرا لما طرأ عليها من توافد لعناصر أجنبية، وفرض إجراءات وتنظيمات جديدة أوجدت خللا في النظام العام الذي كان قائما، وللتفصيل في مراحل تطور التشريعات الرومانية التي مست الجانب الاجتماعي، أعتقد أنه من المحبذ تقسيمها إلى فترتين أو مرحلتين الأولى تتزامن مع فترة

1- شنيتي (محمد البشير)، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني، المرجع السابق، ص 87.

2- عقون(محمد العربي)، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، المرجع السابق، ص 80.

حكم الجمهوريين والثانية مع فترة الحكم الإمبراطوري، وفعلا فكلا من المرحلتين أو الفترتين لها خصوصيتها ونصوصها القانونية التي تختلف عن المرحلة التي سبقتها، على أن المبدأين المذكورين انفا بقيا المرجعية والقاعدة الأساسية المعتمدة في سن مختلف النصوص التشريعية.

أ-المرحلة الأولى(العهد الجمهوري): يبدو أن القوانين الرومانية في بداية الاحتلال كانت غير مهتمة بتنظيم شبكة العلاقات الاجتماعية المحلية، وغير مهتمة بعلاقاتها مع سكان منطقة المغرب القديم عموما، حيث أن الغزاة وضعوا نصب أعينهم استغلال خيرات المنطقة خاصة الزراعية، لهذا شرعوا في عمليات النهب والسلب مباشرة عقب إعلان الاحتلال، أما التعامل مع السكان فقد ترك أمره لحكام الولايات الإفريقية-كما أشرنا سابقا.

غير أن بروز المقاومة المحلية الرافضة للوجود الروماني في المنطقة، واشتدادها كان له دلالة عميقة، حيث أضحت هذه المقاومات تهدد الكينونة الرومانية في المنطقة، وهو ما جعل الرومان يهرولون إلى إصدار جملة من القوانين المنظمة لأفراد المجتمع وعلاقتهم بالرومان، وفي مقامنا هذا لابد من الإشارة إلى مقاومة"تاكفاريناس " المحلية التي كانت نقطة تحول في السياسة الرومانية، لكونها نبهت روما إلى إمكانية توحد القبائل وتضامنها، وهذا بعد اتحاد مجموعة من القبائل الواقعة غرب الأوراس وعلى امتداد الصحراء تحت راية"تاكفاريناس"[1]، أما قبيلة "المزالمة" فقد كانت أكبر قوة داعمة لهذه المقاومة وهو ما جعلها تتعرض إلى إجراءات قمعية، تمثلت في الطرد والتهجير من أراضيها الخصبة إلى أراضي أقل خصوبة، وحشدها في إقليم محدود بهدف تسهيل عملية المراقبة وتضيق تحركاتها وهو ما يعرف في التشريع الروماني بـ"الكنطنة CANTONNEMENT"[2]، وهو إجراء يهدف إلى نزع ملكية إقليم قبيلة ما، وفي الوقت الذي كانت روما تعتبر الكنطنة تنازلا للقبيلة على مساحة جغرافية لتعيش فيها بموجب مبدإ "الأرض ملكية عمومية للشعب الروماني"، اعتبرت القبائل هذا الإجراء نزعا لملكيتها واعتداء على أراضيها[3].

يبدو أن عملية الكنطنة التي طبقتها روما قد ولدت حالة من التشرذم والتشتت، والذي مس عشائر وبطونا كبرى، حيث فقدوا معاقلهم، واندثرت آثارهم، وفي المقابل حلت محل القبائل قري ومدن زراعية على الصيغة الايطالية، وما يلاحظ أيضا في هذا الصدد هو تغيير نمط حياة السكان المحليين، حيث حولتهم روما

1 -غانم(محمد الصغير)، المظاهر الحضارية والتراثية لتاريخ الجزائر القديم، ج4، المرجع السابق،ص 455.
2 -عقون(محمد العربي)، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، المرجع السابق، ص 279.
3 -أنظر الملحق 21.

بسياستها هذه من رعاة رحل إلى عبيد يمارسون الزراعة لدى الرومان الذين منحت لهم ملكية "الضيعات الكبرى LA TIFUNDIA"، أما القبائل التي رفضت هذا الواقع المفروض عليها وقاومته بشدة فقد عزلت خارج خط الليمس، فما كان لها سوى التوجه نحو المناطق الصحراوية الوعرة والفقيرة[1].

ومن مميزات هذه المرحلة أيضا هو فرض روما لمعادلة خاصة، تمثلت في اقتران الحصول على الحقوق والمساواة بين العناصر المحلية والرومانية بتوفر شرطين أساسين: أولهما توفر الثروة، فقد منحت روما تسهيلات وامتيازات لأعيان القبائل المحلية وسعت لكسبهم إلى صفها، ولعل هذا الإجراء هدف إلى كسب المغاربة الأثرياء وجعلهم موالين لروما وبالتالي جعل أفراد القبائل موالين بحكم ولائهم لأعيانهم.وفعلا قدم هؤلاء خدمات جليلة لروما[2].

أما الشرط الثاني فقد تمثل في اكتساب الثقافة الرومانية اللاتينية، فقد عمدت روما إلى السيطرة على جميع المقومات الثقافية للنوميد و المور بل والقضاء عليها، وفرض الثقافة اللاتينية بآدابها وفنونها ومقوماتها ومختلف مظاهرها[3]، ولتحقيق الغزو الثقافي عمدت روما إلى وسيلتين الأولى: تمثلت في شق الطرق التي لعبت دورا اجتماعيا مهما، حيث كان المسافرون يتنقلون عبرها في أسفارهم ورحلاتهم، فضلا عن كونها ربطت الاتصال بين مختلف مناطق المقاطعات ومراكز القرار إضافة إلى المراكز العسكرية التي شكلت مناطق احتكاك بين السكان المحلين والجنود الرومان فتطورت علاقات اجتماعية بلغت حد المصاهرة مما جعل المناطق المجاورة للثكنات العسكرية تتحول إلى مراكز تجمعات بشرية، وهو ما سمح بتسارع الحركية التجارية والاقتصادية. أما الوسيلة الثانية فتمثلت في الأسواق التي انتشرت عبر المدن الرومانية ولعبت دورا ثقافيا إلى جانب الدور الاقتصادي، لقد كانت الأسواق فضاء لالتقاء الناس واحتكاكهم ببعضهم مما أدى إلى تسرب مظاهر الحياة الرومانية الى أوساط الأهالي[4].

إن غياب النصوص التشريعية خلال العهد الجمهوري (بداية الاحتلال الروماني) لا يعني عدم اتخاذ روما لجملة من الإجراءات هدفت من خلالها إلى فرض سيطرتها وكبح ردود الأفعال الوطنية، ولعل من أبرز هذه الإجراءات تشييد التحصينات ورسم الحدود الفاصلة بهدف فرض الرقابة وتشديد القبضة على الأهالي وتحركاتهم

1- -العزيز (أعراب)،التحصينات الرومانية جنوبي نوميديا وموريطانيا القيصرية من القرن الاول الى الثالث الميلادي وآثارها،رسالة ماجستير في التاريخ القديم،اشراف:شارن شافية،جامعة الجزائر،2009-2010 ،ص 112.

2- شارن(شافية)، المرجع السابق، ص 253.

3- شنيتي(محمد البشير)، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني، المرجع السابق، ص 170.

4-العزيز(أعراب)، المرجع السابق، ص97.

وإجبارهم على الخضوع والاستسلام أو الهجرة نحو الصحراء، وهذا من أجل التخلص من تهديداتهم وخطرهم من جهة أخرى عملوا على تفريق القبائل وتشتيتها في نطاق جغرافي واسع خارج نطاق الليمس حتى لا يتوحدوا ويتحالفوا وكانت هذه التحصينات بمثابة صمام أمن وأمان للجالية الرومانية[1].

من خلال خصائص المرحلة الأولى يتضح أن روما ومنذ أن وطأت أقدامها أرض المغرب اجتهدت من أجل تحطيم البنية الاجتماعية للقبائل من خلال سياسة "فرق تسد" القائمة على العزل والتشريد والتضييق والحشد، وترحيل البعض الآخر إلى مناطق فقيرة هذا فضلا عن القضاء على مقوماتهم الثقافية وفرض الثقافة اللاتينية الدخيلة كمعيار للتقدم والتحضر وأساس لنيل الحقوق والتساوي مع الرومان. وإذا ما اتخذت هذه الإجراءات أسلوب التطبيق المباشر دون استصدار قوانين مضبوطة بحيث خضعت لأهواء وميول حكام المقاطعات، فان المرحلة الثانية ستشهد ظهور نصوص قانونية واضحة ومضبوطة.

ب–المرحلة الثانية(العهد الإمبراطوري): وهي المرحلة المتزامنة مع تطبيق النظام الإمبراطوري في روما، والذي سعى إلى ترسيخ التواجد الروماني في الشمال الإفريقي القديم وبسط السيطرة على الأرض والسكان فكانت أولى الإجراءات المطبقة إصدار مجموعة من التشريعات القانونية التي تبدو في ظاهرها لصالح الأهالي، لكنها في حقيقة الأمر تخدم مصالح روما في المنطقة، ولسن مختلف القوانين والتشريعات عمدت روما إلى التمييز بين نوعين من السكان الأول يشمل السكان المدنيين في الحواضر الكبرى الذين لمست فيهم رغبة في الاندماج في بوثقة روما حيث تأثروا وأعجبوا بالثقافة الرومانية، وهو ما جعل روما تفتح لهم باب الارتقاء في السلم الاجتماعي لبلوغ درجة المواطنة الرومانية، وطبعا هذا بعد أن يثبتوا ولاءهم لروما[2].

أما الصنف الثاني فيتمثل في سكان المناطق الداخلية من النوميديين والمور والجيتول، وهم القبائل الرافضة للوجود الروماني وهو ما جعل روما تعتبرهم خارج الإطار القانوني ومع ذلك حرصت على أن تشملهم القوانين الضريبية المجحفة، وأعطت روما للأثرياء اهتماما خاصا، ففتحت لهم أبواب المشاركة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، كما شجع الإمبراطور"أوكتافيوس أغسطس" (27 ق.م–14 ق.م) الجنود القدامى على الاستقرار والاستيطان في الأراضي الإفريقية ومنحهم الأراضي الخصبة الشاسعة والرواتب السخية[3].

1 –المرجع نفسه، ص–ص 98– 100.

2 –شارن (شافية)، المرجع السابق، ص 254.

3 –غانم (محمد الصغير)، المظاهر الحضارية والتراثية لتاريخ الجزائر القديم،ج4، المرجع السابق ، ص 190.

وهكذا يتضح للدارس أن روما في وضعها للتشريعات القانونية، قد تدرجت من حالة اللامبالاة بالعنصر المحلي وتهميشه وإقصائه من المشاركة في مختلف نواحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، إلى محاولة دمج الأهالي[1] واستمالتهم خاصة الأثرياء والأعيان ومساواتهم مع العنصر الروماني وهذا بعد القضاء على ثقافتهم المحلية وميولاتهم الوطنية وضمان ولائهم لروما، هذا المخطط ظهر واضحا في النصوص القانونية التي اصدرها الأباطرة الرومان طيلة الوجود الروماني في المنطقة.

ثانيا–مصادر التشريع الروماني: بعد إعلان الاحتلال شرعت روما في سن جملة من القوانين والتشريعات بهدف تنظيم وتنسيق الإدارة والتسيير في المقاطعات، فتركت المجال مفتوحا لحكام الولايات لوضع القوانين الملائمة حسب المستجدات والمعطيات التي قد تحدث على الساحة المحلية، لهذا ستشهد فترة ما بعد الاحتلال صدور جملة من النصوص التشريعية الموجهة للولايات الإفريقية. لقد برزت التشريعات الرومانية الموجهة للمجتمع المحلي من رحم الأحداث والتطورات التي شهدتها الساحة المحلية وقد كان لهذه التشريعات آثارها وانعكاسات جذرية على النمط الاجتماعي لشعوب المنطقة، حيث انتقل الفرد المحلي من عنصر منبوذ الى كيان اجتماعي واقتصادي وشريك سياسي، اعتمدت روما في وضعها وسنها للقوانين على جملة من المصادر التي استخلصت منها قواعدها القانونية والتي تطورت وتعددت من فترة إلى أخرى كما اختلفت أهمية كل مصدر من عهد لآخر. ويمكن إجمال هذه المصادر حسب ترتيبها التاريخي على النحو الآتي:

أ–العرف: العرف أقدم مصدر لقواعد القانون الروماني، وقد اختلفت أهميته كمصدر للقانون باختلاف عصور تطور القانون الروماني ففي العصر الملكي كان المصدر الوحيد للقانون الروماني أما في العصر الجمهوري فقد ظهر إلى جانبه مصادر أخرى للقانون إلا أنه ظل المصدر الرئيسي، أما في العهد الإمبراطوري فقد تقلص العرف وتقزم دوره حتى اختفى تماما.

1- غانم (محمد الصغير)، المظاهر الحضارية والتراثية لتاريخ الجزائر القديم، ج4، المرجع السابق، ص 191.

الملحق 21 القبائل المكنطنة خلال العهد الروماني[1]

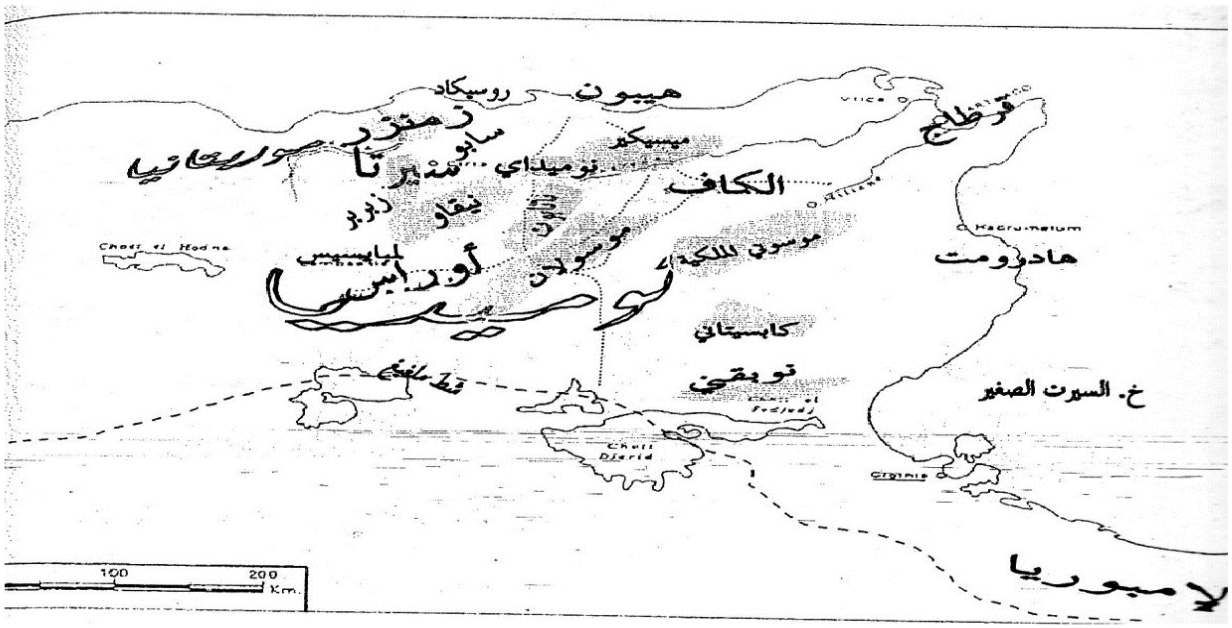

1- عقون (محمد العربي)، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الافريقي القديم، المرجع السابق، ص 284.

ب–التشريع: يقصد به القوانين التي تصدرها المجالس الشعبية، كما يحمل معنى القواعد القانونية الصادرة عن سلطات الدولة الرومانية الهادفة لتنظيم المعاملات القانونية، ويشمل التشريع القوانين التي تصدرها المجالس الشعبية وقرارات مجلس العامة ومجلس الشيوخ والدساتير الإمبراطورية، وقد أصبح التشريع في العهد الإمبراطوري المصدر الوحيد للقانون.

ج– قانون الشعب: يقصد به مجموعة القواعد القانونية التي كان بريتور الأجانب يصدرها لمعالجة المنازعات التي تنشأ بين الأجانب أو بين الأجانب والرومان، وقد استمدت من التقاليد العرفية الدولية أومن القوانين الأجنبية.

د– القانون البريتوري: يقصد به مجموعة القواعد القانونية التي أنشأها البريتور المدني (الحاكم الشرعي) لضمان تطبيق القانون المدني أو تكميله[1].

هـ– الفقه: ويقصد به مجموعة القواعد القانونية التي خلفها الفقهاء الرومان والتزم بها القضاة إما باعتبارها صارت عرفا لتكرار استعمالها، وإما لأنها تتمتع بالقوة الملزمة في ذاتها، وقد اتخذ القانون الروماني ثلاثة نماذج:

القانون المدني: يقتصر تنفيذه على المواطنين ولا يستفيد منه الأجانب فهو القانون الوطني الدولي.

قانون الشعوب: هو مجموعة من قواعد القانون روماني يعطي الحق للأجانب سواء في علاقاتهم مع بعضهم أوفي علاقاتهم مع الرومان للاستفادة الجزئية منه.

القانون الطبيعي: هو مجموعة من قواعد المشتركة بين جميع الشعوب ويستمد هذا القانون أحكامه من الطبيعة نفسها والاختلاف الذي يطرح بين القانون الطبيعي وقانون الشعب فالأول ينص على فكرة المساواة والثاني ينظم الرق[2].

المبحث الثاني:نماذج من أبرز النصوص التشريعية الرومانية: يختلف رأي المؤرخين حول التشريعات الرومانية، ففي الوقت الذي يرى البعض أنها كانت لصالح الفرد المحلي وسمحت له بالحصول على بعض الحقوق، وفتحت له باب الارتقاء في السلم الاجتماعي والحصول على مناصب راقية، اعتبرها البعض الآخر وسيلة لتكريس

1- محمد(عبد المنعم بدر)،المرجع السابق،ص120.

2- رستوفنزف،المرجع السابق،ص ص 251، 253.

الاحتلال وفرض الهيمنة والقضاء على الشخصية المحلية، ولتأكيد أحد الرأيين لا بد من دراسة بعض النماذج من التشريعات الرومانية الموجهة للمنظومة الاجتماعية المحلية.

أولا– قوانين القرن الأول للميلاد: تتميز قوانين العهد الجمهوري أنها اهتمت بمصالح الشعب الروماني دون الاهتمام بحقوق الشعوب المستعمرة، وما يمكن قوله عن التشريعات الرومان في بداية الاحتلال هو أنها أولت اهتماما خاصا بالأراضي الزراعية، بشكل ملفت للانتباه، حيث أصدرت قوانين تنظم وتقسم الأراضي الزراعية فصادر الرومان مساحات واسعة من الأراضي الرعوية والغابية ليقيموا فيها مستثمراتهم وضيعاتهم الكبرى، كما راحت تقسم الأراضي الزراعية وفق مصلحتها الخاصة كما هو الشأن بالنسبة لقوانين سنة 111 ق.م التي أعقبت ثورة يوغرطة، والتي ركزت على الأرض وقسمتها على أحلافها ولم تهتم بالفرد النوميدي، لقد سارت على هذا النهج القوانين اللاحقة مثل قانون "مانكيانا LES MANCIANA" الذي صدر في نهاية القرن الأول ميلادي، وبقي ساري المفعول إلى نهاية العهد الروماني في بلاد المغرب القديم، وقانون "فسباسيانوس VESPASIEN" في النصف الأول من القرن الثاني ميلادي[1]، والذي يحث الزارع على فلاحة الأراضي البور والأراضي المهملة، مقابل عدم طرده منها ومنحه حق الحيازة، وفي حالة عدم تطبيقه للقانون تنتقل ملكية الأرض إلى من يتكفل بإحيائها.

ولعل أشهر القوانين التي سعت إلى تحقيق الإصلاح الزراعي من خلال استحداث إصلاحات اقتصادية قانون الإمبراطور "هادريانوس"(117–138م)، الذي عرف ببرنامجه الرعاية الاجتماعية الذي عرف باسم " أليمونتا AIMENTA" الهادف لمساعدة الأيتام والفقراء والعمل على جعل القوانين أكثر موضوعية وعدالة وإنسانية، وعمل على تحديد حقوق الأسياد اتجاه العبيد خاصة بعد زيارته الشهيرة للمستعمرات الرومانية، وفي عام 128م أمر بتدوين القوانين وأصدر القانون الدائم وهكذا فقد سعى إلى تطبيق مبادئ الفلسفة الرواقية[2] على صعيد الواقع العملي، كما عمل على تقليص الفوارق الطبقية والتخفيف من حدتها، و يبدو أن هدريانوس قد سار على خطى سابقيه أمثال أغسطس وأكتافيوس (27ق.م – 14م) وابنه تيبيريوس (14م–37م) اللذين فتحا المجال للارتقاء في السلم الاجتماعي أمام الزعماء المحليين وحرصوا على مراعاة بعض الأعراف والعادات والتقاليد

1– العزيز (أعراب)، المرجع السابق ص 107.

2– الناصري (سيد أحمد على)، تاريخ الإمبراطورية الرومانية–السياسي والحضاري–، ط2، دار النهضة العربية، مصر، 1991، ص، ص 264–265.

الخاصة بالقبائل المحلية.ومن جملة الإصلاحات التي جاء بها هادريانوس منع السيد من قتل عبده أو تعذيبه أو حتى بيعه كجلاد، كما ألغى حق رب الأسرة في منح أو رفض الحياة بالنسبة لأبنائه، من جهة أخرى حرص على حماية أموال الأيتام والقصر من جشع الأوصياء، كما حرص على تشجيع التعليم وخصص أموالا ضخمة لدلك وأسس مدارس للبلاغة والفلسفة والفنون الحرفية سواء في ايطاليا أو ولايات الإمبراطورية المختلفة.

وتجدر الإشارة إلى أن الهدف من إصدار هذه التشريعات تمثل في السعي لتحقيق أكثر سيطرة ممكنة على المناطق الزراعية الخصبة، وهي القضية التي ظلت محل صراع دائم بين الأهالي والرومان خاصة بعد منح الطبقة الحاكمة (سيناتورية) أراضي زراعية واسعة وكذا منح أراضي للمرتزقة وللمدن التي ساعدت روما في حربها ضد قرطاج وهكذا اغتصبت الأراضي من أصحابها وهم الأهالي[1].

ثانيا– الإصلاحات السيفيرية: تعتبر إصلاحات الإمبراطور سبتيموس سيفيروس (193م – 211م) من أشهر وأهم القوانين الرومانية نظرا لما تضمنه من إصلاحات جذرية مست سكان الولايات بالأخص ولعل سعي الإمبراطور سيفيروس لتحسين أوضاع الأفارقة يعود إلى انتمائه إلى إفريقيا بحكم أنه من أصول إفريقية، فهو من مواليد مدينة "لبتس ماجنا"(لبدة) بمقاطعة طرابلس في ليبيا ولد عام 146م، تلقى تعليما وثقافة اللاتينية، انتمى إلى طبقة الفرسان واخذ يرتقى في سلم الوظائف، كان سبتيموس سيفروس يعتقد أن الحكم لابد أن يخرج من دائرة الرومان والايطاليين إلى دائرة الشعوب الأخرى التي أخذت بالثقافة ألاتينية، وليحقق هده الرؤية اعتمد على أمرين الأول التقليل من دور الايطاليين وتحديد امتيازاتهم مقابل منح نفس الامتيازات الاجتماعية والتشريعية لسكان الولايات التي يتمتع بها سكان ايطاليا، وبالرغم من أن نصوص هده الإصلاحات لم تصل موادها إلا كإشارات في مختلف المصادر التي عاصرت سيفريوس إضافة إلى بعض النقوش المنتشرة في روما[2] على العموم يمكن تحديد الإصلاحات التي جاء بها سيفريوس في النقاط التالية:

1–فتح أبواب المناصب الإدارية أمام عدد كبير من أبناء المقاطعات بهدف تدعيم حكمه من خلال فرض سيطرته على سكان الولايات وكسب ولاءهم ومن جهة أخرى إضعاف سلطة الطبقة الأرستقراطية في الولايات ومسيرو الإدارة[3].

1– عقون (محمد العربي)، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، المرجع السابق، ص ص 80–81.

2–غانم(محمد الصغير)، المظاهر الحضارية والتراثية لتاريخ الجزائر القديم، المرجع السابق، ج4، ص195.

3– تسعديت (رمضان)، الإصلاحات السيفيرية في بلاد المغرب القديم، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 1990–1991. المرجع السابق، ص73.

2-سخر سيفيريوس الأهالي بعد انقضاء خدمتهم العسكرية في حراسة الأراضي الواقعة جنوب خط الليمس الصحراوي، وقسمهم إلى صنفين هما حماة الحصون CASTRIANI وحماة المعسكرات، كما فتح مجال الارتقاء لطبقة الفرسان حتى بلغوا مراتب تشريفية.

3-ألغى سيفيروس احتكار الإيطاليين للكتائب بريتورية وفتحها أما الأهالي المترومنين الأكفاء[1].

4-اعتبر سيفيروس الجيش عماد السلطة والحكم ومصدرها لذلك زاد في رواتب الجند بنسبة الثلث وفتح أبواب الوظائف المدنية أمام العسكريين وقدم لهم مختلف الترقيات والامتيازات بعد انتهاء الخدمة العسكرية، كما تسامح مع قضية زواج الجنود وقيام المنازل الزوجية بجوار المعسكرات بعدما كان هذا ممنوعا، ورغم أن سيفيروس اهتم بسكان المدن، إلا أنه أقصى سكان الريف وطردهم نحوالجنوب ويعتبر سيفيريوس أول من قضى على مبدإ الارتقاء في السلم الاجتماعي بناء على الثروة[2].

هذا فيما يخص هذه الإصلاحات بصفة عامة وبالرغم من أنها تبدو في صالح الأهالي إلا أن الغرض منها تمثل في تشيد ملكية وراثية عسكرية، وبالرغم من محاولة سبتيموس سيفيريوس "إشاعة الديمقراطية بين صفوف الجيش وفتح مناصب الإدارية أمام عدد كبير من أبناء الولايات إلا أنه لم يختلف عن سابقيه كما انه ارتكب خطأ فادحا تمثل في جعل سلطته ذات صبغة عسكرية ولعل هذا الأمر كان بسبب اغتصابه للسلطة بالقوة وتأسيس ملكية وراثية"[3].

ثالثا- إصلاحات كاراكلا: عندما اعتلى الإمبراطور كاراكلا ابن سيفيريوس الحكم،كان يدرك أن سياسة والده قد جلبت سخط الطبقة الارستقراطية المعارضة، التي كانت ترفض نظام الحكم العسكري الاوتقراطي الجديد الذي طبقته الأسرة السيفرية، إلا أنه واصل على نهج والده القائم على إقصاء الطبقة البرجوازية الارستقراطية مقابل الاعتماد على الطبقة الدنيا المتمثلة في الجنود وأصدر عام 212م (وقيل 213م)، إصلاحاته الشهيرة "دستور أنطونينوس CONSTITUIO ATNONINANA" عام والذي منح بموجبه "حق المواطنة الرومانية لجميع أحرار الإمبراطورية"[4]. وفي الحقيقة هذا المرسوم رفع المواطنين الأهالي إلى مصف

1- شارل (شافيا)، المرجع السابق ص-ص 113- 114.

2-الناصري(سيد أحمد على)، المرجع السابق، ص 318.

3-رستوفنزف، المرجع السابق، ص479.

4- تسعديت (رمضان)، المرجع السابق، ص-ص75-76 .

الرومان وأخضعهم" لضريبة الإرث"VICRSIMAHEREDITAT " دون أن تستفيد من الإعفاء من ضريبة الرأس التي كانوا يدفعونها، من هنا يمكننا القول أن المرسوم سعى إلى إخضاع الجميع للضريبة ووجوب دفعها وبالتالي تبسيط عمل الإدارة عن طريق فكرة إحلال المساواة[1] وكانت فئة الفلاحين والمناطق الصحراوية أكبر المتضررين من هذا القانون، حيث أصبحوا مجبرين على دفع ضريبة جديدة إلى جانب الضرائب القديمة[2]. من الممكن إجمال دوافع إصدار هذا المرسوم في ما يأتي:

1- ازدياد عدد المواطنين خاصة في بلاد المغرب القديم.

2- انتظام المغاربة القدماء في دفع الضرائب.

3- إطلاع كاراكلا على الظروف المزرية التي يعاني منها الأهالي.

4- انتماء كاراكلا إلى أصول إفريقية.

وإذا ما أردنا تقيم قانون كراكلا من الناحية العملية سنجد بأنه لم تستفد منه الفئات المحرومة والمعدومة بقدر ما استفادت منه الطبقة المتوسطة التي كانت لها رغبة في الالتحاق بمصف البرجوازية، كما أن هذا القانون فتح المجال لاستخلاص الضرائب من العامة بشكل أوسع وأكثر وهو ما زاد من أعباء العناصر المتحصلة على المواطنة والتي وجدت نفسها مجبرة على تحمل أعباء الخدمات في مدنها، ثم إن كاراكلا ومن خلال إصداره لهذه الإصلاحات لم يكن يسعى إلى رفع الطبقات الدنيا بقدر ما كان يسعى إلى التقليل من مكانة الطبقة الارستقراطية داخل وخارج روما[3].

إن تعميم حق المواطنة الذي جاء به مرسوم كاراكلا كان متأخرا عن أوانه إذ أن المغاربة المتأثرين بالحياة الرومانية طالما رغبوا بالالتحاق بنظام الإمبراطورية لكن هذه الأخيرة ظلت تعرقل التحاقهم وتعمق الفوارق بينهم وبين العناصر الرومانية "وعندما عوضت الدولة هذا الجهد الاجتماعي ببعض المرونة وفتحت أبواب الاندماج كان كبار الملاكين قد أحرزوا على نفوذ مكنهم من إفراغ الإصلاح من كل مضمون"[4]. أوجد الرومان درجتين للمواطنة:

1- نفس المرجع ص 79.

- أوندري (إيمار) وآخرون، المرجع السابق، ص 601.

2- شارل (أندري جوليان)، المرجع السابق، ص 221.

3- رستوفنزف، المرجع السابق، ص497.

4- العربي (عبد الله) المرجع السابق ص 78.

–مواطنة رومانية: شملت المواطنين الذين يعودون بأصولهم إلى مدينة روما معمرين وإداريين وتجار منحت لهم جميع الحقوق السياسية الاجتماعية والاقتصادية.

–مواطنة لاتينية: منحت للشعوب الحليفة في إيطاليا ثم عممت في الولايات التي استوطنتها جالية لاتينية يتمتع أصحابها بحقوق أقل من المواطنين الرومان.

ومما نستخلصه من عرض لهذه النماذج أن روما قد لجأت إلى أسلوب الإغراء والمرونة من أجل استقطاب النخبة المغربية سواء من الزعماء أو الأثرياء ومع ذلك فهي التزمت بالتوجه العنصري، حيث أبقت على الترتيب الاجتماعي القائم على تصدر الرومان لهم، وكانت هذه السياسة نتيجة حتمية ومنطقية لنظرة الرومان إلى الأجانب أصلا.

فلقد نشأت قواعد القانون الروماني مع نشأة مدينة روما وارتبطت بظروف السكان الذين أنشأوا المدينة حيث قام تنظيمهم الاجتماعي على العشيرة والتنظيم الاقتصادي على الزراعة. مما جعله نظام مغلق يعتمد على النفس وعدم التعاون مع الغير، بل إنهم نظروا إلى الأجنبي على أنه عدو وبالتالي ليس له أي حقوق، ولكن هذه النظرة تغيرت وتطورت نتيجة لتطور العلاقات التجارية ونمو العلاقات السياسية والاجتماعية، وهو ما جعل روما تعترف للأجانب ببعض الحقوق المدنية.

والحقيقة أن هذه المرونة التي أبدتها روما هدفت إلى دمج المغاربة، واستقطابهم دون تحقيق المساواة في الحقوق والواجبات مع الرومان "والغرض من تلك التنازلات كان أسرا سياسيا وليس جودا إنسانيا سخت به المؤسسة الرومانية على الإنسان المغربي المقهور"[1].

أشار ستيفان غزال إلى ثلاث فئات قانونية في المجتمع المحلي قدمها في ترتيب تنازلي بدءا من المواطنين كاملي الحقوق إلى أفراد الشعوب الرعايا.

الصنف الأول: يضم مستوطني المدن الساحلية كانوا مجبرين على التجنيد ومع ذلك استطاعوا الحفاظ على استقلاليتهم السياسية.

الصنف الثاني: كان هو الآخر مطالبا بتأدية الخدمة العسكرية عند بلوغ السن الإجباري وكانوا يتقاضون عليها أجرا كالمرتزقة وفي نفس الوقت كانوا يؤدون الضرائب النقدية أو العينية للحاكم.

1- شنيتي (محمد البشير) سياسة الرومنة في بلاد المغرب، المرجع السابق ص 92.

الصنف الثالث: هم النوميديون الذين كانوا يقطنون خارج الحدود الرومانية بسبب وضعهم القانوني المختلف فكانوا إما حلفاء لقرطاجة أو روما وإما أعداءهم، ففي الحالة الأولى يشكلون جندا احتياطيا أو مرتزقة وفي الحالة الثانية يعتبرون كمناهضين[1].

إذا ما تأملنا هذا التصنيف الذي اعتمد فيه على أساسين: الأول هو الخدمة العسكرية والثاني هو دفع الضرائب النقدية والعينية، نجد أن السياسية الرومانية قد حاولت ترقية الوضعية الاجتماعية للفرد المحلي من درجة المهزومين الذي وضعته فيه غداة الاحتلال ومنحه بعض الحقوق المدنية التي تمكنه من الرقي الاجتماعي والاندماج في إحدى مرتبة المواطنة (رومانية – لاتينية). ولعل هذا التحول في السياسة الرومانية كان يهدف إلى توفير الأمن للمستعمرات الرومانية كي تمارس نشاطها الاستغلالي في أنسب الظروف.

خلاصة القول إن المجتمع المحلي لم ينل الاهتمام الكافي من السلطات الرومانية إذ أن القوانين التي سنتها الدولة لم تكن كافية لتحديد الحقوق والواجبات وظل السكان رهينة لما يبدوه من إخلاص وولاء لروما على أن هذه المجتمع قد لقي رعاية في العهد الإمبراطوري أكثر مما ناله في العهد الجمهوري، إذ فتح الأباطرة باب الاندماج في المواطنة الرومانية أمام الكثير من سكان المستعمرات، لكن الإشكال الذي يطرح نفسه هو: هل كسب هذا الحق مختلف طبقات وأطياف المجتمع؟ سنحاول الإجابة على هذا الإشكال في المباحث الآتية.

رابعا– المواطنة الرومانية بين النظري والتطبيق: اعتمدت روما في ترسيخ وجودها على استقطاب العناصر المؤثرة في المجتمع النوميدي من زعماء وأثرياء، حيث فتحت لهم أبواب الرقي الاجتماعي والسياسي ومنحتهم المكانة الراقية بعد استمالتهم وتشجيعهم على الاندماج في الاقتصاد والفن والحياة اللاتينية، والمعتقدات الرومانية، بعد تحقيق هذا حاولت أن تمنح المواطنة للفرد الذي تتوفر فيه شروط الرومنة من خدمة عسكرية ودفع للضرائب المفروضة واكتساب عناصر الثقافة الرومانية من لغة ودين وغيرها، فالمواطنة هي الترقية الاجتماعية والسياسية للأفراد والجماعات وترسيخ الولاء للإمبراطورية الرومانية، وهي أيضا تجنيس للعناصر ذات القابلية للترومن، تمكن المواطنة صاحبها من تحقيق عدة مكاسب على الصعيد الاجتماعي والسياسي ويمكن إحصاء هذه المكاسب فيما يلي:

1- Gsell (s) op-cit.T.V.pp 102 – 112

- أكلي (نورية)، المرجع السابق، ص32.

1- الحصول على الحقوق المدنية: حيث تمكن المواطنة المجنس من الحصول على الاسم الثلاثي الروماني TRIA NUMINA الذي يمكنه من الولوج لصنف المواطنين الرومان بالأصل، والحصول على مكانة اجتماعية شريفة تمكنه من التدرج في السلم الاجتماعي والارتقاء فيه، كما تمكنه من اكتساب صفة الشرعية الزوجية بحيث يصبح زواجه شرعيا وأبناء شرعيين، وبهذا يتحصل على الدرجة الرفيعة التي تفتح له أبواب الشرف، ومنه كانت المواطنة ارتقاء عظيم وتحرر من إقصاء ونفي الوجود الذي كرسه المستعمر إزاء الأفراد المحليين ودمجا في الثقافة اللاتينية عنوان الحضارة والتحضر.

2- اكتساب حق الملكية: سهرت روما على الاهتمام بالأهالي وتقاسم السلطة والثروة معهم من خلال تسوية وضعيتهم القانونية بحيث مكنتهم من الحصول على ملكية الأرض أو العقارات الأخرى وهذا بعد منحهم حق المواطنة مع العلم أن أغلب هؤلاء الأهالي كانت إمكاناتهم تسمح لهم بمشاركة الرومان في مستوى الحياة الاقتصادية والاندماج التدريجي إضافة إلى أن مصالح الطرفين كانت مرتبطة ببعضها (الأثرياء المحليين والرومان)[1].

3- حق الارتقاء في السلم الاجتماعي: لقد ساهم العنصران السالفا الذكر في فتح المجال أما الأفراد المحليون الأكفاء الذين تتوفر فيهم مجموعة من الشروط أهمها الثراء، من الارتقاء في السلم الاجتماعي من الصنف الاجتماعي المتوسط إلى صنف الشرفاء، فبات بإمكانهم المشاركة في المجالس البلدية بل الوصول إلى مجلس الشيوخ، ورغم أن التاريخ لا يسجل شخصيات كثيرة من مواطنين شمال إفريقيا تولت مناصب عالية في الحكومة المركزية، إلا أنه لا يمكننا نفي وجود بعضهم في أعلى المناصب، ولعل سيستيموس سفيروس إمبراطور روما ذا الأصول الإفريقية خير مثال على ذلك[2].

4- خاطب كاراكلا الشعب الروماني عشية إعلانه عن دستور 212 م قائلا في ديباجة المرسوم: "إن الآلهة الرومانية خليقة بأن تبتهج بذبائح الشكر التي يقدمها هذا الحشد من المواطنين الجدد، إن اشتراك الجميع في عبادة الآلهة الرومانية ما هو إلا رمز ودليل على وحدة الإمبراطورية وهو كفيل بأن يحفظ رضى الآلهة ويكفل حمايتها للإمبراطور من كل خطر يتهددها"[3].

بناءا على هذه المقولة يبدو لنا من أول وهلة أن التشريعات التي أصدرتها السلطات الرومانية كانت ذات صيغة إنسانية ودينية، تسعى من جهة إلى تحقيق المساواة ومنح الحقوق للشعوب المستعمرة، وتسعى من جهة

1- (عقون محمد العربي) الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، المرجع السابق، ص-ص273، 274.

2-محجوبي (عمار)، المرجع السابق، ص 120.

3 - تشارلز (وورث) المرجع السابق، ص 184.

أخرى إلى خدمة الآلهة الرومانية واكتساب رضاها.لهذا يذهب البعض إلى أن هذه الصيغة التي اتسمت بها السياسة الرومانية اتجاه المجتمع المحلي المغاربي كان لها انعكاس إيجابي عليه بحكم حصول أفراده على حق المواطنة، مما سمح لبعضهم الارتقاء إلى مناصب سياسية في المستوى المحلي والإمبراطوري، لكن هذا الرأي لا يسلم من النقد فالمتتبع لفكرة تعميم المواطنة الرومانية يجد انه لم يطبق على الأرياف مركز الثقل السكاني ومعقل القبائل الرافضة للوجود الروماني، وإنما اقتصر على سكان المدن الذين تأثروا بالحضارة اللاتينية وأعجبوا بها فاعتنقوها مما أكسبهم الشخصية الرومانية وكان دمجهم عبارة عن تسوية قانونية لوضع قائم لا أكثر ولا أقل[1].

من جهة ثالثة حتى تلك العناصر التي تمكنت من بلوغ مناصب راقية سواء عسكرية أو سياسية إنما بلغوها بعد استغلالهم لظروف سياسية خاصة مرت بها الإمبراطورية الرومانية كما فعل "سيفيريوس" الذي اعتمد على الجيش للوصول للسلطة[2]. حيث شهدت انتشار للفوضى وانتهاك لخطوط الدفاع الروماني من شتى النواحي واشتداد الهجمات في سويسرا وفرنسا واسبانيا، إضافة إلى هجمات القوطيين في الشمال الشرقي والاضطرابات في الشرق حيث تصاعدت تهديدات "الأسرة الساسانية". أمام هذه الأوضاع وجدت روما نفسها مضطرة لتطبيق حيل سياسية ورفع شعارات للمساواة والعدل بهدف إعادة الهدوء والسيطرة لامبراطوريتها.

وبناء على التحليل السابق نقول إن قانون منح المواطنة ما هو إلا حيلة سياسية انتهجها الرومان حفاظا على الأمن والاستقرار وحفاظا على المكتسبات السياسية، إن هذه السياسة المطبقة والتشريعات المستحدثة أثرت على البنية العامة للمجتمع النوميدي و هو ما سنبينه في هذا البحث.

المبحث الثالث:انعكاسات التشريعات الرومانية على النظم الاجتماعية المحلية:

أفرزت التشريعات الرومانية خريطة اجتماعية جديدة وسط المجتمع النوميدي، فالمعروف عن هذا المجتمع عدم وجود الطبقية فيه في مراحله السابقة لوجود الروماني، بحكم انه كان مجتمعا قبليا وهو النظام الذي لا يسمح بتراكم الثروة ونمو الفوارق الاجتماعية، لكن وبحكم النمو الاقتصادي والحركية التجارية التي أحدثها الوجود الروماني و التي جعلت الفرد النوميدي يتحرر من أسلوب الحياة القبلية، ويسعى إلى تحقيق مكاسبه الفردية هذا التحول أدى إلى ظهور طبقة ثرية تستغل الطبقات الفقيرة، وهو ما أدى إلى نمو الفوارق الاجتماعية التي أدت بدورها لتقسيم المجتمع إلى طبقات فتحول المجتمع المحلي تحول جذريا وأصبحت الثروة والأملاك معيارا الشرف وأساسا

1- عقون (محمد العربي)، اقتصاد المجتمع في الشمال الأفريقي القديم، ص ص275- 276.

2- شنيني (محمد البشير)، سياسة الرومنة في بلاد المغرب، المرجع السابق، ص93.

للمكانة الاجتماعية الرفيعة، ومما يستحق الذكر في بداية هذا العرض هو تطبيق روما لسياسة تقسيم المجتمع إلى طبقات منذ الوهلة الأولى لدخولها تراب المغرب القديم بحيث أنها ميزة بين ثلاث فئات :

أ–الفئة الأولى: تتمثل في الطبقة الأرستقراطية وهي أكثر طبقات سكان المدن ثراء وأفضلها تعليما ذات النفوذ الاقتصادي وأملاك واسعة من الأراضي زراعية وعقارات، تميز بالإقبال على الثقافة اللاتينية والإعجاب بها مما اوجد لديها قابلية لدمج في الثقافة الرومانية، فكانت خير وسيلة استغلتها روما لتنفيذ مخططاتها ومشاريعها[1].

ب–الفئة الثانية وهي الطبقة التي فضلت البقاء على الهامش وفضلوا عدم مواجهة روما أو التعامل معها، انتشر هؤلاء على حدود وتخوم الولايات الرومانية وكانت مواقفهم استمرارا للعهد القرطاجي، حيث لم يبدو أي موقف منذ سقوط قرطاجة.

ج–الفئة الثالثة وهم اللذين رفضوا الوجود الروماني جملة وتفصيلا وهو ما جعل روما تضيق الخناق عليهم وتجردهم من مصادر رزقهم سواء بانتزاع ملكية الأرض منهم أو تحديد تحركاتهم حتى لا يمارسوا نشاط الرعي. وهذه السياسة أدت إلى تفقير هذه الطبقة وتجريدها من مصادر رزقها وهو الأمر الذي أدى إلى تحول أفراده من أسياد وملاك إلى عبيد لدى الرومان الذين استولوا على الأراضي الزراعية وحولوها إلى ضيعات ومستثمرات كبرى، وفي الوقت الذي تحول بعضهم إلى عبيد رفض البعض الأخر هذا الواقع المفروض عليهم وفضلوا الانعزال في الجبال والمناطق الصحراوية[2].

هذه الصورة العامة للخارطة الاجتماعية في نوميدية والمغرب القديم في بداية الاحتلال الروماني فترة العهد الجمهوري لكن العهد الإمبراطوري سيشهد تطور وبروز طبقات اجتماعية بصورة جديدة قائمة على مبدإ الثروة والغنى، على أن السياسة الرومانية بمختلف قراراتها وإجراءاتها قد زادت في تعميق الفوارق الاجتماعية وتغيير البنية العامة للمجتمع المحلي، وهو ما سنحاول معالجته فيما يأتي.

أولا–التراتبية الاجتماعية: أدت التشريعات الرومانية إلى تقسيم المجتمع الإفريقي إلى طبقات رتبتهم حسب أهميتهم ومكتسباتهم المالية وفق معيار الولاء لروما ومثقال الخدمات المقدمة للسلطات الرومانية وبناء عليه انقسم المجتمع إلى ثلاث طبقات كبرى هي:

أ–الطبقة الارستقراطية: شملت هذه الطبقة كل الرومان الذين توافدوا إلى المنطقة عشية الاحتلال ثم شملت تلك العناصر التي ساعدت روما في احتلال المنطقة من هنا ظهرت الطبقة الأرستقراطية ذات عناصر محلية ضمت المترومنين من الجنود وكبار الموظفين والأثرياء أصحاب الممتلكات الزراعية والعقارية الذين اعتنت بهم روما

1 - رستوفنزف، المرجع السابق،ص193.

2- شنيتي(محمد البشير)، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني، المرجع السابق، ص 173.

واستخدمتهم كوسيلة لتطبيق مخططاتها ومساعيها لهذا جعلتها في قمة الهرم الاجتماعي رغم تعدادها الضعيف مقارنة بالطبقات الأخرى ففتح أمامهم باب الارتقاء الاجتماعي، شملت الطبقة الارستقراطية ثلاثة أنواع وهي:

-البرجوازية البلدية: فتحت روما الباب أمام الأثرياء المحليين للوصول للمجلس البلدي وجعلت من الانتماء لمجلس المدينة تشريفا وعلى كل من يرغب في بلوغ هذه المرتبة أن يدفع للخزينة مبلغا تشريفيا يختلف مقداره حسب المرتبة التي يسعى إليها المترشح، وحسب أهمية المدينة التي ينتمي إليها كما كان يصرف من ماله الخاص على تشييد المباني العمومية، وتقديم العروض المسرحية ومشاهد المصارعة وغيرها من الأنشطة، وكان هذا بمثابة حملة انتخابية دعائية لشخصه، ومن هنا كان هذا المنصب عبأ ماليا إضافة إلى كونه تشريفا.وقد أدت هذه السياسة إلى بروز طبقة برجوازية في الحواضر والمدن الكبرى، توارثت شؤون الحكم وارتبطت مصالحها مع مصالح روما، كما اكتسب أفرادها السلطة المعنوية والقانونية، كما حملوا ألقابا براقة مثل: أحباء الوطن، أصدقاء الوطن، الأمجاد السيناتور[1].

-طبقة الفرسان: أصبحت اغلب العناصر المجندة في الجيش الروماني خلال العهد الإمبراطوري الأول ذات أصول افريقية، حيث أصبحت عملية التجنيد تأخذ طابعا محليا لأسباب عملية، منها سهولة التجنيد و التقليل من التكاليف، وبلغت نسبة المجندين من الأهالي سبعة وثمانين بالمائة من عناصر الفرقة "الاغسطية الثالثة" وهو الجيش النظامي عصب جيش إفريقيا ونوميدية، وخلال العهد السيفيري أصبح الأفارقة المجندون ثلاثة وتسعين بالمائة من إجمالي الجيش[2]، ولمكافأة هؤلاء الجنود على خدماتهم المقدمة لصيانة الدولة الرومانية منحتهم ترقية اجتماعية ومنحتهم لقب (الفرسان) وهو لقب تشريفي يمكنهم من الالتحاق بطبقة الارستقراطية، بعد دفع مبلغ محدد من المال وقضاء خدمة عسكرية مدتها تسع سنوات، وتعتبر فترة حكم الأسرة السيفيرية أزهى فترات هده الطبقة، حيث نالوا لقب "النبيل NOTABLE" وبلغ عدد المنتمين إلى صنف الفرسان من الولاية الإفريقية نسبة ثلاثون بالمائة على الصعيد الإمبراطوري، هذا وتسجل الوثائق الخاصة بالفرقة الاغسطية الثالثة المئات من أسماء أعلام الفرسان شغلوا مناصب عليا منهم ثمانية وستون فارسا، بلغوا منصب سيناتور ولابد من الإشارة إلى أن أكثر من ثلث هؤلاء ينحدرون من أصول نوميدية[3].

لكن بالرغم من الأصول المحلية لأفراد هذه الطبقة إلا أنه كثيرا ما ينظر إليها بأنها خدمة مصالح روما أكثر مما خدمت مصالح الأهالي، وهذا لكون هذه الطبقة المتميزة والثرية قد ساهمت في توفير الأمن والغذاء لروما وسكانها من خلال محافظتها على السلم وجباية الضرائب[4].

1- محجوبي(عمار)، المرجع السابق، ص 120.

2 -شارن (شافية)، المرجع السابق، ص 114.

3- عيساوي (مها)، المرجع السابق، ص 382.

4- شنيتي (محمد البشير)، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب القديم، المرجع السابق، ص ص225، 223.

–طبقة الأشراف: تضم هذه الطبقة الأفراد ذوي المكانة الراقية وسط المجتمع إضافة إلى الكهنة والحكام الإداريين[1]، كان يشترط في من يرغب في الولوج إلى هذه الطبقة الاندماج في الثقافة الرومانية والحصول على المواطنة بعدها تفتح أمامه أبواب الترقية من طبقة إلى أخرى حسب مجهود هذا الفرد وتفانيه في العمل والاجتهاد والمثابرة.

من خلال هذا العرض البسيط نستنتج أن السياسة الرومانية أدت إلى بروز طبقة ثرية مندمجة في الحضارة والأسلوب الروماني، وهو ما أهلها لبلوغ الارتقاء الاجتماعي، والمشاركة السياسية وفي نفس الوقت استخدمتها الإدارة الرومانية كأداة للحفاظ على الأمن والمصالح الرومانية في منطقة شمال إفريقيا.

ب–الطبقة العامة: تمثل هذه الطبقة الغالبية العظمى داخل المجتمع ومعلوماتنا حولها شحيحة لكونها ظلت مهمشة ومقصية من المشاركة في الحياة السياسية نظرا لكونها رفضت الانصهار في الحضارة الرومانية وتمسكت بثقافتها اليونانية–النوميدية. حملت هذه الطبقة على عاتقها أغلب المهن البسيطة بعد أن جردها الاحتلال من أملاكهم عشية الفتح وحولها من ملاك إلى يد عاملة لدى الارستقراطيين، ومن المهن التي مارسها بعض العامة الجندية، حيث انضموا إلى صف الجنود لأداء الخدمة العسكرية مدة خمس وعشرين سنة، كما مارس بعضهم نشاط التجارة أو النشاط الحرفي، لكن الأغلبية الساحقة كانت تمارس النشاط الزراعي، ومن المفارقات التي اعتمدها روما هو اعتبار هذه الطبقة من الأجانب رغم أنها تمثل السكان الأصلين وأصحاب الأرض.

ج–طبقة العبيد: مثل العبيد ثروة بشرية هائلة استخدمت في المنازل العمومية ومنازل و أملاك الخواص، وكانت الثورات المتواصلة التي تقوم بها القبائل المحلية مصدرا هاما لهذا الرصيد البشري، حيث يتم بيع أسرى الحرب في المعسكرات، فكان القادة العسكريون يسمحون بوجود من يشتريهم من التجار الذين يقومون ببيعهم في الأسواق المحلية أو نقلهم إلى مقاطعات أخرى، وقد اختلف ثمن العبيد باختلاف شكلهم والأعمال التي يقومون بها وتجارتهم خاضعة للرسوم الجمركية، والتجار مجبرين على التصريح بعدد العبيد الذين يرافقونهم، ونوعية الأعمال التي يقومون بها[2]، وقد توسعت دائرة هذه الطبقة بعد أن حول الرومان العديد من الأحرار إلى عبيد وقد حاول المشرع الروماني أن يمنح هذه الطبقة بعض التحسينات على غرار تشريع "هادريانوس" الذي اصدر بعض النصوص القانونية التي تهدف إلى تحسين وضعية هذه الطبقة[3].

من خلال العرض البسيط يتضح من خلال هذا البحث التحول العميق الذي أحدثه الوجود الروماني على الصعيد الاجتماعي النوميد حيث تحول المجتمع من النظام القبلي القائم على تقاسم الأدوار وتبادل المنافع

1– عمران (نورة)، المرجع السابق، ص122.

2– مسعودي(آسيا)، المرجع السابق، ص 43.

3– فعلى سبيل المثال أصدر عقوبة الإعدام ضد السيد الذي يقتل عبده للمتعة، كما منع استخدام الأطفال العبيد في ممارسة البغاء. للمزيد أنظر :تشارلز(روث)، المرجع السابق، ص–ص، 89، 88.

والحماية إلى مجتمع طبقي تتحكم فيه الأقلية الثرية في الأغلبية الفقيرة، كما تتضح لنا السياسة الرومانية القائمة على تجريد الفرد المحلي من قيمه الثقافية وممتلكاته المادية ودمجه في البوتقة الرومانية .

ثانيا–إشكالية الأرض وانعكاسها على المنظومة الاجتماعية: وتعتبر قضية الأرض محور الصراع الروماني النوميدي نظرا لتمسك كل طرف ورغبته الكبيرة في السطو على الأراضي الزراعية، وضمها إلى ممتلكات روما، من هنا كان الصراع حول الأرض الصبغة الغالبة على تاريخ العلاقات الرومانية النوميدية.

– ملكية الأرض: اعتمد النمط النوميدي على الحركة والتنقل الدائمين اللذين طبعا حياة السكان وحدد سيرورة مجتمعهم، فقد كان أفراده يمارسون تربية الماشية، لكن هذا لم يمنعهم من ممارسة الزراعة والاسترزاق منها، وقد زادت مجهودات الاغليد ماسينيسا من تمسك الفرد النوميدي بأرضه ونشاطه الزراعي، وكان للقبلية النوميدية دور أساسي في التمسك بالأرض، حيث جعلت من ملكيتها ملكية جماعية أي أن جميع الأفراد لهم حق استغلالها، أما أراضي الغابات فقد كانت ملكيتها مشاعة يحق للجميع استغلالها[1]، حاول ستيفان غزال تقديم ثلاث فرضيات للصورة الملكية التي انتهجها النوميد:

الفرضية الأولى: اعتقد فيها أن أفراد القبيلة أسسوا ملكية شبهها "بالجمهورية القروية"، يشتغل أفرادها بالأرض ويزرعونها ثم يقسم المحصول بين الأسر حسب عدد أفرادها.

الفرضية الثانية: يعتقد أن الأراضي كانت تقسم على العائلات لتزرعها كل واحدة على حدى على أن تبقى الأراضي البور مساحة للرعي يشترك فيها جميع أفراد القبيلة.

أما الفرضية الثالثة: فيعتقد فيها أن الأراضي كانت تقسم على الأسر بشرط خدمتها واستصلاحها، وهذا ضمن ممتلكات الأسرة مادامت تخدمها وفي حالة إهمالها تنتقل الملكية إلى أسرة أخرى[2].

وبهذا فملكية الأرض ظاهرة واقعية في المجتمع النوميدي، ولا دليل على ذلك أهم من الخطة التي طبقتها روما بعد احتلالها للمنطقة القائمة على إحصاء الأراضي الزراعية واغتصابها من أصحابها، وكان أول الإجراءات التي اتخذتها بعد إعلان الاحتلال هو إفادة اللجنة العشرية[3]. لإحصاء الأراضي الإفريقية وعن ضوء تقرير هذه اللجنة قسمت الأراضي الزراعية على النحو الآتي:

1- GSELL(S),OP-CIT,T.V,PP205,206

2- شنيتي (محمد البشير)، سياسة الرومنة في بلاد المغرب، المرجع السابق، ص، ص، 142، 141.

3- هي لجنة تتكون من عشرة شيوخ يتمتعون بالعضوية في مجلس الشيوخ، أرسلت بعد سقوط قرطاجة لوضع ترتيبات الولاية الرومانية في إفريقيا، وكانت تحت إشراف سبتيموس الايملي، انظر:شنيتي(محمد البشير)، سياسة الرومنة في بلاد المغرب، المرجع السابق، ص116.

أ-أرض الدولة الرومانية وتستغل أملاك الدولة المنهزمة.

ب-أراضي أملاك المغاربة الذين التزموا الحياد في حرب روما ضد قرطاج.

ج-أراضي المدن الحرة التي وقفت في صف روما أثناء الصراع.

من خلال هذا التصنيف نجد أن روما أعطت لنفسها حق السيطرة على أراضي المنطقة في الحالتين الأولى والثانية وتنازلت لحلفائها في الحالة الثالثة ولم تتوقف إجراءات روما في اغتصاب الأرض عند هذا الحد بل راحت تصدر جملة من التشريعات بحجة الإصلاح لكن في حقيقة الأمر كانت هذه التشريعات وسيلة لإضفاء الشرعية على عملية الاستحواذ على أراضي القبائل التي تم طردها إلى الجبال والسهوب والصحراء ثم قسمت الغنيمة لينال الإمبراطور حصة الأسد حيث قدرت المساحة التي يمتلكها الأباطرة بإفريقيا حوالي السدس وبهذا قسمت الأراضي الإفريقية خلال العهد الإمبراطوري على النحو التالي:

1_أراضي البيت الإمبراطوري: تدخل ضمن ممتلكات العائلة الإمبراطورية تستفيد من عائداتها دون دفع الإتاوات.

2-أراضي العائلات الارستقراطية: وهي معفاة أيضا من دفع الضرائب ومستقلة عن المدن المجاورة.

3-أراضي البلديات: تعود ملكيتها للطبقة الارستقراطية الرومانية و المترومنة في البلديات .

4-أراضي القبائل الأهلية: وهي ملكيات خارج القانون الروماني وغير معترف بها[1].

إن الواقع الذي فرضته روما بتشريعاتها الزراعية أفرزت تغيرا عميقا في الأنشطة الاقتصادية، حيث أصبح اغلب الرومان مزارعين رغم أنهم يمارسون هدا النشاط شكليا فقط فحصلوا على ضيعات واسعة امتلكها كبار رجال الدولة كالقادة العسكريين والسياسيين، والتي لم تكن بدون شك تحت الرعاية المباشر لملاكها إنما كانت تتوفر علي متعهدين وجباة وعمال سهروا علي كل الأعمال المتعلقة بها، وقد لعبت الضرائب دورا كبيرا في تعميق الفوارق الاجتماعية بين الأهالي والرومان حيث تنوعت الضرائب وتعددت، فإلى جانب ضريبة اليوغوم (ضريبة الممتلكات العقارية)فرض المشرع الروماني ضريبة الرأس وضريبة العشور (التي فرضت علي القمح) وضريبة الأرض وضريبة الخمس(على الفواكه والأشجار) وضريبة الخمور والزيوت وغيرها[2]، والتي أثقلت كاهل السكان بالضرائب مما أبقاهم في معيشتهم البدائية المتواضعة مهمشين ومجردين من مختلف الحقوق المدنية وجردتهم من أهم شرط

1- شنبتي(محمد البشير)، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب القديم، المرجع السابق، ص-ص، 68، 67.

2- شارن(شافية)، المرجع السابق، ص256.

لاكتساب المواطنة ألا وهو "ملكية الأرض" إذ جعلت من الملكية شرطا أساسيا لاكتساب صفة المواطنة[1]. وفي المقابل ظل سكان الريف يعانون الأمرين حيث حولتهم التشريعات الرومانية إلى أجراء لدى الملاك الكبار وظلت معيشتهم بدائية و متواضعة فيها استمرارية للأسلوب المعيشية التقليدي .

ثالثا–تطور النظم الاجتماعية النوميدية أواخر القرن الثالث للميلاد:أشرنا سابقا إلى أن السلطة الرومانية أصبح محصورا في الطبقة الارستقراطية الآخذة بمظاهر الثقافة الرومانية، حيث منحتها مختلف الامتيازات والحقوق، كما فتحت لها أبواب المشاركة السياسية والاجتماعية، هذا التوجه أدى إلى تقلص رابط النسب(عامل القرابة) وعوضه عامل الثراء والغنى، وبات التشبع بالثقافة الرومانية مظهر من مظاهر التحضر والرقي، وكنتيجة للاحتكاك بين العناصر المترومنة والعناصر الرومانية، انقسم المجتمع النوميدي إلى قسمين: مجتمع مدني حضري ومجتمع ريفي شبه بدوي، لكل مجتمع خصائصه ومميزاته لكن ظل معيار الثراء المقياس الرئيسي، وللتمييز بين النموذجين سنعكف على دراسة النظام الأسري لكل مجتمع، وللإشارة فان الأسر هي الآخرة انقسمت إلى قسمين :أسر متحضرة وأسر بسيطة:

أ–المجتمع المدني المتحضر: يتكون من تلك الأسر التي تشبعت بالثقافة الرومانية وانتهجت أسلوب الحياة الرومانية من ملبس ومأكل ولغة وحتى العقيدة، اتخذ من المدن مقرا للاستقرار كما اعتمد افراده على التجارة والنشاطات الحرفية لتغطية حاجياته المعيشية، وكنتيجة لانفتاحها واحتكاكها المتواصلة مع العنصر الروماني تمكنت من التدرج في السلم الاجتماعي وكونت لنفسها مكانة اجتماعية راقية مكنتها من ممارسة السياسة والسلطة، انقسمت الأسر المتحضرة بدورها إلى قسمين:

I–أسر متحضرة رومانية الأصل: وهي تلك الأسر التي تعود أصولها إلى روما، يمثلها في أغلب الأحيان الجنود الدين عملوا في نوميديا ثم تزوجوا من نساء محليات واستقروا في المناطق المجاورة للثكنات والمعسكرات، وقد ظلت هاته الأسر هجينة في نظر المشرع الروماني فلم تكن تعترف بهذا النوع من الزواج والذي أطلق عيله اسم "الكونتوبارنيوم CONTUBERNIUM"، في نفس الوقت ظل هؤلاء يطالبون بالمواطنة الرومانية والتي لم ينالوها إلى غاية فترة حكم سيفيريوس الذي سمح للجنود بعقد القران الروماني الشرعي "الكونوتيوم CONUBIUM" وهو القرار الذي مكن هذه الأسر من الحصول على المواطنة وبالتالي شرعية الأبناء والحصول على الحق في الترشح والارتقاء في السلم الاجتماعي[2].

1- عقون(محمد العربي)، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، المرجع السابق، ص ص، 147، 146.

2- مقدم (بنت النبي)، المرجع السابق، ص53.

الملحق 22 الأسر النوميدية المتمدنة[1]

1- عيساوي (مها)، المرجع السابق، ص 385.

تعود هذه الأسر بأصلها إلى الرومان حيث ينتمي الأب إلى العنصر الروماني، ويحتل هدا الأخير المكانة الأساسية والرئيسية داخل الأسرة كما يمارس السلطة العليا لتليه الأم بصفتها سيدة البيت تمارس السلطة على الأبناء والخدم و تتولى تسيير الشؤون الداخلية للبيت، وفي نفس الوقت تتمتع الأم بمجموعة من الحقوق التي يحفظها لها القانون بموجب عقد الزواج الشرعي. تتميز أيضا هذه الأسر بملكياتها الواسعة المتمثلة في الأراضي الزراعية والتي تحصلت عليها من تلك الهبات التي كان الساسة يقدمونها لكل الجنود المسرحين بهدف إبقاءهم على الأراضي النوميدية ولخدمة هذه الأراضي اتخذوا لأنفسهم العبيد والخدم وهو ما جعلهم يكسبون ثروة معتبرة مكنتهم من الولوج إلى الطبقة الارستقراطية، وتعكس لنا الأعمال الفنية من التماثيل والمنحوتات الموروثة من العهد الروماني حياة الراقية القائمة على البذخ التي كانت تعيشها الأسر المتحضرة، حيث صورة لنا مختلف النشاطات والأعمال والانتصارات التي حققها أفرادها من رحلات الصيد والقنص والاستحمام وحياتهم في قصورهم وضيعاتهم ومشاهد الواقع اليومي من الشراء والبيع ومشاهد سباق الخيل فصورت هذه اللوحات عالما يتدفق حيوية مليئا بمظاهر البذخ و الثراء والقائم على امتلاك جميع الامتيازات و الحقوق[1].

II– أسر متحضرة محلية الأصل[2]: منذ وصول الرومان إلى البلاد المغاربية عملوا على فرض الأسلوب الروماني و المدنية الرومانية على المجتمع المحلى فشرعت في حركة التحضير الواسعة من خلال بناء المدن على النمط الروماني وتشجيع الحركة الثقافية، وقد وجد هذا المسعى قبولا من سكان المنطقة الذين كان يروقهم ذلك المستوى العالي الذي بلغته الحياة المتحضرة الرومانية، فيما يخص هذا الأمر تجدر الإشارة إلى أن المؤرخ رستوفنزف يؤكد على أن "حركة التحضر والتمدين استمرار لعملية التطور والارتقاء التي بدأت قبل الرومان بأمد طويل...." وفي إفريقيا كانت حركة التحضر والتمدين قد خطت خطوات بارزة المدى من قبل بفضل القرطاجيين وأهالي تلك البلاد الذين عاشوا في ظل حكم قرطاجة وتحت سلطان ملوك نوميديا وموريطانيا"[3]. لقد ضمت هذه الفئة تلك الأسر ذات الأصول المحلية، التي تمكنت من احتلال مكانة وسط المجتمع بعد تأسيسها لثروتها الخاصة من خلال نشاطها الزراعي(القمح والزيت) والتجاري، فشكلوا نوع من الإقطاعية المحلية التي رأت روما أن تكسبها إلى صفها خاصة بعد أن وجدت فيها القبول والقابلية للترومن، وفعلا لقد حاكت هذه الطبقة نمط معيشة الرومان وجسدت أسلوبهم في الحياة، حيث وجدت في الرومان ضالتها للتطور والرفاهية، ومكنتها الثروة التي كونتها والمكانة التي بلغتها من تبوء المنزلة الرفيعة إلى درجة أن "الأسر الرومانية العريقة أصبحت تتفاخر بأقاربها وأصهارها الموجودين في

1- عيساوي (مها)، المرجع السابق، ص-ص 411- 410.

2- انظر الملحق 22.

3- رستوفنزف، المرجع السابق، ص143.

شمال إفريقيا[1]، ولابد من الإشارة أن بعض من النوميدي المتمدنين قد تمسكوا بانتمائهم وعملوا على تحسين أوضاع الأهالي من خلال المرافعة عليهم في المجالس البلدية ومجلس الشيوخ، وقد أنتجت هذه الطبقة نخبة من الأدباء والمفكرين وأعلام اللاهوت الكنسي إضافة إلى القادة السياسيين، على أن أحسن الطرق لبلوغ الرقي الاجتماعي تمثل في الولوج إلى الجيش وخدمة الإمبراطور حتى أن أغلبهم بلغ مرتبة الفرسان الشرفية التي لعبت دورا عظيم في التاريخ المحلي والروماني[2]، وقد أشارت النقوش إلى الأسر النوميدية التي بلغت مراتب الشرف من أشهرها "نقيشة كيليوم" التي عثر عليها في "القصرين"والتي تشير إلى أسر نوميدية كونت ثروة من زراعة الكروم، ولتعبير عن مكانتهم قاموا ببناء ضريح يحتوي على أربعة نقوش جنائزية ونصان من الشعر المنضم بدقة، و"نقيشة مكتاريس" التي تروي حياة أسر بعض المزارعين النوميد، وتبين انتقالهم من طبقة إلى أخرى في السلم الاجتماعي بفضل مجهوداتهم المبذولة، كما هو الشأن لأسرة "أريوليوس"، إضافة إلى نقيشة "تاموقادي"التي تقدم صورة واضحة عن الهرم الاجتماعي لسكان المدن حيث قدمت لنا صورة عن طبقة الأشراف والفرسان والكهنة إضافة إلى الحكام الإداريين[3].

على العموم نقول أن الفئات الاجتماعية المحلية قد تمكنت من منافسة الرومان في المراتب الاجتماعية الراقية مما جعلهم يلعبون دورا أساسيا في الحياة السياسية والاجتماعية في المدن النوميدية والبروقنصلية وحتى في روما.

ب . المجتمع الريفي الشبه البدوي[4]: في المقابل كان هناك المجتمع الريفي الذي يتكون بالأساس من العناصر الأهلية التي رفضت الاندماج في المجتمع والثقافة الرومانية وحافظت على مقوماتها وهويتها الوطنية مفضلة الانعزال ومقاطعة الرومان، فلجأت الى المناطق الجبلية والتخوم الصحراوية، واصل أهل الريف نشاطاتهم الرعوية والزراعية واكتفوا بالتعامل مع الإدارة الرومانية بواسطة الوسطاء.

لقد حافظت الأسر النوميدية عل نظامها القائم على السلطة الأبوية وتقاسم المهام والأعمال، وبحكم سياسة الإقصاء والتهميش التي مارستها روما، فقد عانت الأسر من الفقر والجوع والتخلف مما جعل أفرادها ينشغلون في تأمين قوتهم اليومي،وهو ما أدى إلى بروز مشاعر الكراهية والسخط اتجاه الرومان خاصة بعد أن سلبوهم أراضيهم

1- الناصري (سيد أحمد على)، المرجع السابق، ص 71.
2- رستوفنزف، المرجع السابق، ص 153.
3- عيساوي (مها)، المرجع السابق، ص-ص386-387.
4- انظر الملحق 23.

، وتحول هذا السخط إلى مقاومة استمرت طيلة الوجود الروماني في المنطقة.

من أهم الخصائص التي انتشرت وسط الأسر الريفية هي ظاهرة الزواج المبكر، حيث كانت الفتاة تتزوج في سن مبكرة جدا لا تتجاوز اثنتي عشر سنة، وهي الظاهرة التي أدت إلى ارتفاع معدل الإنجاب لدى الأسر الريفية إلا أن هذه الأسر كانت تعاني الفقر والتشرد فلم يكن لها وزن أو تأثير[1]، وعلى خلاف المجتمع الحضري المتمدن الذي عكف أفراده على عبادة الآلهة الرومانية، فقد حافظ سكان الريف على عبادة آلهتهم الحلية حتى أنهم كانوا يعتقدون أن زيادة عدد الآلهة ضمان لهم من ظلم الرومان وبطشهم، لهدا تعددت الآلهة في الريف النوميدي، وكانت الديانة أسلوبا أو تعبيرا عن المقاومة الرافضة للرومان، وحتى عندما اعتنقوا المسيحية كان ذلك تعبيرا منهم عن مقاومة روما التي رفضت المسيحية واضطهدت أتباعها ،وعلى إثرها ظهرت الثورة الاجتماعية الريفية التي عبرت عن رفض الريفيين للسلطة الرومانية المتعسفة .انتشرت هذه الثورة بين العمال المزارعين في الريف النوميدي وشاركهم قبائل الحلف الخماسي إضافة إلى طبقة الدهماء (الأحرار من الدرجة الدنيا) أدت هذه الثورة إلى تزايد العبيد المسرحين وبالتالي اتساع الطبقة الناقمة عن السياسة الرومانية المطبقة،لقد سعت هذه الثورة إلى تحقيق الأهداف التالية:

– الوقوف في وجه السياسة التعسفية والاضطهاد الذي مارسته روما اتجاه سكان الريف والعاملين في مزارع المعمرين وهذا بهدف التخلص من طغيانهم.

– إضعاف المؤسسات الإدارية والعسكرية من خلال ضرب المؤسسات الإنتاجية التي تمولها.

استمرت هذه الثورة إلى غاية القرن الرابع الميلادي حيث انضم اليها القائد فيرموس سنة(371-375 م) الذي خاض مقاومتة في منطقة جبال البابور وانضمت اليه الفئات الاجتماعية المختلفة،واستمرت ثورة الريفيين إلى غاية نهاية التواجد الروماني بالمغرب القديم[2].

1 –شنيتي (محمد البشير)،التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب القديم،المرجع السابق،ص207.

2 – عيساوي (مها)، المرجع السابق،ص 466.

الملحق 23 الأسر النوميدية الريفية[1]

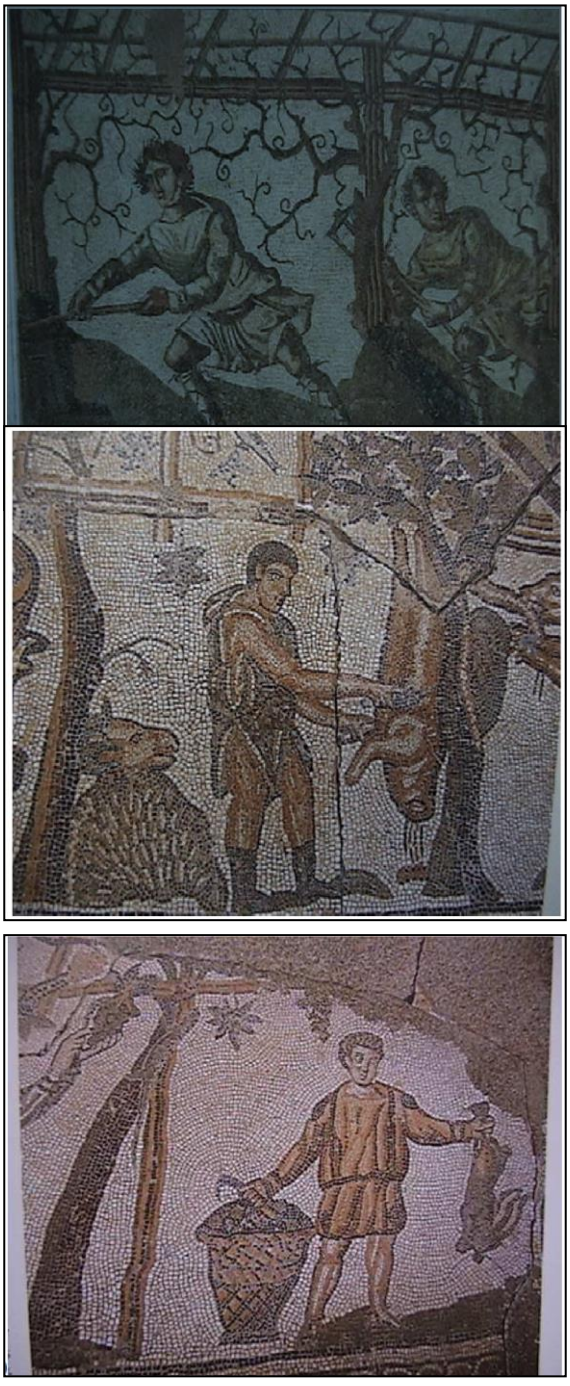

1- عيساوي (مها)، المرجع السابق، ص 390.

من خلال العرض السابق نستنتج أن التنظيم الاجتماعي النوميدي قد عرف تحولا جدريا خلال نهاية القرن الثالث الميلادي حيث تحول المجتمع ذو النظام قبلي إلى مجتمع مدني مؤسس على ثنائية الحضر والريف وهي الثنائية التي كثيرا ما أشار إليها المؤرخون الأوروبيون على أساس أنها تمثل العقدة والسبب الذي أخر تحضر المنطقة وحرمها من التوحد لكننا نجد أن روما هي التي عمقت هذه الظاهرة وزادت في تأصيلها،كما أدت السياسة الرومانية إلى ظهور التراتبية الاجتماعية القائمة على معيار الثراء والفقر وقلصت من عامل القرابة،مقابل هذا واصل النوميد رفضهم للوجود الروماني من خلال مقاومتهم المستمرة مع هذا فإنهم لم يمتنعوا في الأخذ بمظاهر التحضر ومختلف العلوم والآداب وهو الأمر الذي أدى الى حركية اجتماعية وثقافية وسط المجتمع النوميدي فبرزت من عناصر من النخبة ذوي الأصول المحلية.

الخاتمة

بعد هذه الدراسة التاريخية الاجتماعية للنظم الاجتماعية النوميدية توصلت إلى مجموعة من النتائج اعرضها في النقاط الآتية:

أولا: شكل المجتمع النوميدي عبر تاريخه الطويل حلقة أساسية في تاريخ المغرب القديم،وقد منحته خصوصيته الاجتماعية ومختلف الأحداث التاريخية التي مر عبرها ميزة انفرد بها عن باقي المجتمعات المحلية ونضرا لانفتاحه على العناصر البشرية الوافدة إلى المنطقة فقد عرف تطورات وتحولات مست عمق تنظيمه الاجتماعي،وقد ساعده وأهله الموقع الجغرافي المتميز، الذي يتوسط العالم القديم، حيث جعله منطقة استقطاب وتجاذب سياسي وحضاري وبشري ،كما كان مجال لعمليات التوسع الاستعماري والنشاطات التجارية بين مختلف القوى الدولية عبر مختلف العصور.

ثانيا: تعكس لنا المصادر الكلاسيكية بشقيها الأثرية والأدبية مدى عراقة وأصالة المجتمع النوميدي، الذي يمتد وجوده إلى عمق التاريخ،وتبين أن تعمير المنطقة يعود إلى ما قبل التاريخ، ونظرا لامتداده التاريخي فقد شهد توافد موجات بشرية عبر مختلف العصور ومن جهات مختلفة: شمالية، بحرية، صحراوية وأسيوية،مما أوجد مجتمعات وافدة ذات خصوصية ثقافية وعقائدية مميزة ، وبالرغم من استقرارها على الأراضي النوميدية، إلا أن النسيج العرقي لم يتأثر بعمق، إلا في مناطق محدودة في السواحل وظلت الشخصية المحلية بارزة بمختلف مقوماتها الاجتماعية والثقافية في العمق النوميدي.

ثالثا: جاء ذكر القبائل المحلية في مختلف المصادر والنصوص القديمة التي أشارت إلى مواطن العديد من القبائل ومختلف عاداتها وتقاليدها، وبالرغم من النقد الموجه للمصادر الكلاسيكية بالأخص اللاتينية والإغريقية بحكم أنها تعكس النظرة الأحادية في ظل غياب الكتابات المحلية وتكرس سياسة الهيمنة والتوجه العنصري ،مع كل هذا فهي تقدم لنا صورة عن المجتمع النوميدي ومختلف التنظيمات والهياكل التي عرفها .

رابعا: من أهم سمات المجتمع النوميدي انفتاحه وتفاعله مع محيطه وهو الأمر الذي أهله لدخول التاريخ من خلال الدور الحضاري الذي لعبه ومساهمته في مجهود التطور البشري،حيث تقبل مختلف الثقافات الواردة فتأثر بها وأثر فيها، مما أنتج ثقافة مزدوجة على غرار الثقافة البونية (الثقافة القرطاجية +الثقافة اللوبية) والثقافة الإفريقية اللاتينية، وجعل العناصر النوميدية تلعب دور أساسيا وقياديا في مختلف مراحل التاريخ.لكن وبالرغم من تنوع التيارات الثقافية والمعتقدات الوافدة للمجتمع النوميدي وانفتاحه عليها إلا أنه ظل متمسكا بثقافته المحلية ومرجعيته العقائدية، وهو ما عكس الروح الوطنية والاعتزاز بالهوية الوطنية، ويمكننا القول أن هذه المشاعر قد

تدعمت واستثبت بفضل النظام القبلي، الذي كان يقوم على عامل الجوار والقرابة والنسب وهي العوامل التي أوجدت الاتحاد والتعاون بمختلف مظاهره.

خامسا: أثرت التشريعات الرومانية بشكل كبير على المنظومة الاجتماعية المحلية، حيث قسمت المجتمع إلى طبقات وقضت على النظام القبلي من خلال تفكيك الروابط التي كانت توحد أفراد القبيلة، وحولت معيار المجتمع من معيار الدم إلى معيار الثراء، فانقسم المجتمع إلى طبقة غنية ثرية مثلتها العناصر الرومانية و المترومنة وطبقة فقيرة تكونت من الأهالي الذين حولتهم روما بتشريعاتها إلى عبيد وخدم لدى الملاك الرومان بعد أن صادرت أراضيهم الزراعية.

ومن جهة أخرى عملت روما على دمج واحتواء طبقة الأعيان الثرية،حيث استخدمتها كوسيلة لاستقطاب الأهالي مستغلة عامل الولاء، أما العناصر التي رفضت الخضوع للرومان فقد تم ترحيلها وعزلها في المناطق الجرداء والصحراوية من اجل الحد من مقاومتهم وتهديداتهم المستمرة للمصالح الرومانية والتي ترجمتها مختلف الثورات كثورة "يوغرطة" و"تاكفاريناس" وهي الثورات التي عكست مظاهر الاتحاد والتعاون والشعور بوحدة الانتماء.

سادسا: شكلت الأسرة القاعدة الأساسية في المنظومة الاجتماعية النوميدية التي قامت على أساس رابطة الزواج الذي يجمع الرجل بالمرأة وفق معيار التقاليد والعادات والأعراف، وقد تقاسم الرجل والمرأة الأدوار والمهام، على أن السلطة الأبوية ظلت ركيزة الأسرة النوميدية، وهي السلطة التي مارس الأب بموجبها أدواره ومهامه.

أما المرأة فقد دلت النقوش والآثار على المكانة الراقية التي احتلتها ضمن المنظومة الأسرية باعتبارها سيدة البيت التي تقوم بمختلف الأعمال فضلا عن مهمة إنجاب الأبناء.

ونظرا لتوافد عناصر بشرية من مناطق مختلفة ظهرت الأسر المختلطة الناتجة عن زواج الأجنبي بالمحليات فكان لهذا الأمر تأثير واضح على النسيج الاجتماعي النوميدي، حيث ظهرت الأسر الارستقراطية التي رحبت بالثقافة الرومانية واندمجت فيها مما جعل السلطات الرومانية تقدم لها مختلف التسهيلات والإغراءات مانحة إياها المواطنة الرومانية، في المقابل ظلت الأسر الريفية ملتزمة بانتمائها رافضة الرضوخ للإغراءات الروماني، وبالرغم من جهود روما الرامية إلى بلورة النظام الاجتماعي وفق النموذج الروماني القائم على المكانة الاجتماعية المرتبطة بدرجة الثراء،إلا أن الوفاء للانتماء القبلي ظل قائما كما استمر الاعتزاز برابطة الدم حتى بين العناصر المترومنة وهو ما عكسته مواقف الأدباء والفلاسفة والساسة ذو الأصول المحلية.

سابعا: حاولت روما بشتى الطرق القضاء على الشخصية النوميدية وفرض الهيمنة والسيطرة عليها من خلال استحداث تشريعات وقوانين هدفت إلى إضفاء الشرعية على العملية الاستعمارية ،وقد مست هذه التشريعات والتنظيمات مختلف الميادين الإدارية والمالية والاجتماعية،وبالرغم من ادعاء روما السعي لتحقيق المساواة بين السكان إلا أن الهدف الحقيقي وراء تلك التشريعات كان خدمة المصالح الرومانية في المنطقة من خلال جدب السكان وتكوين طبقة موالية لها تحرص على خدمة المصالح الرومانية،كما ترتب على هذه الإجراءات تراكم الأعباء والخدمات على الأفراد وشملت ميادين كثيرة وزادت الضرائب في العبء والمعاناة.من جهة أخرى أحدث الوجود الروماني بمختلف الإجراءات والسياسات المطبقة تحول في التنظيم الاجتماعي النوميدي بعد زرع عناصر دخيلة عن المجتمع المحلي ومنحها مختلف الامتيازات والإغراءات لتوطينها في نوميديا، ونظرا لمصادرة الأراضي الزراعية فقد تفاقمت ظاهرة البداوة التي أصبحت حلا للهروب من الاضطهاد والضغوط الرومانية كما أصبحت وسيلة لمواجهة ومجابهة الاحتلال الروماني، فكما كانت القبيلة نظام وقائي كانت البداوة أسلوب مواجهة ومقاومة لهذا نقول أن الرأي القائل بأن الرومان قد جلبوا الحضارة هو رأي يفنده الواقع .

وفي الأخير نستنتج أن حركية المجتمع النوميدي وتفاعله مع المحيط الداخلي والخارجي أدت إلى بروز تنظيم اجتماعي قائم على الأسرة والقبيلة وهي الأسس التي ظلت راسخة في المجتمع النوميدي عبر مختلف العصور وهو ما أكدته المصادر المادية والأدبية،على أن هذا التنظيم قد شهد تطورا وتحولا بعد توافد عناصر أجنبية أثرت على النسيج الاجتماعي وأدت إلى تغيير المبادئ العامة للمجتمع، فبعد أن كان قائما على معيار النسب ورابطة الدم حل معيار الثراء والغنى كمقياس للرقي والمكانة الاجتماعية.ومهما يكن من أمر فلابد أن نقول أن المجتمع النوميدي بخصوصياته الاجتماعية والثقافية قد تمكن من بلوغ مكانة مهمة على المستوى المحلي والإقليمي والمتوسطي وهو ما أهله لأن يكون عنصرا فعالا في مختلف الأحداث التي عرفتها الساحة الدولية.

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر

1-ابن خلدون(عبد الرحمن)، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مج6،مج2، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت، 1979.

2-الكتاب المقدس.

3-ترتيليانوس(كوينتوس.سيبتموس)، المنافحة(دفاع.عن.التوحيد)، ط1، تر:عمار الجلاصي، طرابلس، 2001، على الموقع:www.twalt.com الرفع:2012/01/12.

4-هيرودوت، تاريخ هيرودوت، ترجمة عبد الإله الملاح، المجمع الثقافي، أبوظبي، 2001.

المراجع

1-: أخشيم (علي فهمي)،نصوص ليبية،ط1،دار مكتبة الفكر،طرابلس،1975

2-أرمنجتون (ب. هـ)، تاريخ إفريقيا العام-العصر القرطاجي-، مج12، ج18، مطابع كاتالي، تورينو، 1985.

3-البرغوثي(عبد اللطيف محمود)، التاريخ الليبي القديم من أقدم العصور حتى الفتح الإسلامي، ج1، دار صادر، بيروت، 1971.

4-العدواني(محمد الطاهر)، الجزائر في التاريخ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

5-العروي(عبد الله)، مجمل تاريخ المغرب، ج1، ط6، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2000.

6-القصاص(محمد المهدي)، علم الاجتماع العائلي، جامعة المنصورة، مصر، 2008.

7-الناصري(سيد أحمد علي)، تاريخ الإمبراطورية الرومانية-السياسي والحضاري-، ط2، دار النهضة العربية، مصر، 1991.

8-الناضوري (رشيد)، المغرب الكبير-العصور القديمة-، ج1، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1981.

9-أوندري(ايمار) وغيره، تاريخ الحضارات العام، ج2، تر: فريد داغر، بيروت، 1981.

10-بازمة(محمد مصطفي)، ليبيا هذا الاسم في جدوره التاريخية، ط2، اللجنة العليا لرعاية الفنون والكتاب، بنغازي، 1975.

11-بوزياني (الدراجي) ملامح تاريخية للمجتمعات المغربية، مؤسسة بوزياني للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.

12- تشارلز(وورث)، الإمبراطورية الرومانية، تر: رمزي جرجيس عبده، منشورات مكتبة الأسرة، القاهرة، 1999.

13-جغلول (عبد القادر)، مقدمات في تاريخ المغرب العربي القديم والمتوسط، تر: فضيلة الحكيم، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، .1988

14-جمال (علي سلامة)، النظام السياسي والبناء الاجتماعي -النموذج الواقعي لتحليل النظام السياسي-، دار النهضة العربية، مصر، 2006.

15- دبوز(محمد علي)، تاريخ المغرب الكبير، ج1، على الموقع: www.twalt.com: تاريخ الرفع:2012./11/10

16- دونالدر(ددلي)،حضارة روما،تر:فاروق فريد وجميل بواقيم الذهبي،دار الهنا للطباعة،مصر،د.ت.

17-حارش (محمد الهادي)، التاريخ المغاربي القديم السياسي و الحضاري-منذ فجر التاريخ الى الفتح الإسلامي-، ط1، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، .1995

18-حارش (محمد الهادي)، دراسات ونصوص في تاريخ الجزائر وبلدان المغرب في العصور القديمة، دار هومة، الجزائر، 2001.

19-حسان (حامد)، أطلس العالم الصحيح، ط1، دار مكتبة الحياة، بيروت، ص2000.

20-دراع (الطاهر)، العلاقات الحضارية القرطاجية النوميدية، 814-146 ق. م، ب. ط، أدرار، 2009-2010.

21- ديزانج(جيهان)،البربر الأصليون،تاريخ إفريقيا العام،مج الثاني:حضارات افريقيا القديمة،جين أفريك،اليونسكو،1985.

22-دنكن (ميتشل)، معجم علم الاجتماع، تر: إحسان محمد الحسن، دار الطبيعة، بيروت، 1981.

23-رالف (لنتون)، شجرة الحضارة، ج2، الأنيس للنشر، الجزائر، 1990.

24-روبين(دانيال)،أصول الثرات المسيحي في شمال افريقيا دراسة تاريخية عن القرنين الأولين،على الموقع:www.twalt.com،تاريخ الرفع:2012/01/12.

25-رستوفنزف، تاريخ الامبراطورية الرومانية الاجتماعي والاقتصادي، ط2، ج1، تر:زكي على ومحمد سليم سالم، مكتبة النهضة، مصر، 1957.

26-سحنون (محمد)، ما قبل التاريخ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994.

27-سعد (زغلول عبد الحميد)، تاريخ المغرب العربي، ح2، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1995.

28-شارل (أندري جوليان)، تاريخ إفريقيا الشمالية، ج1، تر: محمد مزالي والبشير بن سلامة، ط2، الدار التونسية للنشر، تونس، 1969.

29-شارن(شافية) وآخرون، الإحتلال الاستيطاني وسياسة الرومنة، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث، الجزائر..2007

30-شريط (عبد الله)، الميلي(محمد مبارك)، مختصر تاريخ الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989.

31- شنيتي (محمد البشير)، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، ج1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999.

32-شنيتي (محمد البشير)، الإحتلال الروماني لبلاد المغرب "سياسة الرومنة" 146 ق. م-40م، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.

33-شنيتي(محمد البشير)،التغييرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني،ط1،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1984.

34-عقون (محمد العربي)، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008.

35-عقون (محمد العربي)، المؤرخون القدامى غابوس كريسبوس سالوسيتوس وكتابه حرب يوغرطة، ط1، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2006.

36-غانم (محمد الصغير)، مقالات وآراء في تاريخ الجزائر القديم، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2005.

37-غانم (محمد الصغير)، المظاهر الحضارية والتراثية لتاريخ الجزائر القديم، ج4، دار الهدى، الجزائر، 2011.

38-غانم (محمد الصغير)، المملكة النوميدية والحضارة البونية، ط1، دار الأمة، الجزائر، 1998.

39-غانم (محمد الصغير)، سيرتا النوميدية، ط1، دار الهدى، الجزائر، 2008.

40-غانم (محمد الصغير)، معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر، دار الهدى، الجزائر، 2003.

41-غانم (محمد الصغير)، مواقع وحضارات ما قبل التاريخ في بلاد المغرب القديم، ط1، دار الهدى، الجزائر، 2003.

42-فنطر(محمد حسين)، الحرف والصورة في عالم قرطاج، ط1.منشورات أليف.تونس.1999 .

43-قداش (محفوظ)، الجزائر في العصور القديمة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1993.

44-قداش(محفوظ)، الجزائر في العصور القديمة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1993.

45-كامبس (غابريال)، البربر، تر:عبد الرزاق الحليوي، ط1، منشورات أليف، 1997.

46- مبارك(محمد الميلي)،تاريخ الجزائر القديم والحديث،ج1،دار الغرب الاسلامي،لبنان،د.ت.

47-مجموعة من الباحثين، الأطلس العالمي، ط1، المعهد التربوي الوطني، الجزائر، 1986.

48-محجوبي (عمار)، ولاية إفريقية من الاحتلال الروماني إلى نهاية العهد السويري (146 ق. م-235م)، مركز النشر الجامعي، تونس، 2001.

49-محمد (عاطف غيث)، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، مصر، د.ت.

50-محمد(عبد المنعم بدر)، القانون الروماني، ج2، ط1، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1938 ، على الموقع:www.al-mostafa.com،تاريخ الرفع:2013/05/12

51-مصطفى (كمال عبد العليم)، دراسات في تاريخ ليبيا القديم، ط1، المطبعة الأهلية، بنغازي، 1966.

52-مهران(محمد بيومي)،مصر والشرق الادنى القديم-المغرب القديم-،ج9،على الموقع:-www.al-mostafa.com،تاريخ الرفع:2013-02/05.

الرسائل الجامعية

1-أكلي (نورية)، الحرف والحرفيون في نوميديا قبل الاحتلال الروماني، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، إشراف: دلوم سعيد، جامعة الجزائر، السنة الجامعية، 2009-2010.

2-بن السعدي(سليمان)، علاقات مصر بالمغرب منذ فجر التاريخ حتى القرن السابع قبل الميلاد، أطروحة دكتوراه، إشراف:شنيتي محمد البشير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2008-2009.

3- تسعديت (رمضان)، الإصلاحات السيفيرية في بلاد المغرب القديم، رسالة ماجستير، إشراف: شنيتي محمد البشير، جامعة الجزائر، 1990.

4-مقدم (بنت النبي)، الأسرة في بلاد المغرب القديم خلال العهد الروماني –الإمبراطور الأعلى-، أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم، إشراف رحماني بلقاسم، جامعة الجزائر، 2012-2013.

5-قعر المترد (السعيد)، الزراعة في بلاد المغرب القديم (ملامح النشأة والتطور حتى تدمير قرطاجة 146ق.م)،مذكرة ماجستير في التاريخ القديم،جامعة منتوري،قسنطينة،2007-2008 .

6-العزيز (أعراب)، التحصينات الرومانية جنوبي نوميديا وموريطانيا القيصرية من القرن الاول الى الثالث الميلادي وآثارها،رسالة ماجستير في التاريخ القديم، إشراف: شارن شافية،جامعة الجزائر،2009-2010.

7-العياضي(حفيظة)، التركيبة البشرية للطاسيلي ناجر منذ ما قبل التاريخ إلى بداية =العصور التاريخية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ القديم، إشراف:حارش (محمد الهادي)، جامعة الجزائر، 2010-2011.

8-عمران (نورة)، رجال المال والأعمال الأجانب في المقاطعة الإفريقية والرومانية (146-285م)، إشراف شافية شارون، جامعة الجزائر، مذكرة لنيل شهادة الماجيستير في التاريخ القديم، السنة الجامعية 2009-2010.

9-عيساوي(مها)، المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم من عصور ما قبل التاريخ إلى عشية الفتح الإسلامي، أطروحة دكتوراه، إشراف:محمد الصغير غانم، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009-2010.

10-جراية (محمد رشدي)، الصحراء الجزائرية خلال العصر الحجري الحديث 6100-1000 ق.م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ القديم تخصص تاريخ الحضارات القديمة، إشراف عبد العزيز بن لحراش، جامعة منتوري، قسنطينة، السنة الجامعية 2007-2008.

11- مسعودي(آسيا)، التبادل التجاري بين ايطاليا والمغرب القديم خلال العهد الإمبراطوري الأول(القرن 1-القرن 3) إشراف محمد البشير شنيتي، ماجيستير تاريخ قديم، جامعة الجزائر، 1987-1988، ص 43.

12-عمران(عبد الحميد)، الديانة المسيحة في المغرب القديم النشأة والتطور (180-430م)، أطروحة دكتوراه لعلوم التاريخ القديم، إشراف:غانم محمد الصغير، جامعة منتوري قسنطينة، 2010-2011م.

13-شعبان (علي أحمد)، السياسة الخارجية لمملكتي نوميديا وموريطانيا في عهد المماليك في القرن الثالث قبل الميلاد إلى عام 40م، إشراف: شافية شارن، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 2009-2010.

المجلات والمقالات

1-غافقي (منصور)، نساء وآلهة لوبيات، مجلة المرأة التونسية عبر العصور، وزارة الثقافة، تونس، نوفمبر 1997.

2-غانم (محمد الصغير)، "علاقة النوميد بالرومان"، مجلة التراث، العدد الثاني، دار الشهاب، باتنة، 1987.

3-فنطر(محمد حسين)، "اللوبيون وحدات أم شتات قبائل وشعوب مختلفة ؟"، مجلة: أفريقية للدراسات الفينيقية البونية والآثار اللوبية، العدد:12، منشورات المعهد الوطني للتراث، تونس، 2002.

4-زروق(يوسف)، مفهوم المجتمع، sociomaroc.blogspot.com، تاريخ النشر:20أفريل، 2012، ب.ص.

5-بودانة (وليد)، دراسة تاريخية حول مظاهر الحياة اليومية ببلاد المغرب خلال العصر الروماني، صوت الجلفة، تاريخ النشر 29-09-2012م، تاريخ الزيارة 23-09-2013م،ب.ص.

قائمة المصادر والمراجع باللغة الفرنسية

أ-المصادر

1-Hérodote , Histoire, Livre IV, Texte établi et traduit par Ph. E. le grand ;Edition les belles lettres, Paris, 1980.

2-Pline l'ancien, histoire natur, livre v, trad. jehan desanges, ed. les belles lettres, Paris, France, 1980.

3-Polybius, Histoire Romaine, Trad. Denis Roussel, Ed. Gellimard Bibliothèque De La Pleide, Paris, 1970, Liv III, 33,15

4-Sallust, La Conjuration De Catilina, La Guerre De Jugurtha, Trad. P. Richard, Carnier.

5-Sallust,jugrtha,XVII,texte etabli et traduit par A. Ernout,10 eme tirage,les belles lettres,Paris, 1974.

6-Tite,Livre, Histoire Romaine, Trad,(10 vol), Ed.Classique, Paris, 1941.

ب- المراجع

1-Albertini (E), L'Afrique Romaine, Ed.P.U.P, Paris, 1970

2-Andre (leroi),Gourhan, Dictionnaire de la prehistoire,P. V. F, Paris, 1997.

3-Ayache (A-),Histoire Ancienne de l' Afrique du nord,ed Sociales,Paris,1964,

4-Berthier, La Numidie, Rome Et La Maghreb, Ed. Picard, 1981.

5-Chbot(j.b) , Recueil des inscription libyques, imprimerie nationale, paris, 1940

6-Decret(F)et fantar(m. h),l'Afriqe du nord dans l Antiquite ,Ed payot ,Paris,1998 .

7-Desanges, Catalogue des tribus africaines a L'ouest du Nilles dans L'antiquité classique, Daker, 1962.

8-Dumas(M),Paber(M), La grande Kabylie, librarie Hachette, Paris, 1847.

9-Gsell(s),Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord, Librairie, Hachette,Paris,1927 .

10-Kaddache(m),l'Algerie dans l'antiquité,3 éme Ed, E.N.A.C, Alger ,1992

11-Lacoste (Yves) ،Noushi (André),L'Algérie passé et présent, Edition social, Paris ،1960.

12-Lassere (J.M), Ubique Populus,Peuplement et mouvements de population dans l'Afrique romaine de la chute Carthage a la fin de la dyn astic sèvre(14avj.c-235apj.c), Ed.C.N.R.S,Paris

13-Picard(G.CH),la civilisation de l'Afrique Romaine, Ed.plon, paris,1959.

ملاحق البحث

ملاحق الفصل الأول	الصفحة
التجمعات البشرية وبعض نشاطاتها الاقتصادية	3
رسم صخري يوضح تجمع أسري	3
الليبيون القدماء في النقوش المصرية	9
مناطق تواجد القبائل الليبية القديمة حسب المصادر المصرية	10
الكتابة القديمة لكلمة (ليبو)	12
مملكة نوميديا الموحدة	20
ملاحق الفصل الثاني	**الصفحة**
جدول يمثل بعض أشهر قبائل النوميد وامتدادها الجغرافي	39
جدول نسبة المئوية للزواج المختلط بنوميديا بين المدنين والجنود	41
جدول يمثل نسبة سكان أقاليم المغرب القديم	46
بعض أزياء النوميد من خلال الآثار المادية	53
صور لمدن رومانية قديمة	57
نقش نذري مزدوج	59
معتقدات نوميدية	61

براءة ميلانو	63
ملاحق الفصل الثالث	**الصفحة**
الأسرة من خلال الرسومات الصخرية بالطاسيلي	69
المرأة من خلال النقود القديمة	74
المرأة من مظاهر تقديس المرأة	74
بعض مظاهر اهتمام المرأة بزينتها	76
جدول يظهر بعض حالات التبني	77
ملاحق الفصل الرابع	**الصفحة**
القبائل المكنطنة خلال العهد الروماني	96
الأسر النوميدية المتمدنة	112
الأسر النوميدية الريفية	116

فهرس الأعلام:

-أ-	
ا.ف.غوتيه	82-13
ابن خلدون	82-79-66-53-35
أتيا ألومني	77
أذربعل	80-25
أحمد فخري	11
أرابيون	79
أفريقش	16
العروي	70
ألومنوس	77
ألومني	77
أليكساندريا	77
أمون	58
أنطونينوس	100
أوغسطين	58
أتيوس أبولونيوس	77
أولبيا بوتيولانا	77
أوكتافيوس أغسطس	98-87-44-31-27

أيليا فورتوناتا	77
أيليوس فيكتور	77
ايميليا بيدونتيلا	73
أوريوليوس	113
-ب-	
باترونا	77
بربتوس	75
بلين القديم	48-46-21-19
بوليب	52-49-23
بطليموس	73
بوكوس	25-19
بوكوس الثاني	28
بومبيوس	28
بيدونتيلا	74
بيكار	46
بومبيوس	28-27
بينفجي	71
-ت-	
تاكفاريناس	92-79-37-29

تانيت	72-58
ترتيليانوس	60-58
تيبيريوس	98
تيت ليف	86
تيتيوس	28
تيودور الصقلي	58
-ج-	
جمال سلامة علي	65
-ح-	
حزقيال	8
حنبعل	38
حيرباص	80-72
-د-	
دوناتوس	62
ديزانج.ج	19
-ر-	
رمسيس	71-7
رستوفنزف	113

-س-	
سارجيا امارا	45
سالوست	52-51-21-17-16
سبيون ماتيلوس	73
سترابون	49-21-19-17-15
ستيفان غزال	110-102-81-78-38
سفاكس	85-68-44-23-22
سوفونسية	68
سوليبيكيا فيكتوريا	45
سبتيموس سيفروس	111-105-104-100-60-31
-ش-	
شارل اندري جوليان	83-82-80-78
شنشق	7
-ص-	
صدر بعل ابن جيسكون	68
-ل-	
ليكونيوس	63
لخشيم علي فهمي	54

-ع-	
عشترت	72
عقون محمد العربي	75-70
-غ-	
غايا	22
غودا	26
غولوسان	24
-ف-	
فسباسيانوس	98
فلامينا	73
فولوسيوس فكتوريوس	77
فيري	36
فيكتوريا	47
فيليشيتاي	75
فيرموس	116
-ق-	
قلاتا أوغستا	77
قسطنطين	63-60

-ك-	
كاراكلا	4-101-100
كاليغولا	31
كايوس كاراكوس	86
كبر بن دد	71-67
كلوديا فيتوزا تارتولينا	73
كليوباترا سيليني	80-68
-م-	
ماسينيسا	110-86-82-81-80-79-72-68-49-46-25-24-23
مانكيانا	98
مربي بن دد	70-67-11
مرنتباح	8
مسيبسا	45-25-24
مصطنبعل	47-25-24
هيمبسال	25-24
معارايو	80
مكوس	75

-ن-	
ناحوم-دانيال	11
نارافاس	80
نيرون	44
نمرود	71
نس تن	71
-هـ-	
هادريانوس	99-98
هوت لوك	4
هوميروس	13
هيرودت	73-72-70-68-58-54-52-51-17-15-14-13
هيمبسال	28-25
-ي-	
يوبا الأول	73-28-27
يوبا الثاني	80-73-68
يوليا أولتريكس	77
يوليا ساتورنينا	77
يوغرطة	98-80-75-70-45-38-27-26-25
يوليوس قيصر	87-28

فهرس الأماكن:

-أ-	
اثيوبيا	38
اسبانيا	105-18
آسيا	13
الأطلس التلي	21
الأطلس الصحراوي	22-19
إفريقيا	114-113-110-108-107-46-38-31-29-28-15
إفريقيا الجديدة	44-29
أندونيسيا	4
الأوراس	92-44-37
أوروبا	13
ايطاليا	102-99-25
ايكوسيوم	21
-ب-	
بئر العاتر	4
البحر الأبيض المتوسط	82-55-44-35-28-21-7-4
البروقنصلية	114-73-46-44-40-31
برقة	42-15-8

بكين	5
بلاد المغرب	91-90-87-79-73-38-24-15
بلاد ما وراء البحر	13
بولا	81-24
بونة	55
-ت-	
تنس	40
تونس	19-8-5
تيبازة	58
بحيرة تريتون	54
تيغنيف	5
تيفست تبسة	48-30
تيمقاد	114-56
-ج-	
جاوة	4
الجزائر	21-19-5
جميلة	55
جبال البابور	114

-ح-	
حمام ليف	41
حيدرة	77
حدرومات	28
-خ-	
خليج سرت	42-23-19
-د-	
دلتا	7
دلس	58-37
الدار البيضاء	5
دوقة	50-27
-ر-	
رأس تريتون(بوقرعون)	19
رأس متاغوينوم	19
رأس صوليس	14
روسيكادا سكيكدة	73-28
روما	85-56-54-50-47-44-31-29-28-27-26-25-21-20-16- 107-105-104-103-102-101-99-94-93-92-90-87-86- 117-115-114-113-110-109

-ز-	
زاما	81-24
-س-	
سطيف	45-37-5
سهل اللاتيوم	26
سور الغزلان	45
سويسرا	96
سوسة	77-28
سيدي عبد الرحمان	5
سيرتا	87-81-50-44-35-29-28-25-24-23-19
سيقا	81-24
-ش-	
شرشال	58-42
شمال إفريقيا	108-104-94-86-72-15-13-8
شط الجريد	5
شمتو	77
شولو(القل)	73-28-21
-ص-	
صلداي بجاية	81-40-37-26-14

الصين	5
-ط-	
الطارف	37
الطاسيلي	69-67-2
طرابلس	99-46-23-19-15
-ع-	
عنابة	55
عين الحنش	5
-ف-	
الفيوم	7
فرنسا	105
-ق-	
قالمة (كالاما)	55
قرطاجة	113-106-103-99-78-27-23-22-20-18-16
قسطيلة	5
قسنطينة	73-58-57-5
قفصة	5
قورينة	42

-ك-	
كرتن (سيرتا)	55-44-28
الكرنك	70-4
-ل-	
لاريس	24
لامباس	32
لبنس ماجنا (لبدة)	99
لوبة	15-14-13
ليبيا	99-72-19-16-15-14-13
-م-	
المحيط الأطلسي	18-7
مداروش	32
مصر	67-16-11-9-8-7
مضيق هرقل	16
معسكر	5
المغرب القديم	116-106-101-98-92-91-86-85-84-82-77-66-56-52-51-48-47-46-45-36-20-17-16-15-14-7-6-5-4-2
المغرب الأقصى	19
المزاق	77
موريطانيا الطنجية	113-45-42-40-31

موريطانيا القيصرية	45-42-40-31
ميسيكير	37
ميلاف (ميلة)	73-28
ميلانو	63-60
-ن-	
نوميديا	7-17-18-19-20-21-22-23-24-25-27-28-29-30-31-32-34-40-42-46-47-48-49-50-54-56-65-73-77-81-84-85-86-111-113
نهر الملوية	19-23
النمامشة	45
نهر نيقري	38
النيجر	38
النيل	7-8
-هـ-	
هيبون	36-58
-و-	
واد الجبانة	5
واد الشلف	26
وهران	5

-ي-	
اليونان	55-85

فهرس القبائل والشعوب

-أ-	
اسبانية	87
الأمازونيات	72
الأمازيغ	54
الاثيوبيون	51-14
الاديرماخيداي	71
الاديرماشيد	14
الأسبيت	14
الاغريق	71-54-36-25-14-8
الايطاليون	99-50-41
الألمان	42
الاوزي	73
الاوزيس	71-14
الاوشخيز	14
الايثينيان	37
الايجين	15
ايسفلسن	37
الأوروبيين	118

-ب-	
البربر	83-82-79-52
البريطانيين	42
البلجكيين	42
البلقان	42
بني فشن	36
بيسالن	37
بيكين	11
-ت-	
تيد	37
التحنو	11-7
التمحو	8-7
-ج-	
الجنداس	71
الجيتول	94-79-52-38-23-19-16
الجيزانت	14
الجيليغام	14
-د-	
دلماسة	87

-ر-	
الرومان	17-22-26-36-37-38-41-43-48-50-51-57-71-79-85-86-88-91-92-93-94-95-98-99-101-102-104-105-106-108-111-113-116
-ز-	
الزويس	14-30-72
الزبربر	38
-س-	
سورية	87
السباربا	37
السوريين	36
-ش-	
شعوب البحر	8
-ص-	
صرمة	37
-ع-	
العبرانيين	13
-غ-	
الغرامنت	14
غالية	87

-ف-	
فاكاموريس	37
الفرس	18
الفلسطينيين	42
الفينيقيون	42-36-14
-ق-	
القبارصة	42
القرطاجيين	113-55
-ك-	
كورسيكية	87
الكابسيناني	37
الكريتين	42-15
كوشين	13-11
-ل-	
اللوبيين	13-11-9
الليبيين	54-52-51-17-13-11
اللوتوفاجي	14-13
ليبو	70-67-15-8-7

-م-	
المشوش	7-8-71
الماركوبيان	37
الماخليان	73
الماسيسيل	15-17-18-19-21-23-36
الماسيل	15-17-18-19-21-23-37-44
ماسينسن	37
الماشيل	14
الماكسيس	14-72
المرمارياداي	14
المزالمة	92
مشكرة	36
المصريين	9-11-13
المكاي	14
المور	18-38-52-93-94
الموزولامي	37-79
الموسينيان	37
موسوني ريجياني	39
الميزولان	37

-ن-	
ناباب	37
الناتابوند	37
ناتابوت	37
النسامون	71
النسيف	37
نندرمه	37
النوميد	103-98-94-93-56-53-52-50-48-38-36-34-32-24-17
نيقيوة	-39
-ي-	
اليهود	40-36
يوبلن	42-41-37

فهرس الموضوعات

العنوان	الصفحة
إهداء	
شكر وتقدير	
مقدمة	
الفصل الأول: المفهوم التاريخي للمجتمع النوميدي وامتداده الجغرافي.....	2
المبحث الأول: التنظيم الاجتماعي من خلال المصادر المادية والأدبية.....	2
أولا- المصادر الأثرية.....	2
أ- النقوش الصخرية المحلية.....	2
ب-النقوش المصرية.....	7
1-التحنو.....	7
2- التمحو.....	8
3- المشوش.....	8
4- الليبو.....	8
ثانيا-المصادر الأدبية.....	11
أ-المصادر العبرانية.....	11
ب-المصادر الإغريقية.....	13

المبحث الثاني الامتداد الجغرافي للمجتمع النوميدي.....	15
أولا-حدود ومجال نوميديا.....	15
ثانيا- الخصائص الجغرافية.....	18
أ- قبائل الماسيسيل.....	18
ب- قبائل الماسيل.....	19
المبحث الثالث:التدخل الروماني وتنظيماته المستحدثة في المنطقة النوميدية.....	22
أولا-الممالك النوميدية ابتداء (من القرن الثالث ق.م إلى 46ق.م.....	22
ثانيا-الاحتلال الروماني وتنظيماته.....	26
1-التنظيمات الإدارية (المدن والبلديات).....	29
2_ التنظيم العسكري:	31
الفصل الثاني:المجتمع النوميدي وخصائص نظمه الاجتماعية والثقافية.....	34
المبحث الأول: دراسة سوسيولوجية للمجتمع النوميدي.....	34
أولا- قراءة في تطابق مفهوم"المجتمع"على القبائل النوميدية.....	34
ثانيا-التركيبة البشرية داخل المجتمع النوميدي مع بداية الاحتلال الروماني.....	35
أ- العناصر المحلية.....	36
ب- العناصر الوافدة.....	38
أولا- الرومان.....	38

ا- رجال المال والأعمال.....	40
ب- الجنود.....	40
ثانيا-اليهود.....	40
ثالثا-عناصر من أجناس أخرى.....	42
ج-معايير التصنيف الاجتماعي.....	42
المرحلة الأولى.....	43
أ-الصنف الأول.....	43
ب-الصنف الثاني.....	43
ج-الصنف الثالث.....	43
1-الصنف الأول.....	43
2-الصنف الثاني.....	43
3-النمو الديمغرافي وانعكاسه على مظاهر الحياة اليومية وسط المجتمع النوميدي...	43
أ-النمو الديمغرافي.....	43
1-تعداد الجيوش.....	43
2-اليد العاملة.....	44
3-الولادات.....	45
ب-توزيع السكان.....	46

ج-الحياة اليومية في نوميديا في ظل الاحتلال الروماني	48
1-الحمامات	48
2-المسارح	48
3-المدرجات.....	48
4-الساحات العامة (الفوروم).....	48
أولا-مجتمع الريف ونمطه المعيشي.....	48
ثانيا– مجتمع المدينة ونمطه المعيشي.....	49
المبحث الثاني:المظاهر الاثنولوجية وسط المجتمع النوميدي.....	51
أولا-الكاريزما النوميدية من خلال المصادر الكلاسيكية.....	51
أ-ملامح الشخصية	51
ب– بعض عادات وتقاليد النوميد	54
ثانيا-المنظومة الثقافية في ظل الاحتلال الروماني.....	55
أ_ المظاهر الحضارية	55
1- المدن	55
ب- المظاهر الثقافية.....	56
-المجال العقائدي.....	58
الفصل الثالث: مرتكزات النظم الاجتماعية وسط المجتمع النوميدي	65

المبحث الأول: مظاهر التنظيم الاجتماعي لدى النوميد.....	65
أولا–ماهية النظم الاجتماعية.....	65
ثانيا– النظام الأسري.....	67
أ–خصائص النظام الأسري.....	70
1–ظاهرة تعدد الزوجات.....	70
2–مكانة المرأة ضمن المنظومة الأسرية والاجتماعية.....	72
3– ظاهرة التبني	75
ثالثا– النظام القبلي.....	78
أ –ماهية القبيلة	78
ب– عوامل ترابط البنية القبلية	79
ج – القبيلة نظام وقائي.....	82
رابعا– الأحلاف القبلية.....	84
المبحث الثاني:آليات الاحتلال الروماني في تغيير النظم الاجتماعية المحلية	85
أولا– الاستحواذ على الأراضي الخصبة	85
ثانيا–سياسة التهجير والعزل.....	86
ثالثا– سياسة الاستيطان	86
رابعا– تفكيك الروابط القبلية	87

الفصل الرابع التشريعات الرومانية وانعكاساتها على النظم الاجتماعية المحلية	90
المبحث الأول:ظهور النصوص التشريعية الرومانية.....	90
أولا- مراحل تطور التشريعات الرومانية.....	90
أ-المرحلة الأولى(العهد الجمهوري.....	92
ب-المرحلة الثانية(العهد الإمبراطوري).....	94
ثانيا-مصادر التشريع الروماني.....	95
أ-العرف.....	95
ب-التشريع.....	97
ج- قانون الشعب.....	97
د- القانون البريتوري.....	97
هـ- الفقه	97
القانون المدني.....	97
قانون الشعوب.....	97
القانون الطبيعي.....	97

المبحث الثاني:نماذج من أبرز النصوص التشريعية الرومانية.....	97
أولا- قوانين القرن الأول للميلاد	98
ثانيا- الإصلاحات السيفيرية.....	99
ثالثا- إصلاحات كاراكلا.....	100
رابعا- المواطنة الرومانية بين النظري والتطبيق.....	103
المبحث الثالث:انعكاسات التشريعات الرومانية على النظم الاجتماعية المحلية.....	105
أولا-التراتبية الاجتماعية.....	106
أ-الطبقة الارستقراطية.....	106
-البرجوازية البلدية.....	107
-طبقة الفرسان.....	107
-طبقة الأشراف.....	108
ب-الطبقة العامة.....	108
ج-طبقة العبيد.....	108

ثانيا-إشكالية الأرض وانعكاسها على المنظومة الاجتماعية.....	109
– ملكية الأرض.....	109
ثالثا-تطور النظم الاجتماعية النوميدية أواخر القرن الثالث للميلاد.....	111
أ-المجتمع المدني المتحضر.....	111
1-أسر متحضرة رومانية الأصل.....	111
2- أسر متحضرة محلية الأصل.....	113
ب . المجتمع الريفي الشبه البدوي.....	114
خاتمة.....	118
فهرس المصادر والمراجع.....	121
فهرس المصادر.....	121
فهرس المراجع.....	121
فهرس الرسائل الجامعية.....	125
فهرس المجلات والمقالات.....	127

فهرس المصادر والمراجع باللغة الفرنسية.....	127
_المصادر.....	127
_المراجع.....	128
فهرس الملاحق.....	130
فهرس الأعلام.....	132
فهرس الأماكن.....	139
فهرس القبائل والشعوب.....	147
فهرس الموضوعات	153

تعتبر النظم الاجتماعية في نوميديا من أبرز وأهم المواضيع التي تساعد على إبراز قدرات الإنسان النوميدي في تنظيم حياته وسط بيئته وتبين تطور قواعد سلوكه الاجتماعية والدينية وتساهم في إبراز خصوصيته التاريخية والاجتماعية والثقافية.

Social systems in mumidia are of the most important issues that will help to highlight the numidian human capabilities in organizing his life and show the evolution of the rules of moral behavior and religious and contribute to highlights the historical, social, and cultural specificity are considered.

Les systèmes sociaux dans la Numidie de questions les plus importants qui aideront à mettre en évidence les capacités de l'humain numidien dans l'organisation de sa vie et de montrer l'évaluation des règles de comportement moral et religieux et de contribuer à mettre en évidence la spécificités historique, social, et cultural sont considérés.